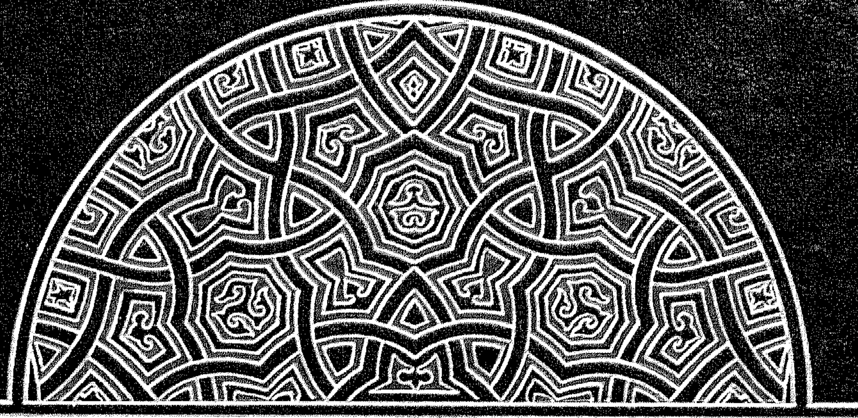
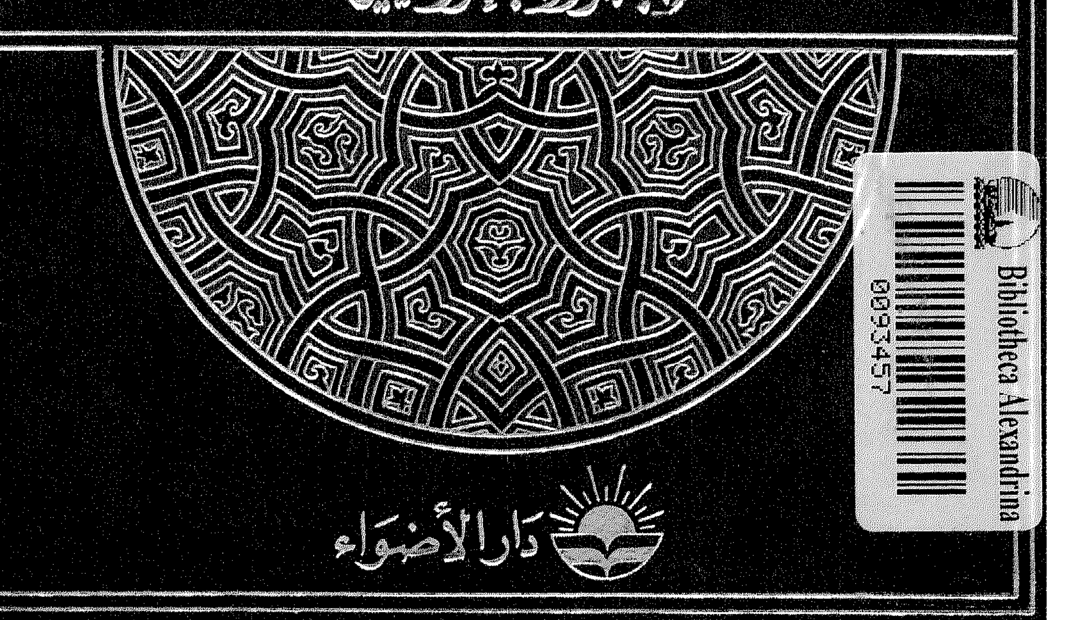




الحكومة العالمية المثلى

تأليف

د. جواد جعفر الخليلي



دار الأضواء







الحكومة العالمية

المثلى

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع

حارة حريك - شارع دكاش - ص.ب: ٢٥/٤٠ - برقيا: غبيري - حسنكو - بيروت - لبنان

موسوعة الحكومة العالمية المثلى
«٢»

الحكومة العالمية المثلى

تأليف
د. جواد جعفر الخليلي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(تقديم)

بسم الله الخالق المصور المبدع المهيمن القائم الدائم ، الأزلي الأبدي ذو الكمال والجمل المطلق ، الذي لا يغرب عنه شيء في السماوات والأرضين ، ألعادل البر الرحيم ، أستعينك اللهم وأستغفرك فزدني اللهم علماً وحكمة ، ومعرفة وطاعة لأوامرك ونواهيك ، والحمد لك لما وهبت لنا من الإحساس والشعور والغرائز والعقول ، وعرفتنا بها سبل الخير من الشر ، والفضيلة من الرذيلة ، وزدتنا برسلك هداية ورحمة ، فقنا برحمتك من الغواية من شرور أنفسنا وأعدائنا من الجن والإنس ، وقنا من الجهل والجهلاء ، والغاوين والمنافقين والشيطان الرجيم وحبائله ومكائده برحمتك وعظمتك وإحسانك آمين يا رب العالمين .

وبعد ، فإني أقدم كتابي الثاني المصلح المنتظر من موسوعة (الحكومة العالمية المثلى) وهو مجموعة من المقالات بلغت ست عشرة مقالة .



المقالة الأولى

الصراع المادي وضرورة دمجه بالمعنوي

شعـوب العالم الثـالث ، بل شعـوب العالم بـأَجمعه ، أُلعـوبـات بيـد طغمة أقلية من دول العالم الكبرى الملحدة ، المنافقة، الماردة المتـطاحنة ، وتنجـرف جميعاً لسلوك تلك الأقليـات الانتهازيـة المنقادة بغـرائزهـا البهيمية البعيدة عن المنطق ، تنجرف جميعاً إلى الهـاوية ، الآكلة والمـأكولـة ، ومن المـأكولـة المستهانـة هم المسلمون ، لابتعـادهـم عن روح الـدين الفـطري السماوي الرفيع القائـل : ﴿ **إنَّما المؤمنـون إخوة** ﴾ وهي الآيـة العاشـرة من سورة الحجرات الواردة في القرآن المجيد ، وما جاء في سُنَّة محمد (ص) : المؤمن للمؤمن كـالبنيان المـرصوص يشـد بعضه بعضـاً ، ويؤيد ذلـك الآيـة القرآنية : ﴿ **الأخلاء يومئـذٍ بعضهم لبعض عدو إلَّا المتقين** ﴾ . لأن المتقين متضامنون صادقون مخلصون إنسانيون متعاونون يأتمـرون بأوامـر الله وينتهون عن نـواهيـه ، يستمعـون القـول فيتبعـون أَحسنـه ، ولـو جعلنـا هـذه أصـولاً اجتماعية وسرنا عليها لوجـدت غير مـا ترى اليـوم ، ولأيقنت أن سبب الشقاء إنما هو السلوك البعيـد عن روح الدين القـويم والمنطق السليم للدين الـذي جاء به أولو العزم .

فما هو الداعي الواقعي للصراع والخلاف إلى هذا الخصام بين الدول الشقيقة بالجنس والعقيدة وانقسامها إلى زُمر شتىٰ متخاصمة متحـاربة ، وهي تحمـل نفس العقيدة والـوصـايـا والسُنَن ، وتـود إصـلاح شؤونهـا الـداخليـة والخارجية ، وكل منها تنوء تحت حكم استبدادي وسلطة مطلقة غاشمة ، ويا

للأسف جميعها ألعوبات بيد دول مستعمرة ملحدة لا تحسب لله حساباً . الدول التي تتظاهر بالحق وتعمل بالباطل ، وإن كلاً من الظالم والمظلوم في تناحر ، وويل لهم جميعاً إن قامت الحرب الذرية الثالثة .

والحق إنها جاهلة بروح الدين وما يلزم سلوكه ، والجاهل عدو نفسه دوماً إذ يضع الشيء في غير موضعه ، ويعمل بنفسه كما يعمله العدو بعدوه . والواقع إنهم جميعاً يفقدون العقل والمنطق السليم ، ومن لا عقل له لا دين له ، ولا دين لها لما أبدته من التعصبات الجاهلية على أتباعها من المنابزات والمنافسات اللغوية والقبائلية والشعبية ، تلك التي ترفضها الأديان السماوية من اليهودية والمسيحية والإسلام مما ورد في الآية ١١ و١٣ من سورة الحجرات في القرآن الكريم : **﴿ يا أيُّها النَّاس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكركم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾** . والدين الإلٰهي تابع لعقيدة واحدة أصلاً حسب الآية الكريمة في القرآن : **﴿ قُل يا أهلَ الكِتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلَّا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾** .

وكلها إنما تسير على الدين الحنيف ملّة إبراهيم الخليل . بل جميعاً عنصر واحد ومن أصل ومادة وجنس وأجزاء واحدة كما جاء في الآية ١٣ من سورة الحجرات : **﴿ يا أيُّها النَّاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** .

بيد وللأسف كلها جميعاً ، على اختلاف عقائدها وجنسياتها ، تنوء اليوم تحت أحكامٍ وقوانين موضوعية خطها الجنس البشري بعيداً عن القوانين الطبيعية تسوقها دوماً تحت كبت واختناق في البلاد الشيوعية ، أو إغراء وتجاهل واستهتار في الأخرى ، من فقد الحريات البدنية والفكرية والاقتصادية بما يضر شعوبها أفراداً وجماعات إنقياداً لرغبات الأقليات الحاكمة ودعاً لأياديها الجائرة ورغباتها الماكرة ، تريد ابتزاز ثرواتها ، متحينة بها الدوائر بشتىٰ الطرق من إغراء وتدجيل في شعوب الدول الكبرى نفسها ، وإلقاء الفتنة وبث التفرقة وتأجج نيران الحروب والعداء في العالم الثالث ،

بعيداً عن أوامر ونواهي العقل والأديان القويمة ، مما مرّ ذكره مثيرين النعرات القومية والمنابزات ووصم الواحد الآخر بالكفر والفسوق ، والعداء والمروق ، بعيداً عن المنطق والحكمة والتدبير والوجدان والضمير الحي الذي ينهي عن تلك ، فتقاتل الواحدة الأخرى باذلة النفس والنفيس ، وإزهاق الأرواح البريئة ، فتذهب أشلاء وأموالها نهباً ، دون عائد سوى الخراب والدمار والبلاء . كل ذلك لإسناد قيادتها لتلك الزمر الخائنة من أبنائها لتسيرها وتستثمرها استثمار المستعمر الانتهازي الغشاش .

أرسل نظرة عميقة فاحصة إلى الشعوب، مثلاً العربية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، تلك التي تشترك بالعقيدة واللغة والمصالح ، بيد ومع الأسف ترى على رأس كل منها حكومة تسير مخالفة لغايات شعوبها ، نصبت العداء لأخواتها من الدول العربية والإسلامية الأخرى ، باذلة قواها للخصام والعداء لها دون كسب مغنم ، بل كله مغرم ، سائرة طبق ما حدده لها المستعمر الغاشم بقوله وقصده فرّق تسد . وتعال معي لنعدد المتخاصمين من هذه الدول من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، وقس عليها ما ذكرت ثم عد وأرسل نظرتك إلى الشعوب الإسلامية ، أمثال بنكلادش وباكستان وأفغانستان وتركيّة وحوّر نظرتك في الشرق الأوسط وإلى دولة ذات المصالح المشتركة والأديان السماوية ذات الكتاب المقدس لترى التطاحن لا بينها وحسب من الخارج بل وحتى في داخلها وما تشمل عليه من التفرقة والشحناء بين المسلمين والمسيحيين في لبنان والحروب المدمرة بين إسرائيل ومن جاورها من مسلمين ومسيحيين وهم من عنصر واحد ، وكلهم ينتمون إلى دين إبراهيم الخليل الداعين لله ورسله ، خصام دائم وقتال قائم وجدال صارم تتلخص في كلمة أو كلمتين ، « فرق تسد » ، تحت تأثير رغبات شركات الترست والكارتل لسلب ثروات وخيرات هذه البلاد ، أخص النفط دون معارض وإبدال ثمنها بأسلحة مدمرة تستعيد بها ما منحته بل وقبل منحها من أثمان ثرواتها ، أسلحة مبتذلة لديها وغير متطوِّرة تفرضها فرضاً على هذه الشعوب البائسة ، عوض ما ابتزته منها . وبقصد إقامة الحروب بينها انهاكاً لقواها المادية والمعنوية وخلق

مستضعف منهوك بائس لا يجد مناصاً إلاّ بالطاعة العمياء ، والانقياد والامتثال ، وإن مس بكرامته ومزّقه أشلاء ، من قتل الأبناء والأخوة والآباء والأمهات دون أن يعطيه فرصة التفكير للمصير والعاقبة المشينة ، وخير مثال على ذلك لبنان المتشعب على نفسه لفرق متناحرة تمد كلاً منها مصادر من الحكومات والدول الإسلامية ، ومن مكاسبها النفطية بوحي من المستعمر الغاشم بصورة مباشرة وغير مباشرة .

وبعد هذه الخلاصة المجملة تعال معي لنضع من جديد بعض هذه الدول والدويلات الغالبة والمغلوبة على بساط البحث ونستعرض بعض الحقائق ، لترى كيف تغلب الهوى وأطاح بقوى العقل والمنطق ، وكيف تنخر الأوضاع الاجتماعية بنفوس الأفراد والجماعات ، وكيف يسير النفاق البغيض فيهم جميعاً فيقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون خلاف ما يعلنون ، أخص بعد إعلانهم حقوق البشر ، وكيف انتخب المستعمرون في كل دولة منهم ، أي من الشعوب المقهورة ، أفراداً أنانيين إنتهازيين للزعامة مستبدين، سلبوا من شعوبهم كل حرية وعدالة اجتماعية فكرية وعملية مادية ومعنوية ، وانتحلوا لأعمالهم الجائرة أعذاراً لا تركن لحكمة ومنطق سليم ، وإذا ضاقت الرحاب بالشعب من يد طغاتها أطاح بهم المستعمر شر طيحة وأبدلهم بأشد منه اغواءً وجهلاً وأنانية حتى يترحم أفراد الشعب على الماضين كما قال الشاعر :

دعوت على عمرٍو ولما فقدته وعاشرت أقواماً بكيت على عمرِو

وأعني بذلك الدولتين العظميين :

١ ـ روسيا : زعيمة الكتل الشيوعية والضاربة على نفسها بالنطاق والسور الحديدي تحت قيادة الحزب الشيوعي .

٢ ـ أمريكا : زعيمة الكتل الغربية ، المسيطرة بالقهر والغلبة سيطرة الدكتاتور الجبار .

أمريكا مستعمِرَة أم مُسْتَعْمَرَة؟ : أهي في يقظة نومية؟ تقدمها العلمي!

تقدمها الاجتماعي! تقدمها السياسي ! من يتزعمها؟ من يسيرها؟ أيحق لها أن تتزعم العالم؟ كيف تتحكم؟ وما هي نتائج هذا التحكم؟ ما هي أدواؤها؟ أيصح للمعلم العليل والناقص تعليم غيره قبل تعليم نفسه؟ ما هو سبيل خلاصها؟

١ ــ أقول إن أمريكا مستعمَرة ومستعمِرة ، وهي ومن تستعمره مستعمرات لسيدها المستعمر . على حد القول ان العبد وما يملكه لمولاه . والدليل أن أمريكا مستعمَرة أنها في كثير من الأحيان تسير خلاف مصالحها ، ورئيس جمهوريتها على رأس الحكم والبيت الأبيض جميعاً ترغم على مسيرة تضر بمصالح الدولة من حكومة وشعب ، وكثيراً ما تراها تتورط مرغمة في مسيرة تضرّ بها مادياً ومعنوياً، وتحجم عن أُخرى تضر بها مادياً ومعنوياً، تقول مرشدة بالسلوك السوي وتنشر حقوق البشر، وتدعو لنشر الإصلاح ومنع الإستعمار ، وتدعو لمساعدة مستضعفي البشر ، بيد تسلك سلوكاً يحطم الآمنين ومدٍّ وتثبيت الحكومات المستبدة بغية سلب موارد وثروات الشعوب الضعيفة ، سيما تلك التي تجد فيها الثروة المعدنية أخصّ النفط ، وبالوقت ترغمها على شراء الأسلحة ، وتتحكم بها تحكماً بعيداً عن العدل والانصاف بخلق الفتن والقلاقل الداخلية وتحويلها إلى حكومات عسكرية يديرها أفراد مستبدون وضعتهم رغم أنف شعوبها بعد أن اشترت ضمائرهم وغسلت أدمغتهم من أية رحمة ووجدان ، رجال يزجون بمصادر ثروة بلادهم جزافاً لها ولشركاتها ، ويشترون أسلحتها الغير المجدية لها بعد أن أصبحت متأخرة ، ويا ليتها تركت لتبلى . ذلك وشعوبها تجهل عمل رجالات سياستها وما تقوم بها شركات الترست المسيطرة المستعمِرة . أخصُّ شركات النفط والأسلحة وغيرها من تحطيم مواردها المادية والمعنوية ، أخص سمعتها ، تلك التي استحوذت على شعوبها بالدعايات الكاذبة على مختلف أنواعها من إذاعة في الراديو والتلفزيون والصحف وغيرها وما تبذله من موارد هذا الشعب لتثبيت أغراض عصابات مجرمة كالسيا (.C.I.A) تسير بعيدة عن الحق ، عن المنطق ، عن العدالة والانصاف ، وكثيراً ما تتأثر بتحريض شعوب أقوى منها كيداً ودسيسة لمحض اضعافها وجرها إلى مآرب تسد رغباتها وغاياتها بل

غايات طغمات ماكرة منافقة بعيدة عن روح الإنسانية والخلق السامي ، وهي كاذبة مما تدعيه عن حقوق البشر وما تذرفه من دموع التماسيح ، ولو نظرنا إلى نكبات العالم ومنها الحروب الدائبة في الشرق الأقصى والأوسط ، ومجاعات العالم في إفريقيا وآسيا وفقدان العدالة الاجتماعية لوجدناها تنبع من نفس اولئك الذين يهتفون بحقوق البشر ، وعلى حد قول الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وعلى أثرها سرعان ما ألقت الفتن الداخلية أو ألقت الفتن بين شعوب الأمة الواحدة كما حصل بين الشعوب العربية ، أو الدين الواحد كما حصل بين العراق وإيران أو العقائد والأديان السماوية التابعة لأصولٍ كلية كما حصل بين إسرائيل والمسلمين في الشرق الأوسط ، مما خلفته من البؤر الانتانية لوضع المشاكل الاجتماعية والحروب المدمرة ، وإنهاك الشعوب وإضعافها وإشغالها بالتفرقة والمؤامرات ، من قتل الشباب الناهض في الحروب وتشريد المثقفين من البلاد ، وإنهاكها كي لا تثور على أسيادها المستعمرين أو أذنابهم ، من خونة البلاد الذين سلطتهم على أبناء جلدتهم . فأين دعوتها للحرية ، وأين حقوق البشر ، وهي أول من فجرت القنابل الذرية وقتلت الأبرياء من أحياء فيهم الشيوخ والأطفال والنساء ، وشوهت من بقي على قيد الحياة ، وأعمالها في كوريا وفيتنام ، وأعمالها بالآمنين في الشرق الأوسط ، واستمرارها بالفتن ، باسم إسرائيل ، ومن هي إسرائيل ، ومن هم اليهود وهي التي جمعتهم ، وهي التي أثارتهم ، وهي التي شردتهم من بلادٍ كانوا فيها آمنين ، وإن كنت لا تدري فسل يهود بغداد وكيف كانوا سادة البلاد المتنعمين فيها ، وفي إيران وفي أي بلاد غربية وشرقية ولا زالوا هم سادة الاقتصاد في الولايات المتحدة ، حركت عليهم الشعوب اضطراراً وجمعتهم بفلسطين بأسماء لما يقرها العقل من أرض الموعد ، وهل فلسطين خير من كل بلاد الله من أوروبا وأمريكا وغيرها؟ ولماذا بقي مثرو اليهود وعلماؤها وأقطابها في أوروبا وأمريكا ، وبيدهم الحل والربط الاقتصادي وإن خفي على أحد فلا يخفى على المثقفين والعلماء والسياسيين أن مصائب

العالم وتدهوره إلى النهاية ، والفاجعة إلى الحرب إنما هو بـأيدي المنـافقين من هؤلاء ، الذين طالما خانوا البلاد التي نشـأوا بها وتـرعرعـوا هم وأبناؤهم وأحفـادهم . هؤلاء الذين حـاربهم هتلر لخيانتهم بـالتجسس على ألمـانيـا ، وهم ساكنون بها ، نقلوا الأسرار الحربية وأخيراً منها القنبلة الـذرية منهـا إلى أمريكا وإنكلترا ، ويا ليتهم اكتفوا بذلك بل عـادوا ونقلوا أسرارهـا إلى روسيا وخلقوا للعالم أعظم المشاكل السياسيـة والاقتصاديـة ، ووضعوا العـالم على شفـا جُرُفٍ هـاوٍ من الحروب النـووية المـدمرة ، وبـالتـالي ولا يحيق المكـر السيء إلَّا بأهله ، ولا زالوا هم زعمـاء الشركـات العظمى لاستنـزاف ثروات البـلاد الآمنة وإرغـامها لشـراء المعـدات الحـربيـة وخلق الفتن وبث النفـاق والحروب فيها . ولسوف لا يعتبرون بـالصبر وقـد وجدوا في أوروبـا وألمانيـا نتائج كيدهم أن هتلر قتل الملايين منهم ، وقبلها المـذابح التي قـاسوهـا في فلسطين على يدي نبوخذ نصر وقيصر امبـراطور رومـا ، ورغم ما وجـدوه من عـطف الشعوب التي بسـطت لهم يد الـرحمة في إيـران بعـد بختنصـر كيف أعانوا فيها على إقامة الفتن ، وسيجدون نتـائج منكـراتهم ومكرهم اليـوم في فلسطين مع أبناء عمومتهم العرب وما بذروه بمساعدة الأيادي المستعمـرة من المكر وأبشع الأعمال في العالم ، وأخص في فلسطين ولبنان وغيرها . وكـل هذه الأعمال تخالف أصول دينهم ، دين مـوسى وإبراهيم ونـوح ودين عيسى ومحمد القائمة على الرحمة والمساواة والعدالة .

أعود لأقول إن أمريكا المانعة للاستعمار والمستنكرة له والداعية لتحرير الأفراد والشعوب ، هي اليـوم وبتأثيـر شركـات الترست والجمعيـات الهدامـة المتجسسـة والفـاشيـة للفسـاد في الـداخـل والخـارج ، هي اليـوم أشـد المستعمـرين لبـلاد الله واستعبـاداً لعبـاده ومكـراً لهم وأشـدهم هـولاً وظلمـاً وطغيـاناً ، وهي ومن تستعمـره مستعمرة بيـد هـذه الأقلية من اليهـود زعمـاء الترست والشركات العظمى كأعداء للبشرية . الأنانيون القائمون على خلاف الـدين الحنيف الذي أمـر به الله على لسـان رسله من نوح وإبـراهيم وموسى وعيسى ومحمـد ، وما أمـر بـه من الـوحـدانيـة والعـدالـة والمسـاواة والخلق الكريمة . وان البشـر إخـوة من أب وأم متسـاوون بـالحقـوق والإحسـاسـات

والشعور وتركيب الجسم والروح ، فمن أين جاؤوا بهذا القسر على البشر ، ودينهم ينهاهم عن الظلم والطغيان . . . .

نعم إن أمريكا مستعمرة للشعوب الضعيفة وتستعمرها شركات الترست ومن ورائهم هذه الكتلة التي جمعت زمام الحكم وقبضت على اقتصاد العالم ، ولسوف ترى ان كلمة الله هي العليا وأنه لا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله والله لكل ظالم بالمرصاد .

٢ ــ أمريكا في يقظة نومية وهي مغلوبة على أمرها ، نست الله وأحكامه ، وان الفطرة تحكم بالمساواة والعدالة وتأمر بها وانها سوف تقتص لا محالة من هذه التي تقول بالعدالة وحقوق البشر وتعمل خلافه ، فأين وعيها؟! أليست في سبات ، في غفلة تسير بحكم أهوائها كما يسير النائم طبق أهوائه لا حكم لسيطرة العقل عليه . هذه هي اليقظة النومية التي يتحكم بها المنوم على الوسيط ، فمن هو الوسيط غير أمريكا ومستعمراتها ، ومن هو المنوم غير هذه الشركات وزعمائها الجشعين الفاقدين للحكمة والمنطق السليم ، الذين لم يجنحوا لدين الله ولا لفطرته ، ولا يخشون من القصاص ، وقد مرت عليهم تجارب التاريخ فلم يرعووا .

٣ ــ تقدم أمريكا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والصناعي والعلمي :

نحن لا نشك بالتقدم المادي فيها في العلم والتكنيك والاقتصاد . بيد أن أمريكا بحاجة إلى العدالة الاجتماعية والتواضع الاجتماعي ، والخلق السامية للأفراد والجماعات ، فإطلاق أسماء لحقوق الإنسان والقول المجرد بالعدالة والمنطق والدعوة إلى الصدق والأخذ بالإحسان كلها أقوال ، وأما الأفعال فهي خلافها ، والكل إلاّ النادر والأندر منجرفون إلى أسفل وأحط الأخلاق ، طالما يسمح للفرد حرية تضرُّ به وبغيره مستبيحاً ما يضر به من استعمال مواد مخدرة وكحولية وحمل أسلحة واستباحة التحايل على القوانين الفردية والاجتماعية ، وإطلاق الحرية الجنسية دون قيود منطقية ، وإرسال عشرات بل مئات الآلاف من الأطفال الحاصلين من الاتصالات الجنسية في

المجتمع دون أن يعرف الآباء والأمهات من خلفوا . والأتعس دون أن يعرف ويألف الأبناء الحنان الأبوي والأمومي في الصغر والكبر ، والتربية المتفسخة هذه التي تترك في العوائل وأفرادها خلقاً يقل بل يفقد بها الحنان والعاطفة الرقيقة ، تلك التي تخلق في المجتمع الإنساني عقداً نفسية للآباء والأمهات والأطفال إذا ما كبروا ولا يعرفون آباءهم وأمهاتهم ويصبحون وبالاً ينتقمون فيه من المجتمع الإنساني الذي أوجدهم محرومين من عطف وحنان الآباء والأمهات .

إن البشرية بقدر تقدمها من الناحية المادية فإنها متأخرة من الناحية المعنوية ، وتتباعد عن الفطرة والعدل الاجتماعي أكثر فأكثر يوماً بعد يوم . وكل أسباب الحروب والصدمات النفسية ترجع لأسباب التباعد عن المعنويات الرقيقة والأخلاق السامية والتمسك بالماديات وحسب . إن هذه الحقيقة بالغة الأهمية ، ويجب أن يحسب لها المركز الأهم في المجتمع البشري ، وخلق روح العدالة والحرية الواقعية ، ونشر الحب بين الأجيال البشرية ، وبث البر والإحسان والتواضع ، والشعور بالمسؤولية الدينية والوجدانية .

٤ ــ أما من يتزعم أمريكا ومن يسيرها؟ بعد أن شرحنا ما مرّ فهو في الواقع ليس رئيس الجمهورية الذي لا يستطيع القيام بإصلاح اجتماعي واقعي كالحظر على المخدرات والمسكرات ، ومنع حمل الأسلحة وبيعها إلّا تحت رقابة وشروط والبت في المساواة بين البيض والسود والألوان والأجناس والأعراق الأخرى ، أو منع حرب أو أمثال ذلك من كل شيء يضر مادياً بالشركات العظمى مهما جلب نفعاً مادياً واجتماعياً للفرد والمجتمع الأمريكي أو البشري .

كلّا وألف كلّا ، ليس لرئيس الجمهورية الرأي ولا للمجلس الأعلى ، طالما تتحكم فيه الماديات دون المعنويات ، وطالما ينظر فيه للمصالح الخاصة دون العامة .

نعم إن الزعامة بيد ذوي الرأي في الشؤون المادية وإن جلبت التعاسة

والمرض ا معنوي والشقاء للمجتمع الأمريكي والإنساني ، ولو صحّ غير ذلك لمنع التدخين ومنعت الكحول التي تبيّنت أضرارها . ولمنع القيام ببيع وحمل الأسلحة داخل البلاد دون قيد أو شرط ، ولمنعت بيع أكداس الأسلحة الحربية في الخارج ، ومنع الاستعمار الاقتصادي ، وإقامة الحروب المصطنعة بقصد سلب ونهب الشعوب ، ولحرم إشعال الفتن والقلاقل والتفرقة ودس الفتن والشقاق والنفاق ، ولمنع رئيس الجمهورية الانقلابات العسكرية الدكتاتورية في الشعوب الآمنة في شعوب ودول الشرق الأوسط .

فمن يدفع أمريكا[1] إلى كل هذه ويقودها ويسيرها ، ومن هو القادر على منعها فهو المتزعم ، والواقع أن العالم يدرك خيره وشره . فلماذا لا يستطيع زعماء البشر من التقارب وحل المشاكل المادية والاقتصادية ، لماذا لا يجتمع « ريغان » وزعيم روسيا وملكة انكلترا أو رئيسة وزرائها ، وزعيم ألمانيا الغربية والشرقية ، ورئيس جمهورية الصين وفرنسا وغيرهم ممن يعنيهم الأمر ، ويحلون الاختلافات الواقعية التي تقود البشر إلى الهاوية؟ لماذا؟ لأنهم أنانيون؟ لا يريدون أن يقولوا ان ليست بيدهم السلطة ، أو ذلك يضر بمصالح خاصة التي تتلاعب بمقدرات الشعوب على حساب مادي ، وانهم جميعاً بعيدون عن المعنويات ، تلك المعنويات التي تقوم على المنطق والعقل والوجدان ، وعلى العدالة الواقعية ، على الفطرة والطبيعة المتكاملة ، على ما أمر به الله على يد رسله من أولي العزم .

٥ ــ فهل يحق لأمريكا ، وهذه صفاتها ، أن تتزعم كتزعم الأب الحنون على حد زعمها ؟ هنا نقرب الأمر ونعود إلى جمهورية أفلاطون حينما قسم حكومات العالم حتى بلغ إلى أحطها وأتعسها ، وهي التي يحكم فيها الرعاع باسم الديمقراطية ويقودهم ويسيرهم فرد إنتهازي . تلك التي يتحكم بها زعيم ثوري التفّ حوله الرعاع المخدوعون باسم الأكثرية ،

(١) وإذا قلت أمريكا فهو كمثل لأنها زعيمة الكتلة الغربية بل هي الأقوى وتماثلها فرنسا وانكلترا وغيرها من بائعي الأسلحة ومثلها روسيا زعيمة الكتلة الشرقية المتابعة لنفس المفكرات من بيع ونشر المواد الحربية وبث نفوذها بشتى الوسائل المنكرة مثل عملها في أفغانستان .

وتقمّص بلباقته لباس الزعامة . تلك التي أبعدت الأقلية الحكيمة العالمة الجديرة بالزعامة التي أبعدت مرغمة تحت ضغط الرعاع ، وفقدت فيها المقاييس المنطقية والعقلية ، وعندها اختفت هذه الأقلية الفذة خشية الجماهير الهائجة ، ووقع الأساتذة تحت ضغط طلابهم وهم يخشون التطاول عليهم ان منعوهم ، ويخشى الآباء من رعونة أبنائهم ، نعم الكل متحمسون ماديون عميت أبصارهم عن المعنويات ، تقودهم غايات خاصة للزعيم المتنفذ ، وويل لمن اعترض ، لاتهام من أراد القول بالإصلاح بالخيانة ، والعقاب الصارم ، واتهامهم عوض الاصلاح بالافساد .

أرأيتم ماذا عملوا بالرئيس نكسون حينما اقتضت مصالح خاصة ، وكيف أخرجوه من معقله؟ أرأيتم كيف قتلوا ابراهام لنكولن وكندي ، وأرادوا قتل ريغان؟! .

إن الزعامة الطبيعية الفطرية هي أعظم الزعامات التي تنص عليها الطبيعة وتنشؤها في الاحياء كحجيرات المخ بين حجيرات البدن ، تلك المصونة والمأمونة في معاقلها والمتمتعة بالحياة الدائمة الغير المتغيرة دون باقي حجيرات البدن ، ومن الزعامة الفطرية أميرة النحل ، ومنها أميرة الأرضة في مملكة الأرضة ، والعقل الأكمل والحكمة الجامعة عند أفلاطون في جمهوريته ، وأنبياء الله ورسله الإلّهيون ، وهذا رسول الله محمد (ص) يقول : أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك . وهذه الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات قوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيُّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ ، بل وكثير من آيات هذه السورة وأخرى في السور الأخرى الداعية لسعادة الإنسان وسمو المعنى والعدل الاجتماعي ، فكيف يجوز لأمريكا أن تتزعم العالم وهي تحمل هذه الصفات ، وفيها ما فيها من المعضلات والأدواء التي لا تعد ولا تحصى ، وهي بأشد الحاجة إلى علاج ، وما ذكرناه بعض أدوائها وعليه ، ان من شوّه الحقائق وزيّف المبادىء ، ووضع الشيء في غير موضعه هو الجاهل وإن أصرّ فهو الجهل المطبق .

٦ ـ هل يصح للمربي والمعلم الناقص أن يكون مربياً ومعلماً وهو يفقد أمثال تلك التي يريد أن يعلمها لغيره وقد قيل : « فاقد الشيء لا يعطيه »؟؟!!

فالأب الذي يريد أن يربي أبناءه على الصدق يجب أن يكون صادقاً ، وإلاّ فمتى وجد الولد فيه كذبة ، لم يقبل منه ذلك ، وإن قبل كرهاً أصبح منافقاً يتظاهر أمام أبيه بما أراد وخالفه في غيابه ، يعني يكون منافقاً مرائياً ، وهذه أخس الأمراض الاجتماعية كما قالت الآية القرآنية : ﴿ **يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **المنافقون أشد كفراً** ﴾ .

نعود للقول : إن أمريكا الزعيمة الداعية للعدالة الاجتماعية ، وإقامة حقوق البشر ، هل طبقت ذلك عملاً في بلادها أو باقي بلاد الله؟ وتلك صفاتها المارة .

إننا نعرف أن أمريكا منبع كبير للخبرات والثروة التي تستطيع أن تسيّر أبناءها إلى السعادة وتفيض على البشر من خيراتها . بيد الكذب والنفاق والجشع والفساد الأخلاقي للمتنفذين والأقلية الانتهازية ، ومتى استطاعت معالجة هذه الأدواء وعدلت السلوك إلى خلق كريمة حق لها الزعامة مادياً ومعنوياً ، فالنفوس تأبى أن يتزعمها من لا ترى فيه الكفاءة ، وإن الضغط والقوة لها مفاسدها ونكباتها للظالم والمظلوم . تلك لها تجاربها في الحياة ، والعلاج الوحيد لخلاصها إصلاح مفاسدها المارة الذكر صادقة مؤمنة بدينها السماوي ، الحق العادل الواقعي الذي هو فوق الضمير والوجدان ، ذلك الذي يعترف بالعقل والحقيقة وكما قال محمد (ص) : إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق ، والقائل : « أُعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك » .

ومن اعتقد بالله الواحد الأحد المحيط المهيمن ، القدير البر الرحيم ، اتقاه وسار على هداه وطلب الخير واتقى الشر لنفسه ولغيره . على حد قوله (ص) : المسلم مَنْ سَلِمَ النَّاس من يده ولسانه ، وقوله : أحبّ لأخيك ما

تحبّ لنفسك واكره له ما تكره لها ، وقد جاء في القرآن : ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾ .

٧ ــ الدول الرأسمالية الأوروبية ، وفي مقدمتها إنكلترا وهي الأم المحنكة المجربة التي مرّ عليها الزمن وشاخت ، بدأت معتدية ظالمة وتحنكت بتلك المزايا واتخذت لتقويتها نفسها أصولاً إيجابية من العدة والعدد وأصولاً سلبية لإضعاف غيرها مادة ومعنى ، فهي الخالقة للفتن والتفرقة العنصرية والعقائدية وحتى القبائلية والجنسية وإضعاف من تريد الاستيلاء على مقدراتها واستعمارها ، كما فعلت في الهند وأينما راق لها ، ومن ينظر إلى تاريخها وتدرجها الحكومي والدولي يرى فيها مثلاً فريداً للحذق المادي ، وأماً للدول الرأسمالية في الشرق والغرب والشمال والجنوب .

أما الولايات المتحدة وكندا وأفريقيا الجنوبية وأستراليا فهي (أي إنكلترا) بالنسبة لها ، لا زالت مركز الثقل والرأي ، والقطب المحرك فيها جميعاً للأهواء والنزعات وهي الخالقة الأولى للمخاصمات المادية الصناعية والتجارية منذ القديم لاستيلائها على الشعوب الآمنة باسم الشركات الغربية والشرقية ، وقراصنة البحر ، والاستحواذ على الثروات ومقدرات البلاد الأخرى ، وزج رجالاتها المدربين أمثال لورنس وعبدالله فلبي وغيرهم ، للإطاحة بالدول وخلق المشاكل والفتن ، وعقد المؤامرات في الشرق والغرب ، ومن تتبع تاريخها أدهشته أفعالها وقسوتها ومظالمها في الشرق والغرب . ومن دقق تدقيقاً أعمق وجد في هذا الشعب الصغير الكامن في جزء من جزيرة انجلند أدهش الحوادث التاريخية ، وعظم بلائها ومظالمها في الداخل والخارج ، وكيف استطاع بحبك الآراء وبث المصائد والتغلب على شعوب كبيرة ربما فاقتها عشرات الأضعاف وسعة ونفوساً ، استطاعت من شباكها العنكبوتية لاقتناصها اقتناصاً لا تطيق حراكاً ، بعد أن مزقتها شر ممزق وفرقتها أمر تفريق على حد المثل المشهور (فرق تسد) ، نعم ترى كيف مدت أطرافها كالأخطبوط ناعماً ثم بدأ يتصلب ويحكم قبضته ويمتص دماءها ؛ وقبض أرواح الأبرياء الآمنين من بشر يستحق الحياة مثلها ، وتراه

يخالف البشر والحيوانات المفترسة ، فالأسد والنمر يأبى أن يفترس أسداً أو نمراً وحسب لسد جوعه ، ولا كإنسان يحمل في نفسه روح الكرامة الإنسانية وحتى لا تشابه الحياة والحيتان التي تلتهم فريستها التي تقاربها في الشكل والهندام والشكل والخلقة والجسامة ، ومتى تم التهامها لها انزوت وقنعت ولا تعود إلاّ متى جاعت ، لا ولا يشابهها من الكواسر والضواري ، فهي عوض أن تتحكم بغرائزها أمام عقلها الجبار تعكس الأمر وتتحكم بعقلها تجاه غرائزها الجامحة ، ولا تكتفي بقنص فريستها وحسب ، ولا بمجموعة مما تحتاج إليه ، بل تترصد بالأقوياء والضعفاء الآمنين ، تستغل أمنهم والمكافحين ، تكيد لهم محتالة قاضية عليهم حتى لو لم يكن لها بذلك نفع في الحال أو المثال تضعيفاً لشوكتهم وتقويضاً لهمتهم ، وبث أنواع الفساد ، متظاهرة بالتقوى ، ومتمايزة بالحكمة ، ومرتلة في أقوالها ما يفعله الواعظ المدلس والشيطان المارد ، وتفعل ما يفتت الأكباد ويفت في الاحشاء وينخر العظام ويوهن الأجسام ، كأنها تحس بالفرحة من آلام الآخرين وشقائهم دون جدوى ، حذار أن تنهض عن هذه الشعوب من ينافسها ، متعمدة أولدت ودربت أبناء حانقين من مستعمراتها السابقة ، يحملون في طيات نفوسهم تلك الروح المتجاوزة الظالمة فأصبحوا وبالاً على البشرية .

والدين المسيحي الرؤوم ، لها برقع تتجلبب به بالدعوة لحقوق البشر وإظهار الأخلاق السامية حيث تفيض في أقوالها ورسائلها ، وأما أعمالها فهي تنافي كل ذلك ، فكأنها تغري غيرها ، وتفجر فيه روح الرحمة والعطف كسلاح تثبط به حماسها لتتسلل من نقاط تلك الرحمة والاطمئنان إلى معاقلها لتدكها ، وهذه الدعوات الإنسانية الكاذبة لا تخفى وإن استمرت طويلاً بيد لا بد وإنه وإن طال الزمن لا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله ، وهي ومن شاركها الصراع بالدم والعقيدة اليوم أمام أهوال الأخطار والأسلحة المدمرة التي إن قامت حرب لا تبقي ولا تذر ، وأمام ألد الخصوم الذين اتخذتهم درعاً واقياً لضرب خصومها الآخرين ، هؤلاء هم الشعوب السوفيتية والدول الشرقية التابعة لها ، أما الدول الأخرى الغربية المعاصرة لأمريكا وإنكلترا فهي تكاد تكون منقادة خوفاً وطمعاً ، وتجمعها العقيدة السياسية مع بعضها

كما تجمعها العقيدة المادية أمام الكتلة الشرقية من السوفيت ومن يتبعهم . .

أما الكتلة الشرقية وهي الروس والدول الشيوعية الأخرى والقائمون على المصالح الجماعية ، تلك المسوَّرة نفسها وشعوبها أفراداً وجماعات بنطاق حديدي تحت كابوس اقتصادي وفكري عصيب ، مسلوبة من الحريات المادية والمعنوية ، وتسير كحكم آلة صماء مفتاحها بيد الكرملين ، كأنها خلقت لتستعد للخصام وتجمع ثروتها وتزجها لصناعة الأسلحة الفتاكة تحت غطاء سري فقدت فيه الأفراد والجماعات أرق العواطف والغرائز البشرية بحكم سيطرة الهيئة المهيمنة ، وأشد مادية من الكتلة الغربية وأبعد عن المعنويات ، من الوجدان ، والإيمان بالقدرة الإلّهية التي تؤثر على بعض سلوك الأفراد والجماعات الغربية الرأسمالية . فهي تطبق قانوناً موضوعاً من لدنها ما هي إلّا نظريات مادية بحتة وحسب ، لا يمنعها رادع ديني أو وجداني أو تعترف قولاً أو فعلاً بحقوق الإنسان المادية الأخرى والمعنوية ، وقد حددت ملكية الفرد بقوت لا يموت ، كما حددت سلوكه في أقواله وأفعاله ، بشكل لا تقره الطبيعة والفطرة والمنطق السليم ، تحت كابوس وضغط لا يطيق أن يحيد عنه ، والويل لمن حاد ، وكأن المرء في محيطها يعيش في حياة أخرى غير إنسانية وغير بشرية ، والحقيقة أن للحرية الفكرية والحرية البدنية والحرية المالية والتجارية والحريات الأخرى التي يتمتع ببعضها الرجل الرأسمالي ، لها مزاياها الحسنة التي لا تنكر ، إلّا ما ينكر على الشركات الكبيرة المحتكرة في الشراء والبيع التي مرّ ذكرها وكلاهما خارجان عن حد الاعتدال .

فالرأسمالية تجاوزت حرياتها للاعتداء على الأفراد والمجتمعات والشيوعية قضت على كافة الحريات ، ورغم ما يؤخذ عليها من السيطرة العظمى في احتكار البيع والشراء والتحكم في شتى نواحي الحياة ، ومشاطرتها الحكم في الأمور الاقتصادية والسياسية ، وعبثها في الداخل والخارج على أفراد الشعب وجماعاته في الداخل ، وتلاعبها في شؤون الدولة لكسب الربح وأثرها على الشعوب الأخرى ، أخص العالم الثالث ،

كما مرّ ، مما يجلب الأسى والفساد لكسب المغانم دون أن تحسب حساباً لمغارم شعوبها أو غير شعوبها كما مرّ ، وذكرت ذلك عند الحديث عن الرأسمالية ، نعم هذه الأوبئة والأمراض الاجتماعية ، فإنها بما تفرضه من الضغط وتجلبه من الأضرار ، إنما هي أقل من القليل بالنسبة للشعوب الشيوعية المسلوبة من أي حق أو إبداء رأي مهما كان ، فهي تعيش في حالة اختناق مفروض عليها من الضيق لحد المشاعر والعواطف وأجل التضحيات في سبيل الدين والعقيدة والإصلاحات مهما كانت طالما تخالف الآراء والنظريات الشيوعية وأساليبها الاحتياطية ، وبهذا تكاد تفقد روح الإبداع والابتكار الفطري الطبيعي مهما حكم به العقل ووافق الحكمة والمنطق السليم ، كأن الإنسان آلة صماء أمام أنظمة وقيود فردية وجماعية لا يجوز له تخطيها ، أو يسمح له أن يفرِّج عن نفسه التواقة لنزعة الحياة والعيش في الأجواء الوسيعة ، قد فقد روح الطلاقة ، وكبِّل بقيود عظمى لمد روحه ومشاعره التواقة لما حوله أو الافاضة على الآخرين أو الكسب منهم بما يزيل عقد الحياة الممضة وينهنه نكداتها من الجو المغلق والأنفاس الخانقة والمحاجر والمحابس الضيقة .

ومن تصفح الحياة في البلاد الشيوعية المكبلة وأقربها ما يحصل من الضحايا في برلين الشرقية إذا ما سولت له نفسه التخلص والهروب إلى برلين الغربية عرض نفسه للقتل والموت ، ورغم ما في ذلك من خطر فلقد وجدنا من عرض نفسه للموت عساه أن ينجو من ذلك السجن أو يموت ويستريح مما هو فيه ، وكم سمعنا بأفراد انطلقت من محاجرهم وأقلامهم فلتات مكبوتة، فحكموا بأشد العقاب تلك أعز ما للإنسان العاقل المفكر المبدع من عذاب في الحياة أن يبقى في مثل هذه السجون .

هنا تستطيع أن تدرك ما ترمي إليه الأديان السماوية من سعادة البشر وتريد تحقيقه وهو الحد الوسط بقول الإمام الباقر لابنه جعفر الصادق حفيد محمد خاتم المرسلين حين يوصيه قائلاً : (خذ الحسنة من بين السيئتين) ، أي خذ الحد الوسط دوماً ، فلا إفراط أو مغالاة ولا إحجام أو مقالاة ، إذ في

كل شيء يجب رعاية الحد الوسط في مسالك الحياة حتى في الأكل والشرب ، ومن أحسن الوصايا الواردة حول ذلك ما ورد في القرآن المجيد الآية : ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وتعتبر من أبدع القواعد الصحية وأعظمها للوقاية فيما يخص الجهاز الهضمي ، وما ورد في النواحي الاقتصادية قوله تعالى في القرآن: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ ، وفيها أجمل التعاليم الاقتصادية المتزنة والسلوك المحمود ، ومنها الآية المنسوبة للقمان الحكيم ووصيته لابنه الواردة أيضاً في القرآن الكريم ، قوله تعالىٰ عن لسان لقمان موصياً به ابنه : ﴿ ولا تصعّر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾.

انظر إلى هذه التربية النفسية الإنسانية في الدين إلى مكارم الأخلاق والسلوك السوي ، ترى في كل منها الحد الوسط ولهذه القواعد آثارها المهمة البليغة في سير الحياة المادية والمعنوية الصحية والاقتصادية والاجتماعية ، وترى في القرآن والأديان السماوية صنوف الحكمة والجمال وصنوف الجلال العقلي الذي يطنب بها الله كما جاء في القرآن قوله تعالىٰ : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ، وكم كرر أفلا تعقلون وألا تتدبرون ، وقوله : ﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾ ، وقوله : ﴿ صمٌّ بكمٌ عميٌّ فهم لا يعقلون ﴾ في الآية ١٧١ من سورة البقرة ، وهناك الغرائز التي وضعها لنفع الأحياء وأخص منها الإنسان فهي مقيدة ما استعملت في الحد الوسط دون زيادة أو نقصان ، ومتى أفرط بها الإنسان في أية غريزة أصبحت سيئة ومضرة وكما لو أهملها ومنعها كالغريزة الجنسية وحب الذات وغريزة الأكل والشرب بل جميع الغرائز المادية والمعنوية فمن قالها وفعلها واستقام كما فرضتها الشريعة في القرآن والسُنّة فهو مسلم ومؤمن كملت مروءته وطابت سيرته ، ومنعت غيبته ، وبرئت ذمته ، وإن كان حاكماً أو إماماً وجبت طاعته ، ومن قال وخالف قوله

عمله فهو منافق وكذاب قد بانت حيلته ووجبت فرقته . فالعمل بعد النية والقول يظهر الواقع ويجلو الحقيقة ويكشف الطريقة ، والنفاق أشد أنواع الكفر والمنافقون في أسفل درك من الجحيم .

ولا يجوز الطعن بالدين أبداً إن صدر العمل القبيح من منافق باسم الدين ، ومزلق تبرقع ببرقع التقوى ، وإذا بأفعاله تخالف أقواله ، ومن هذا قد حذر القرآن في قوله تعالىٰ : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ آية ٤٤ من سورة البقرة ، وفي سورة الصف الآية (٢ و٣) ﴿ **يا أيُّها الَّذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ ، وفي سورة البقرة ، آية (٤١) : ﴿ **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** ﴾ ، وكم شكا رسول الإسلام وخليفته الإمام علي من المنافقين ، وكم ذمهم الحكماء والشعراء ، ومما قاله الشاعر :

« يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب»

والحقيقة مهما أراد أن يراوغ ويخادع المنافق فسوف تظهر للملأ وللرأي العام أخص في رأي العلماء والحكماء خير شاهد والله من ورائهم رقيب وحسيب ، قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناس تعلمِ

إذ قد يبلغ الزعيم المنافق المخادع درجة من الدقة والحذر في الغش والخديعة حيث تنطلي مبدئياً منوياته وأسراره الواقعية بيد هيهات أن تبقى مكتومة ، وسرعان ما يدركها العارفون المخلصون ، ويعرفها الممحِّصون الفاحصون الحكماء والمحققون المدققون من أهل الفن فيعلنون زيفها ، وهيهات أن يستطيع المغرضون قلب الحقائق لمتقي وزين وفقيه أمين ورباني في الدين في طمس أفكاره وإخفاء أنواره ، وإذا قيل : الحقّ يعلو ولا يعلى عليه ، فذلك قانون طبيعي وفطري من رسوب ما ثقل وسمو ما خف ، من

بارد كثيف النوع وزين، ومشع في الأجواء مبين ، وكما جاء في الآيـة ١٧ من سـورة الرعـد قولـه تعالىٰ : ﴿ أنـزل من السماء مـاءً فسالت أودية بقـدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدونَ عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبـد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل * فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما مـا ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ .



المقالة الثانية

الانتظار المرير للمُصلح !

حيرة العام ! من هو الجدير بالزعامة؟ أي المسالك والمذاهب أجدر بالاتباع؟ علل الشقاء ينبعث من استحواذ الغرائز على العقول ! الباعث للأنانيات والنفاق والمظالم وسلب الحقوق. ما أجدر الإنسان باتباع سلوك حكومة البدن الإنساني من حجيرات وأنسجة متضامنة . واتباع دين الفطرة وحكومة الله المنبعثة من حكمة وجدانية أو نبوة ربانية . ومزج الماديات بالمعنويات . من هو منقذ البشرية من الهوات الساحقة والمكائد الماحقة؟ .

حيرة العالم ، تجاه هذه الحياة الزاخرة بالماديات والنفاق والاعتداءات والتجاوزات والقسر والحروب الطاحنة .

حيرة العالم لوقف المظالم والحروب ! لمنع التسلح ، لتدمير الأسلحة الفتاكة ، على اختلاف أنواعها! لوقف التنافس . وكم هي أضرار هذا التنافس ؟ وما هي منافعه ، وما هي علله؟ هل بالامكان وقفه كلًا أو جزءاً ؟ كيف الوقاية؟ ما هو العلاج القاطع ، اغتنام الفرص! اغتنام فرصة الزعماء من الدول العظمى ، المعول عليهم سعادة العالم !

من هم هؤلاء الزعماء؟ أهو زعيم أمريكا؟ ومن هو زعيم أمريكا؟ أرئيس الجمهورية ، أم هو نقيب شركات الترست؟ أم رئيس القصر الأبيض أم غيره؟ أزعيم روسيا؟ ومن هو زعيم روسيا؟ . أو زعيم الصين؟ إنكلترا؟ فرنسا؟ أهو البابا؟ أم هم علماء الدين في كافة الأديان والمذاهب؟ الحكماء؟

الكُتّاب؟ أمجموعهم متحدين؟ أم هو نور وحكمة ويقين مقرون بإرادة وعَزيمة يلقيه الله في قلب فينهض بها بحول الله وقوته؟ أم هي قوة طبيعية مكنونة في قلب المجتمع الإنساني والخلقة؟ أم هو سر يظفر به ذو أهلية متفوق، فأخص باحث حكيم مُصلح، شريف، عطوف، مجد دؤوب، موقن ببلوغ الهدف لانقاذ البشرية؟ أم هي قدرة ربانية يودعها من يشاء ويجمع فيه القدرات لإحرازها؟.

الكلمة الطيبة! أصلها ثابت وفرعها في السماء تأتي أُكلها كل حين بإذن ربها، فأين هذه الكلمة التي تلم الشعث وتصد المظالم وتدعو إلى السلام؟ ما هي هذه الدعوة؟ ومن يدعو لها فيطاع رغبة أو رهبة أو كليهما؟.

كيف تبدأ؟ وكيف تدخل البيوت من أبوابها؟ ومن يكلم الناس على قدر عقولهم؟ وقد قال الحكماء: الناس معادن. وهناك من شبههم بشتى الأحياء. فقالوا فيهم الأرواح الطيبة والشريرة، وفيهم الضواري الكاسرة، وشتى أنواع الحشرات النافعة والضارة، وفيهم كل الطبقات المشابهة لشتى صفوف الأحياء، فيهم من يركن للطيب وآخر للعفن، ومن يصغي للمعروف وآخر للضغن. وقالوا لكل باب مفتاح ولكل حرب سلاح، ولكل حرفة أداة، ولكل نبتة نواة، والعاقل من وضع الشيء في موضعه زماناً ومكاناً وراعى شروطه، فأين هذا العاقل؟ وإن وجد فكيف يطاع؟ أبالرغبة أو الرهبة أم كليهما؟ ومن أين نأتي بهذه القوة وذلك التدبير؟ أنجده بالبحث؟ أم تولده الضرورة؟ أم يولد باكتمال الشروط المادية والمعنوية؟.

ما ذكرته من الأسئلة يمر بخاطر كل من يحفّزه الشعور والاحساس، حين يقف مذهولاً أمام هذا العالم الطبيعي المنسجم في هياجه وصخبه، وهدوئه وسكينته، وهذه النفوس الإنسانية الدائبة على نواميس الحياة ومعترك قواها من الغرائز والأهواء والشهوات والعقول والأفكار والملكات، من سائبة أو كابحة ومستترة وجامحة، ومسيئة وحسنة، تقودها تارة الغرائز باعتدال أو تخرجها عن ذلك الميزان المعتدل في الزيادة أو النقصان، بين مستهينة

بائسة خاسرة ، أو جامحة حائرة ، فقدت وعيها واتزانها ومنطقها من عقل وحكمة وإرادة وهمّة .

راجع التاريخ ، وتابع سير هذا البشر خليفة الله في أرضه ، وانظر إلى سيرته وسلوكه وكيف قادته غرائزه التي وضعها الله فيه لقوامه وسلامه وسلامته ، أوكلها إلى عقله وحكمته وتجربته وإرادته ، وقد أراه طريق الخير والشر كما في قوله تعالىٰ : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ .

بيد ومن المؤسف ، ومنذ اللحظة الأولى تخرج الغرائز البشرية عن اعتدالها للافراط والتفريط وتأسر العقل المدبر الحكيم وتستخدمه لأغراضها ، ولا تفلح الإرادة المريدة الحازمة ، وتفرض بديلها الأهواء الجامحة ، من حرص وشره وجشع وطمع ، وقد سدت نافذة العقل الحبيس وما يرسله من الصرخات الإنسانية ونذير وتحذير[1] وأوغلت للصدام والخصام ، والنزاع والصراع باسم العقيدة والقومية والعنصرية والنخوة الجاهلية ، وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، وشتت بين البشر ، بين الاخوة المتجانسين في الروح والمادة والحس والشعور وباينت بينهم باللون والجنس والعرق والعادة والعرف والحسب والنسب ، فقال : هذا أبيض وهذا أسود وذاك أصفر ، وهذا شرقي وذاك غربي وهذا ذو دين وعقيدة كذا .

فرضت أنظمة وقواعد وقوانين لا تركن إلّا إلى مقاصد وغايات تسند أهواءهم وترضي اغواءهم ، لا يرتضيها العقل السليم والمفكر الحكيم ، وكل يدّعي الصواب وأن الحق إلى جانبه (وهو خلي منه) .

---

(١) في ٨١/٢/١٩ في هذا اليوم أعلنت الإذاعات تحذير الدكتور كولد والدهايم سكرتير الأمم المتحدة، أعلنه للعالم الإنساني أجمع من التطاحن والحرب. قائلاً : إن المعدات الحربية المدمرة لدى الجهات المتخاصمة بلغت درجة مخيفة تكفي لتدمير مضاعفات البشرية القائمة ، وقال : توجد اليوم ما يساوي مليون قنبلة ذرية أشد هولاً وتخريباً من القنابل الأولى التي أُلقيت على المدنيين اليابانيين ، وقد ظهر بعد تفجير القنبلة الهدروجينية أنها تساوي ٢٥٠٠ ضعفاً من الشدة التي تحويها القنبلة الذرية الأولى .

وكـــل يـــدعـي وصـــلاً بـليـــلى   ولـــيـلى لا تـــقـــر لـــه بـــذاكـــا

وكـل منهم يقوم بـاسم المصالـح الإنسانيـة والحق والعـدالـة بجـرائم وفجائع تسود وجه البشرية من مظالم واعتداءات وقتل الضعفاء والأبرياء ونشر الفتن وبث المحن وتخريب البلاد وتعـذيب خلقه في الشـرق والغرب لسلب ثرواتهم وصد اعتراضاتهم ، فمرة ترى تـدمير مـدن بكاملهـا كما فعلت ذلـك في هيروشيما ونيازاكي بما فيها من أحياء وما حوته من أطفال وشيوخ ونسـوة غير محاربين ، وبما فيها من حيوان ونبات ، وبعـدها تـدمير فيتنـام ، والفتن والحروب المقصورة في الشرق الأوسط من مركـز البؤرة الانتانيـة المصطنعـة (فلسطين) لمحض سلب أهم ثروات هذه البلدان من نفط ومعادن واستبـدال أثمانها بالأسلحة الفتاكة وبعد بث الشقاق والتفرقة بين الأمة الواحدة والشعب الواحد وإثارة الخصومات فيما بينهم وقيامهم بأشـد أنواع الهجمـات البربـرية الواحدة على الأخـرى دون مبرر ، وضـرب الآمنين من مدنيين فيهم الأطفـال والنساء والشيوخ العـزّل ، ومذابـح ومجازر بين الأهـل والجيران من السكـان لتضعيف شوكتهم ، وتدميـر قوتهم ، وتحـطيم نهضتهم ، وتركهم بـلا حراك أذلّاء خانعين وصغراء خاشعين لا حول لهم ولا قوة .

وإذا تعمقنا وتساءلنـا عمّا أدت إليـه القنابـل الذريـة في هيروشيمـا غير استئصال الحرث والنسل ، وما تركته في هذه البلاد بعد القتل من المشـوهين والناقصين والقاصرين . ومثله ما قامت به الطائرات الأمـريكية ذوات الثمـانية محركات من القصف على المدن الآمنة في فيتنام من تدمير البلاد وفي لبنـان شمالها ووسطها وأخص جنـوبها على السكـان الآمنين من قتل وفتـك ، وفي الحبشة والصومال وافريقيا الجنوبية وأمريكا الوسطى ومئـات البشر المتعوس الهـارب إلى المعتقلات الفـاقـدة للزاد وحتى المـاء ، وهنـاك في شتى بـلاد العالم من افريقيا وأمريكا الوسطى والجنوبية كما مـرّ ثم تعود للدول العـظمى المتنـاحرة ومـا تعـده من وسـائـل الحـرب المخيفـة ، ومـا تنفقـه على هـذه المعـدات من الثروات الهـائلة في الحين الذي هنـاك الملايين بـل عشـرات الملايين من هذا البشر الحامل لنفس الشعور والإحساس والأعضاء والخصال

والاحتياجات يتضور جوعاً والذي تعتوره أشد عاهات الأمراض لسوء معيشته وتربيته والفاقد لأعز ما منحه الله مثل ذلك للأوروبي والأمريكي من وسائل الحياة والحس والشعور، فأين الصرخات الداوية لحقوق البشر؟ وماذا تعني هذه الدول العظمى المجتمعة في جامعة الأمم المتحدة؟ وما معنى حق الفيتو وأي إصلاح تعنيه؟ وأي فائدة من المؤتمرات اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية والمفاوضات لوقف ومنع الأسلحة الستراتيجية بين الشرق والغرب؟ وماذا تعني الجاسوسيات في الدول العظمى وآثارها؟ هل لقصد الإصلاح أو الإفساد؟ وهذه الشركات العظمى الأمريكية، أخص منها المتجرة بالذهب الأسود (النفط) ، وتلك التي تعد الأسلحة الفتاكة من طائرات ومدمرات وصواريخ ودبابات ، وهي تنهب وتسلب الشعُوب المستضعفة نفطها وثرواتها ، وتبعث في صفوفها الوهن بالتفرقة والمخاصمات لتجردها من ثرواتها وتقدم للمتخاصمين أهول أنواع الأسلحة لتفتك الواحدة بالأخرى ، وتقضي على نفوسها وثرواتها ، وتعيد بها القعقري ضعيفة مقهورة مسلوبة بعد الثراء والقوة لترضى بما تفرضه هذه الشركات الغاشمة وتعود رابحة غنية فارهة تعيش بها عيشة الكبرياء والبخترة على حساب كادحي ومستضعفي العالم ، فأين حقوق البشر؟ أين حقوق البشر في تلك الجاسوسية والدكتاتوريات المصطنعة على أيدي طغاة مترفين يعيشون في بلاد الله ، لسلب الحريات وإذلال الأحرار والمنادين بالإصلاح ومن بينهم أولئك المكبلين بالقيود والمدحورين في الزنزانات لقطع دابر الإصلاح والمصلحين ، وحد نشاطهم وفسح المجال للظلمة الغاصبين للعبث بمقدرات الشعوب ، وتلك روسيا وما فيها من أسرار وأهوال وحريات مسلوبة . .

حقاً لا تكاد تحصى وتعد الحقوق المسلوبة من البشر بيد البشر ، وهذا البشر المتجبر المنافق الذي يهب غاضباً مستصرخاً مستغيثاً لبضع أفراد وقفوا معززين مكرمين كالرهائن الأميركان في إيران ، ويملأ وجوه الصفحات من مجلات وجرائد وشاشات التلفزيون واجواء السماء والأرض بالعويل والبكاء لفرد أو أفراد جرحتهم قنبلة طائشة في فلسطين ويوصمون الفاعل

بأبشع وأخس ما يمكن أن يوصم به من وحشية ، وبـأبشع مـا تمجه النفـوس وهو المدافع عن حقه بما تقره العدالة ، في حين يفتك الغاصب يومياً ويُـدمر المدن والقرى ويقتل السكان الآمنين عدواً وعدواناً فلا تـرى القائلين بحقـوق البشر في الدول العظمى وفي مقـدمتهم أمـريكا وروسيا لا تُسئل الأولى عما تحـدثه في الشـرق الأوسط أخص لبنان وحـرب الخليج والأخـرى أخص في كمبوجيا وأفغانستان .

نعم في إيران والعراق وجنوب لبنان بيد أوباش وعمّـال وأذناب الـدول العظمى فلا ترى لدعاية حقوق البشر سوى السخريـة والاستهزاء والمـرور بها مرور اللئام (لا الكـرام) ، وإذا وجدت كلمـة تؤثر فهي دمـوع التماسيـح أو بسمة الذئاب الكاسرة المكشرة عن أنيابها .

إن العالم اليوم يمر بأدوار عصيبـة لا عهد لـه بها من الأخـطاء ويستعد لحـرب فوق الحـرب الشعواء كـل منهم للقضاء على خصمـه ، بل الحقيقـة القضاء الأكيد على نفسه وخصمه والمحايدين . إذ ربمـا كانت في المـاضي البعيد في حروب السيف والـرمح غـارات ونهب وسلب تفقد بهـا جماعـة أو جيش أو مدينة بعض ثـروتها ، ويقتـل بها المئـات والألوف بـالسيف والرمـح ويستعبد شعب شعباً وبأسره ، وتلقى الشعوب الواقعة على ممر هـذا الجيش الأمرين من سلب ونهب وقتل تلك أشدها ، بيد لم تجد أبـداً ولا سمعت في العهـود الغابـرة البعيدة حـادثة تشـابه بمـا فعلته القنبلة الـذرية في هيـروشيما ونيـازاكي ، تلـك التي أصبحت اليوم من أخف الأسلحـة المدمـرة إذا قيست إلى ما ابتكرته الدول العـظمى بعدهـا من الأسلحة الهيـدروجينية والكـوبالت والكيماوية والشعاعية والمكـروبية ، وغيـرها التي لم تبق ولم تـذر في الشرق والغرب والشمال والجنـوب ، ولم يسلم فيها لا بحـر ولا محيط في أعماقهـا وسـطوحها ، ولا أرض ولا سمـاء مما تشعبت من أقمـار دائرة في الأجـواء ، وغـواصات في الأعمـاق ، ومعـدات السمـع والبصـر والعقـول الالكتـرونيـة الحـاسبة ومـا خفي منها أشـد وأنكىٰ . وبعد هـذا فماذا يقصـد بهـا الشـرق ودولـه ، وما يقصـد بها الغـرب ومله ، أهي تريـد وضع سيـطرتها بعـد هذه

الحرب الكاسحة على حضارة مدمَّرة ، وشعوب محطمة ، فقد المتخاصمان كل مباهج الحياة من نفوس عالمة ونظم قائمة وثروات جسيمة ومدن عظيمة . فلم يبق منها إلاّ فلول ناقصة وأجسام بائسة ، تطاردها الأوباء ، وتشلها الأعضاء ، مثكلة بالازواج والآباء والأبناء . وبعد هذا ؛ فهلا يجدر بزعماء الدول العظمى في هذا العهد الجديد الذي لم يسبق له مثيل من بلوغ العلم والفن هذه الدرجة التي سيطر بها البشر على المحيطات وأعماقها والأجواء وآفاقها، وتقارب ما يشمل السمع والبصر ، وما شمله من مشاعر وفكر ، من أدوات مسجلة وحاسبات مكملة واشعّات موغلة ، واشعاعات موصلة ، ما يقرب البعيد ويسهل الشديد ، ويلين الحديد ويحيل الغاز إلى جليد ، في هذا العصر الذي يعكس للعالم في اللحظة أوامره ويتلقى خواطره ، الذي دقّت معاييره وأصابت مجاهيره ، في هذه الجامعة الإنسانية المتجانسة والمتشابهة بجامعة البدن الإنساني المترابطة بأعضائها وأجزائها ، من أجهزة متساندة وأعضاء متواردة وحجيرات لخدمتها صامدة ، دائبة على عملها لا تخور ومخلصة في كل الأمور ، إن تألم عضو شاركته بقية الأعضاء بالآلام وجدَّت في شفائه متضامنة حتى يشفى من الأسقام ، لا تفتأ جميعاً مجدة في وظائفها ، دون كلل ومطيعة لما يردها لتسديه دون ملل ، تبعث بأنبائها صادقة وتردها أوامرها بالجد بارقة ، كلها للكل خادمة ، وفي حقوقها بالعدالة قائمة ، وبعطفها الواحدة للأخرى دائمة ، هكذا خلقتها يد الحق فسارت ممتثلة سعيدة وجادة في خصائصها فهي رغيدة .

أما الإنسان فما أجدر به أن يماثلها بإقامة العدالة الاجتماعية ويسير مثلها دائباً لخدمة بني نوعه الذي يخدمه لا تغريه الغرائز ولا تهزه المغريات والهزاهز ، ويعمل لغيره كما يعمل لنفسه ، ويطيع منبع الحق وبوحي العقل .

نعم آن للإنسان أن يعود للعدالة الاجتماعية ويعمل بها ، ليسعد هو بسعادة أبناء جنسه ذلك حكم الله عند الموحدين المؤمنين . وحكم الطبيعة العادلة التي قامت من الخلقة الإلّهية المسيطرة ، وما شقاؤنا في هذه

الحروب وما نلقاه من الآثام والآلام إلاَّ لإعراضنا عن المنطق السليم والعقل الحكيم ، عمّا فرضه علينا دين الله الواحد الأحد ، الذي أعطى كل إنسان رشده على حد قوله تعالىٰ في القرآن الكريم : ﴿ **إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً** ﴾ .

ولم نجد داعياً واقعياً لحفظ حقوق البشر والعودة إلى العدالة الاجتماعية والعدالة الطبيعية الباعثة لخير البشر ونشر الرحمة والسلام والسعادة إلاَّ ممّا أمر به الله رسله والذي ختمه برسالته في القرآن ، وما أحلى قوله : ﴿ **وبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه * أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب** ﴾ .

ويا للبشرى والسعادة للمصغين لمنطق الحق ، فالمنطق السليم هو الذوق الصادق المتساوي عند جميع العقلاء ، والعاقل الذي يضع الشيء في موضعه . ومتى وضع الشيء في موضعه أعطى أحسن النتائج ، وهذا ما نرجوه في سيرة الإنسان وسلوكه سبيل الحق على حد ما قال رسول الله محمد (ص) : « أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، والله أقرب للمرء من حبل الوريد ، والله يعلم السر وأخفى ، ومتى اطمأن الفرد بهذا كله وعمل به كان قد أحرز كل واحد منا العدالة الاجتماعية كالحجيرة في جسم الإنسان : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعىٰ وإن سعيه سوف يرى** ﴾ سواءً أكان للخير أو للشر .

وبعد هذا كله فمن هو الذي يسير هذا البشر ويربط أعضاءه ويعيده إلى العدالة الاجتماعية وينطق صدقاً ، وتكون له الهيمنة الصادقة لربط أجزائه إلى بعضها ، ويضمن اعتداله في هذه الحياة العصيبة المتكالبة . من هو الذي يستطيع أن يمتلك زمام هذا البشر ، زمامه المعنوي والمادي ، فيقوده قيادة أب رؤوف رحيم ، وبيده القدرة على تأنيب من خالفه وعصاه ، فيسيّر البشر رغبة وإلاَّ رهبة ويبعث فيه تلك الروح الواقعية التي يعمل لله وللحق دوماً لا تغلب عليه الأهواء .

لقد ثبت منذ بدء التاريخ أن خير دعوة للخلق إنما وجدت من

منبعين : إما منبع حكمة وجدانية ، أو منبع نبوة ربانية ، والأخيرة خيرها ، وسنضرب مثلاً على كلٍ منها .

١ ـ منبع الحكمة الوجدانية : تلك التي نجدها في جمهورية أفلاطون التي وضعها نظرياً ولم تطبق عملياً ، وقد دعاه لكتابتها ما خامره وما حس به من الاجحاف الذي وقف عليه من الحكومات البشرية الدكتاتورية والمطلقة على أبناء البشر . وما يلزم في وضع حدٍ لذلك الاجحاف ، ولم يطيق أفلاطون جمهوريته لا في عصره ولا بعدها على الشاكلة التي أرادها ، ولقد أراد في أواخر أيامه أن يعطي هذه الجمهورية تعديلاً فلم يؤآته القدر .

٢ ـ أما المنبع الثاني فخيرها المنبع النبوي الرباني : ولم يستطع أن يقوم بها ويجريها نظرياً وعملياً أحد الرسل سوى محمد (ص) . ومن يحجم عن العصبيات الدينية والعقائدية الأخرى ويمعن بعين الانصاف والحقيقة دون أن تأخذه عزة في الاثم : بنظرة فاحص خبير من نواحي عديدة ، تاريخية ، اجتماعية ، أخلاقية ، علمية وعملية ، ويعرف حياة محمد (ص) ومحيطه الذي نشأ فيه ، وأنه يتيم وأُميٌّ ، في ذلك المحيط المتناهي في الفقر والجهل . ويتتبع سيرته ومراحل دعوته ، والوحي والكتاب المنزل وسنته في أقواله وأفعاله ، وإدارته وتربيته لصحابته ، وأهل بيته وتدرجه في الحكم ، لوجده خير من ظهر وجاء بشريعة جامعة لتأسيس حكومة عادلة اجتماعية طبيعية ، تجمع بطيها المساواة ، والحريات ، والعدالة والرحمة والاخوة والحب وسعادة أفراد البشر وجمعهم جميعاً تحت لواء واحد بما فيهم من قوميات وعناصر وأجناس وألوان ولغات تحت لواء واحد لا يميز بينهم سوى التقوى ، والتقوى مجموعة الفضائل الإنسانية والأخلاقية والعلم وهي أعظم معاجز نبوته ، بيد وكل الأسف وقد انطبقت الآية القرآنية الشريفة بعد موته في قوله تعالىٰ : **﴿ وما محمد إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . ﴾** وقد انقلبوا على الأعقاب ، ونحن بحاجة ماسة للم شتات وشعث البشرية تحت أصوله وفروعه ، وكتاب الله وسُنَّة خاتم أنبيائه وما أمر ونهى في جميع كتبه المقدسة وعلى لسان رسله وأنبيائه ،

واليوم وهذا العالم المتقدم من الناحية المادية والمتردي من الناحيـة المعنويـة والاجتماعية ، المتناصر في الشرق والغرب ، الماكر المحتال ، الخارج على جميـع الصفات المثلى الإنسـانية ، إلى الكـذب والنفاق والمكـر والخـديعـة والجشع والتجاوز باسم القانون الذي وضع أُسسه لتـرسيخ سيـادته من هضم حقوق الضعفاء والاعتـداء على الأبريـاء وسلب حريـة الأحرار أخص أولئـك المنادين بالإصـلاح ، قائماً بالفتن والفسـاد بين الشعوب وإقـامة المجـازر ، بقصد الغاره والاستحواذ على منابع ثرواتهم ومـوارد رزقهم ورفاههم غيـر آبه بمصائبهم من فقر وجهل وأمراض . كالذئاب الكاسرة ، تدمر القطيـع وتفتك بالعشرات والمئـات بغية الاستحـواذ على واحدة لالتهـامها ، بـل هي أشد ، تسلب حياة القطيع كله وتفتك براعيه .

ومن الغريب ترى رجالاً يتزعمـون دولاً عظمى ، ويقيمـون المؤتمرات ويتبـادلون الأفكـار ويطعنـون بزعـامة دول أخـرى وهذه الـدول لا تخلو : إما ضعيفـة أو قويـة ، عدوة أو صـديقة ، أمـا الضعيفة فيـاويلها من تـأمر القـوية لالتهامها والعدوة الخصمة من افتراس ضعيفة أخـرى ، وهيهات أن تـرى بين الأقوياء أسداً يكتفي باقتناص ما يسد به رمقه ويترك القـطيع يسـرح ويمرح ، كلا وألف كلّا فالنهم والجشع ديدنهم ، والظلم والطمع معدنهم ، ولو أوتـوا ذرة من الشرف والانصاف لاكتفوا بسد حاجتهم ، ولو أنهم أصغـوا لصرخـات العقل ، لدبـروا الأمر واتجهوا للبر والعـطف والمنطق الإنسـاني وعلموا أنهم اخـوة من أب وأم ، واتخـــذوا ســبيل الألفـة والســلام والـوحـدة والـوئـام ، وأحلّوا الصفـاء بدل العـداء ، وأبدلوا نفقات التسلح بمـا يعـود عليهم وعلى أبنـاء جلدتهم بالصـلاح ، ومـد البعض للبعض الآخـر يـد المحبـة والـوفـاق وأحسنوا العشرة وأقاموا الحسنة مكان السيئـة وكيفوا أنفسهـم تحت إدارة دولـة واحدة عالمية حكيمة ، ذات مبدأٍ واحد ورايـة واحدة ، يتسـاوى فيها الأفـراد والجماعات ، كل على قدر طاقته وعمله وصنعه وبالتالي حاجتـه ، وأصلحوا عـوض المخاصمـات ألفهـــم ، ووقوا أنفسهـم من الجهـل والأمراض والفقـر والعوز .

ولكن ، هيهات فقد دلّت التجارب أن ذلك لا يكـون إلاّ بتدبيـر خارق ويد رحمة إلّهية تمده بكل الملكات المادية والمعنوية ، شـأنه في إرسـال من أرسله في أحرجها للعلاج إسعافاً وبالوقاية انصافاً .

كما يصف ذلك الفقير الأمي في أحرج الأزمـات الزمنيـة ، وأرسله من أحط البيئـات فقراً وجهـلاً واعتداداً بـالعادات والخـرافات الجـاهلية ، ليبسط قـواعد العـدالة الاجتمـاعية ، ولينيـر الشرق والغـرب وينقذهـا من الانحطاط الاجتماعي والخلقي بعثه ساعة عسـرة ألمت بالعـالم ، يوم بلغ الـظلم بأبنـاء البشر مبلغاً كان حقاً على الله إسعاف البشرية بمثله .

أما اليوم فـالعالم على شـرف هار وفي أخـطر وأحرج عصـر من عصور البشرية ، أقل أسلحته كما قال سكـرتير الأمم المتحـدة سنة ١٩٨٠ الـدكتور كولد والدهايم ما يساوي مليون قنبلة ذرية موزعة بين فريقين متخـاصمين كل يعد الوقيعة بالآخر، وهذه الأديان السماوية جميعها تبشر بظهور مصلح مدبـر قدير يسيطر على جميع قـوى الأرض ويملأهـا قسطاً وعـدلاً كما ملئت ظلمـاً وجوراً ، وأحسب أن تلك أمنية لكـل فرد من أفراد البشر أجمع حتى من شب على المادية وأنكر الخالق المبدع للكائنات ، نعم بذلك وحدة وبتكوينه دولة عـالمية مثلى تحت لـواء واحد وشـريعة سمحـاء عادلـة من قدرة خـارقة لهـا وحدها حد وحجز الأسلحة وصد عادية الطغاة المتبخترين ونجاة البشـرية من ويلاتها ، ذلك ما ترجو وتدعو الله بقـرب فرجـه قبل أن تقـوم الطامـة الكبرى للحرب الثالثة التي لا تبقي ولا تذر ، ونـدعو بـدعاء ذوي الأديـان السماويـة المقرة بقدرة الله وخوارقه وهيمنته ورحمته ووحدانيته وصمديته داعين :

اللهم عجّل بظهور ولي العصر المُصلح وامـلأ الأرض به قسـطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يا أرحم الرَّاحمين . وليس معنىٰ ذلك أننـا وقد عـرفنا سبل الحق في شريعتنا من الكتاب والسُنّة الغراء أن نستسلم للباطل الضارب أطنابه شرقاً وغرباً منتظرين صاحب الأمر للإصلاح .

لا أبداً فما لا يدرك كله لا يترك كله وهذه الآيات القرآنية الجمة الآمرة

باتباع أوامر الله ونواهيه ، ومنها الآية ١٠٣ من سورة آل عمران قولـه تعالىٰ : ﴿ ولتكن منكم أمـة يدعـون إلى الخيـر ويـأمـرون بـالمعـروف وينهـون عن المنكر وأولئك هم المفلحـون ﴾ صدق الله العلي العـظيم ، وعلى المرء أن يسعى بمقـدار جهده صـدعاً لأمـر الله وامتثالاً لـه : ﴿ ومن يعمل مثقـال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، والعاقبة للمتقين .

المقالة الثالثة

هل من مُصْلِحْ عادل ؟

متى يظهر والبشرية في مظالم مستمرة؟ ما هي علامات وشروط ظهور المصلح ؟ كيف يراه ذوو الأديان ثم أهل الأديان ؟.

حقيقة؟ أم خيال؟ أصحيح أن هناك مُصْلِح يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؟ كما يعنيه المبشر؟ والذي يتصفح تاريخ البشر يرى عجائب الظلم وغرائبه منذ قامت قيامة البشر على الكرة الأرضية! ومنذ بدأ الإنسان يُسجل تاريخه ويذكر الوقائع الفردية والجماعية ! منها تلك التي حدثت بين الأفراد البشرية البربرية وحتى آكلة لحوم البشر وهي ربما كانت أقلها ، وأشد منها العادات القبائلية للقتل والنهب والسلب والأسر ، وتغلب الأقوياء على الضعفاء ما تعد ذلك من قتل الرجال والنساء والشيوخ والأطفال وأقلها الأسر والغارة على ثرواتهم وسلبها . والظلم كلما توسع الإنسان في طموحه وطمعه أخص حينما قامت الدول في الشرق والغرب تحت قيادة فرد جبار فهو لا يكتفي بسلب أفراد أو عوائل أو قبائل ، بل يتعرض لشعب وأمة ودولة ، وبعد القتل استعباد الأرض وما فيها وأخذه من نساء أسارى عبيداً أرقاء بما فيهم من عالم وجاهل ومحترف . .

وتكفينا لمحة بسيطة إلى التاريخ القديم لعهود الفراعنة في مصر والآشوريين في العراق واليونان والقياصرة والأكاسرة وأباطرة الصين وغيرهم وما شادوه من حكومات وخلفوه من مبانٍ ضخمة كأهرامات مصر والآثار

الحجرية من أبنية وقصور رخامية في مصر ونينوى وتخت جمشيد للصين ، وروما وغيرها الدالة بزعمهم على عظمة حكوماتهم . بيد لو دققنا الواقع لوجدناها مظهراً من الأنانية والتجبر والكبرياء والغطرسة من أهواء أولئك الجبابرة وإرضاءً لشهواتهم وغرائزهم على كاهل الأسرى ، وإرهاق الأرقاء المستعبدين من أبناء البشر المأسور الذليل الكادح تحت نير الظلم حتى الموت ، وعندئذٍ تعرف. أتحسبها فضائل أم رذائل؟ ومفاخرة أم معايرة؟ حسنات أم سيئات؟ وسر ولا تقف في تصفحك للتاريخ حتى تدرك عصورنا الذهبية وأجلها هذا عصر النور وعصر الذرة . دققها وتصفحها ، استعباد الشعوب الضعيفة وتكالب القوية ، جنايات وجرائم ما قبل الحربين العالميتين وما بعدهما ، وما جرى خلالهما ، قتل الملايين في السِلْمِ وفي الحرب ، المذابح الهتلرية لليهود قبل الحرب وخلالها وما أحدثته الحرب في أوروبا وروسيا ، القنابل الذرية على المدن الآمنة في هيروشيما ونيازاكي وما وقع في كوريا وفيتنام ، واليوم وما يجري في أفغانستان وبولنده والقاء الفتن بين العراق وإيران وما تأن منه الشعوب من فقر وجهل ومرض ، كل هذه المظالم أين منها المُصلح المرتقب ذلك الذي يجمع شعوب الأرض كافة تحت لواء واحد وراية واحدة وحكومة واحدة ، وعندها يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فأين هذا المرتقب العظيم؟ ومتى أوان ظهوره؟ أهل هناك شروط وحدود؟ وعلامات وشهود؟ عند إكمالها وقيامها يتم له الأمر وتحين الفرصة المرتقبة المؤملة؟ وهل انتظار ظهوره حدث مرتقب ورجاء وأمل للمظلومين والمنكوبين ، أم تنبؤ ومغيبات سماوية وضعت علائمها وكتبت معالمها ، أم هي من الضروريات الطبيعية ومكملات فطرية ، أم له حساب عند ذوي العلم والحكمة كما لو اجتمعت بعض العناصر الكيماوية مع بعضها فلا بد أن يكون نتيجة تفاعلها كذا مثل مزج حامض الليمون مع كربونات السوديوم فلا بد من حصول مركبات جديدة منها سترات الصوديوم، أم يمكن الوقوف على تلك الحقيقة من استعراض كلّ ما ذكرناه وأنها لا بد وأن تأتي طبيعياً بظهور مصلح يوحد قوى الأرض تحت لواء واحد ودولة واحدة ، وهل آن الأوان؟ لهذا علينا أن نستعرض هذه الفكرة من كل

وجوهها ، وكيف استغلها بعض الانتهازيون لأغراض شخصية وسياسية ونفسية وما حصل من ذلك . . .

ثم البحث عن هذه الحقيقة وهل تصدق الأيام ، وكيف وضعت الأديان السماوية علامات ظهور مثل هذا المصلح؟ وكيف بعد كل هذا نستطيع أن نتقبل هذا علمياً ونقتنع به وما هي الضرورة لذلك؟ .

لقد بحثت في كتابي « الحكومة العالمية المثلى » عن توفر الشروط في هذا العصر لقيام حكومة عالمية مثلى واحدة تضم الشرق والغرب تحت لواء واحد وسأبحث إمكان ذلك وشروطه التي توفرت في هذا العصر أو غيره . وضرورة ذلك ، وكيف يجب أن تقوم وتتشكل لتستأصل الظلم وتحل محله العدالة .

البشارة بظهور المُصلح :

١ ــ أبدأ بما تنبأ به وبشر الأنبياء والمرسلون لقيام مثل هذه الدولة الصالحة وكشف عن علائم ظهورها وشروط قيامها .

٢ ــ وكيف يترقبه المضطهدون من البشر .

٣ ــ ما استغله الانتهازيون من سياسيين ومنافقين ذوي الغايات الخاصة للاستفادات المادية والزمنية .

٤ ــ الحقائق المتوفرة لتشكيل مثل هذه الدولة مصدقين تنبؤ أهل الأديان السماوية .

٥ ــ المبنى العلمي الطبيعي والاجتماعي لضرورة وحصول مثل تلك الدولة .

التنبؤات حول ظهور المصلح :

أولاً ــ تنبؤات ذوي الأديان السماوية ، من أنبياء ورسل وأولياء من الدين اليهودي والمسيحي وأخيراً الإسلام . وهذه كتبهم وبشاراتهم طافحة

بقيام ذلك المصلح القدير الذي سوف يهيمن على حكومات الأرض ، وتلك الحكومات القهارة المتنابزة الجائرة ، التي خلقت على وجه الأرض للأكثرية المضطهدة جحيماً ورعباً وإرهاباً وفتناً وحروباً ، أقضّت مضجع الجميع متنافسة حتى تبلغ لحد تشعل نيراناً وتضرمها فتكون هي وعدوتها كلاها حطاماً في أتونها لا ترى لها مخلصاً ولا ملجأ . ويكفينا تصفّح الحروب في التاريخ القديم والحديث وما نحن عليه الآن من خوف ورعب من هذه الأسلحة الجديدة المدمرة الفتاكة من ذرية وغير ذرية ، التي أعدها كلٌ لخصمه والوسائل الجبارة من طائرات وغواصات وصواريخ وأقمار وسيارات وأدمغة الكترونية وغيرها. كل هذه المعدات لمن؟ نعم ليقض البشر بنفسه على نفسه ويفتك بها رغم ما بلغ من العلوم والمخترعات التي قرّبت البعيد وسهّلت العسير وما أحدثه العلم من معاجز ، كلها وكلها اليوم وضعت في الجهة المعاكسة الضارة وكلها بحاجة لمصلح قدير مهيمن يوّحد شتاتها ويدفعها طوعاً وإلاّ كرهاً إلى حياة الألفة والمحبة والعطف والحنان والوحدة ، وينزع منها تلك الغطرسة والأنانيات والخداع والنفاق والحرص والجشع ويكوّن منها أعضاء وأجهزة تخدم بعضها بعضاً بدافع المصلحة العامة كالتي تقوم بين حجيرات وأنسجة وأعضاء البدن الواحد في الجسم الإنساني . . .

البشـارات :

وقد بشّر بقيام المصلح أنبياء بني إسرائيل كما تنبأ بذلك رسل المسيحيين ومنها ما ورد في كتاب « بشارة » من مواضيع وذكره فيها ما ورد في الأناجيل والمزامير من استئصال الجريمة وقيام دولة إلفة على وجه الأرض وقلب الجحيم نعيماً في (لوقا ١٢ : ٢٧) و (٤ و٨ اشعيا) و (أعمال ١٤ : ١٥ و١٧) وما ذكره الكتاب المقدس وتنبؤه عن توفر المسكن والأعمال والأطعمة ورفع الحواجز العرقية واستئصال الجريمة ، وإبطال الحرب وإزالة المرض وحتى الشيخوخة والموت ، وبالتالي إدارة الأرض بالبر ، وما جاء في الرؤيا (٦ : ٢ ، ٢٠ : ٤) أن يسوع لمحاته أعظم من داود بكثير ، سيخرج العالم الشرير ثم يحكم أعظم وأحكم بكثير

من سليمـان وسيملك بســلام ألف سنـة) ، (لــوقـا ٢٤ : ٢٥ ـ ٢٧) ومتى (٢ : ٤ ـ ٩) و (يوحنا ١٨ : ٣٦ و٣٧ و١٩ : ١٩) وأيضاً (لوقا ٢١ : ١٠ و١١ و٢٥ و٢٦ و٢٨) و (مـرقس ١٣ : ١٠) و (دانـيـال ٢ : ٤٤ و٤٥) و (اشعيـا ٢٦ : ٢٠ و٢١ و٩ : ٧) ومـا جـاء عن (يـوحنـا ١٨ : ٣٦ و٣٧ و١٩ : ١٩) ، وهي جميعها تنبىء بظهور المسيح وإقامة دولة واحدة تسيـطر على كافة الأرض ويبدل النزاع والسؤام إلى الفـة وسلام .

وأما ما ورد في الإسلام عن قيام دولة الحق والعدل فهو كثير وكثير وانه إذا ما ظهر المصلح المنتظر فإنـه يملأ الأرض قسـطاً وعدلاً كمـا ملئت ظلماً وجوراً وأن ذلك أمر حتمي .

علائم الظهور عند الإسلام :

ويسبق ظهوره علامات كانت بنظر القراء عسيرة قبل اكتشاف الكهربـاء والـوسائـل الحديثـة من قطارات وسيـارات وطائـرات وغيره ، ومنهـا تقـارب المسافات ، وروي أن « عند ظهوره وتحـدثه يشـاهده ويسمعـه الجميع كمـا يثبت ذلك اليوم بالراديو والتلفزيون ويتزيّا الرجـال بزي النسـاء والنساء بـزي الـرجال ، وظهـور الدجـال (الكذاب) ومن أين يبـدأ ظهـوره وكيف يقـاوم؟ وبمن يبدأ بالقضاء عليهم؟ وفي مقدمتهم المتشبهون بذوي الـدين المنافقـون بأزياء مصطنعة وهم أول من يكذبونه ويقاومونه .

المصــادر :

وهنـاك كتب عديـدة تضم أحاديث نبـوية عنـد كافـة الفرق الإسـلامية الشيعة والسُنّة ، وهم ينسبون المصلح المنتظر إلى حفيد من أحفاد رسول الله محمـد (ص) من سـلالـة علي (ع) وزوجتـه فـاطمـة الـزهـراء (ع) وتختلف المذاهب الشيعية عن السنيـة أن المصلح هو الإمـام الثاني عشـر من سلالـة علي أميـر المؤمنين وأنه حي منـذ القرن الثـالث الهجري وفي غيبـة وبانتـظار الوقت الموعود بينما يقول بعض السنة من نفس السلالة بيـد لا يشترطـون أنه حي وقائم ، بل يولد لوقته ويـرد في الأخبار ظهـور السيد المسيـح واشتراكـه

معه في الإصلاح ، وهنا تفاصيل في مصادر كثيرة أذكر منها المجلد الثالث عشر من بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي يفصِّل فيها مشخصات المصلح وعلامات ظهوره المسبقة، وبعدها الأعمال الإصلاحية التي يقوم بها للم المجموعات البشرية تحت لواء واحد ، وكيف يحقق الخبر المختصر « إذا ظهر المهدي المنتظر ملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً » ، وكيف يقوم السلام والوئام محل الحروب والخصام وكيف تشمل السعادة كافة الطبقات البشرية ، هناك تقام حقيقةً وتثبت الحقوق البشرية ، وتنتهي دول الطغاة المستبدين بالضعفاء وعندها لا مكر ولا خداع ولا نفاق ولا قسر ولا تجاوز ، وهناك المساواة والبر والإحسان تلك الأمنيات البشرية وفيها القضاء على الفقر والجهل والأمراض البدنية والنفسية والاجتماعية ، وفي هذا نرى التقدم الطبي والصحي والاقتصادي والزراعي والصيدلاني وغيرها من العلوم ، ومن المصادر ما ذكره الفقيه المحقق والقانوني الضليع الأستاذ محمد جواد مغنية في كتابه (علي بين العقل والقرآن ص ٢٢) ، قال :

جاء في كتاب الشجرة المباركة ، كما جاء في المجلد الثاني عشر من كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي عن النبي محمد وأهل بيته (ص) .

« لا تقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث ، ولا يفرح بغنيمة ولا يظلم أحدٌ ولا يخاف شيء من شيء ولا يُراق محجمه دم ، وحتى تستوي الأرزاق بين الناس ، ويقتسمون بالسوية ويكون الجميع على أحسن حال ، وفي أمن وأمان ، ويرعى الذئب مع الغنم ، وتلعب الصبيان بالوحوش والسباع ، وتزيد الخيرات حتى تصبح كالتراب ، فإذا سافر مسافر إلى مكان بعيد لا يصحب معه زاداً أو مالاً ، فالسماء تنزل بركاتها ، والأرض تخرج كنوزها وطيباتها ، ويستغني الفقير ولا يعلو بعض الناس على بعض ، وتنزع الحمة من الهوام « البرغش والذباب والسم من الحشرات » أقول : يظهر ان كل ذلك يتم بالعلم والحكمة التي تشمل البشر آنذاك تحت سلطة حكومة عالمية واحدة مثلى ، تحت قيادة حكيمة عادلة تقيم الأصول الاجتماعية بالمساواة والرأفة والبر والإحسان والمنطق السليم . ونشر العلوم والفنون والمعارف .

الكذابون الانتهازيون قبل الأوان :

ولقد قام أفراد انتهازيون قبل الأوان قبل توفر الشروط التي مرّ ذكر بعضها والشروط العلمية التي سوف نوردها فيما بعد .

قام هؤلاء بدعوى كاذبة إما بتحريض سياسات دول خارجية بقصد بلبلة في الأفكار وخلق فتن تبعث بالأمة الواحدة إلى التفرقة والضعف بغية التغلب عليها ، فإما كانت هذه الدول هي المحرض الأول، أو وجدوا في أفرادٍ هذه الروح الانتهازية فمدوهم بالعون المادي والمعنوي لخلق ما ذكرناه من مشاكل عقائدية ومذهبية جديدة ومنها البابية والبهائية في إيران، والمتمهدية في السودان ، وعلى هذا الطراز قامت القاديانية في الهند ، والقصد منها الانقسام والتفرقة في المذاهب والأديان، وقد سبقتها في أوروبا ما فعله الانتهازيون للتفرقة الدينية على الكنيسة وظهور الفرق البروتستانتية على الكاثوليك بيد هذه تختلف عن تلك في القصد والمرام، ونحن اليوم نعود لنمحص الواقع وتعرف الحقائق على حد قول الإمام علي بن أبي طالب في أحد حكمه: «إذا اشتبهت عليكم الأمور فانظروا إلى نتائجها». وعندها نعود ونرى في هذه الفرق التي ادعت المهدوية والإصلاح هل حققت ذلك وهذا خير ميزان نأخذها من نتاجها وإذا تركنا التعصب الأعمى لوجدناها كلها فاشلة، كلها لم تأتِ بالإصلاح المنتظر قد خلفت المشاكل وفرقت الجماعة وأضعفت الشعوب فجعلتها لقمة سائغة للمستعمرين وعوناً لهم . . .

الأصول العلمية المؤيدة لضرورة قيام مصلح ، وبعدها دولة عالمية مثلى :

كانت المخاصمات والحروب تقوم في الماضي بِعَدَد وعُدَدٍ تختلف عمّا تقوم به اليوم . إذ كانت وسائل القتال قبل خمسمائة سنة تختصر على السيف والرمح وأنواع الأسلحة الباردة ، وتنتهي في ساحة القتال بالقتل والنهب وإن تجاوزت تجاوزت إلى مناطق محدودة من مدن ومقاطعات ثم ازداد الوعي والعلم وتبدلت وسائل الحرب بأسلحة فنية من بندقية ومدافع

وسيارات ودبابات في البر ، وطائرات في الجو ، وسفن بخارية وغواصات في البحر ، بيد أنها تكاد تكون محدودة في ساحات الحروب وما جاورها ، ومتى سلم أحد الخصمين انتهت الحرب ، واستمر تقدم العلوم ، فكشفت عن القنابل الذرية والاشعاعات المختلفة والصواريخ عابرة القارات والأدمغة الالكترونية هذه إلى الحروب الكيماوية والحيوية والوسائل الفيزيكية ، والوسائل الأخرى التي تستهدف لا فقط محلات الجيوش بل لا تأمنها المدن الآمنة والمؤسسات القريبة والبعيدة وتلوث المياه والهواء والقضاء المبرم الجماعي كل على خصمه ، هذا إلى توسع العلوم الاجتماعية والنفسية والسياسية وأصبحت الأرض على وسعتها تدورها الأقمار الصناعية واليوم سيارات الفضاء أقل من يوم من الشرق للغرب ومن الغرب إلى الشرق ، وترى بالعين كل مناطقها وتحدد كل ساحاتها الآهلة وغير الآهلة ، وهذه الأسلحة الفتاكة التي لا تعد ولا تحصى ، وربما أقلها تلك التي صرح عنها الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور والدهايم أن القنابل الذرية اليوم تجاوزت المليون ، فلمن هذه المدمرات وهل هناك من ينجو من هذه الحرب إن شب أوارها ؟ فإن لم تصبها مباشرة تعمّها غازاتها وإشعاعاتها ولم ينج منها ذو حياة ويعرف كل مصائبها العلماء الواقفون على حقائقها ، وكل يعرف بما أوتي من عقل وإدراك كم هي الفاجعة والنكبة فادحة وعامة . وما هي الفائدة من تدمير الواحد للآخر وما هي الغاية بعد هذا الفناء ؟ وأي مفخرة وهدف وربح من قضاء يشمل الجميع وما يخلف وراءه هذه المخاطر تهز الألباب وتدفع بذوي القيادة لدقة أشد وعياً وحيطة وتقارباً وإحساساً بالضرورة إلى الألفة عوض الفرقة ، والسلام عوض الخصام والتفاهم عوض التنافر والتشاؤم . إن ما يحصل من التدمير والخسائر المادية والمعنوية فالحساب أثبت أن ما يعرض للحرب من الجانبين كآلولوج في جهنّم تحرق الأخضر واليابس ، فإن أقل من هذا الصرف لو صرف للسلام وسد العوز وإصلاح ذات البين ونشر المعارف وتحقيق نشر وإقامة حقوق البشر لساد النعيم للجميع بلا استثناء . ولو اصبحت في الأرض دولة واحدة تنظر بعين المصلحة لكل أفراد البشر وكل الطبقات بدون حساب ، وتمييز عنصري

وجنسي ولغوي ومنطقي وأعطت كل ذي حق حقه للحياة دون ميزة إلاَّ في درجة العلم والعمل المجدي وروح البذل وتقديم الخدمات الإنسانية والتضحية مقرونة بنشر الإلفة والمحبة والبر والإحسان والأخلاق الفاضلة ، والحد من الرذائل والسلوك المنطقي الحكمي وتلك يقرها العقل البشري والمنطق السليم، وهذا ما يدركه اليوم زعماء البشر رغبة ورهبة .

توفر الشروط لقيام دولة واحدة عالمية :

كنت ذكرت في كتابي الحكومة العالمية المثلى إن من دواعي الغبطة والبهجة هو تقارب الأبعاد في نشر الأخبار وتلقيها وانتقال الأفراد والجماعات خلال سويعات من أقصى هذه الكرة الأرضية لأقصاها وتقدم العلوم ، فقد كان الماضي من المستحيل أن ينتقل فرد من بلد إلى بلد آخر سواء في البر أو البحر إلاَّ على ظهر باخرة شراعية مع ما يتحمله من مخاطر ولو واتتها الظروف الطبيعية لكان لزاماً أن تخترق المسافة بين أوروبا وأمريكا شهوراً وأطول مدة من غرب أمريكا إلى آسيا أي اختراق المحيط الهادىء من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، ولم يكن البر على ظهر الخيل والجمال بأقرب مدةٍ ذلك رغم ما يتحمله الأفراد والجماعات من المخاطر الطبيعية وغير الطبيعية . ولم تكن وصول الأخبار وارتباط الصلة الفكرية إلاَّ شعبة من هذه الجماعة ، أما اليوم فالمخابرات السلكية واللاسلكية والراديو والتلفزيون في نقل الحوادث والأخبار ووسائل النقل والانتقال بالطائرات السابقة لسرعة الصوت والأقمار الصناعية وتعميم المعارف والعلوم تلك جهزت الأفكار والأبدان وبلغت من الحس والإدراك في الحل والربط وهيأت للهيكل الإنساني بهذا العصر هيكلاً يمثل الجسم الإنساني في نفوسه وأجهزته ومصالحه ، فمجموعة حجيرات البدن الإنساني ومراكز الحس والحركة والمصالح المشتركة نجدها تتعاون مع بعضها لمصالح مشتركة من وصل ضروريات للبدن الإنساني قائمة دائبة كل جهة لخدمة الجهة ومصالح الجهة الأخرى بالدرجة التي تخدم بها نفسها لنقل الضروريات والكماليات ورتق وفتق ما لها وما عليها والدفاع والهجوم بروح وإحساس واحد من

الأخبار الشعورية واللاشعورية بصدق وإخلاص ، كما تكون التضحية الغذائية الضرورية والوقائية بين أفراد هذا البدن كوظيفة تسيرها المراكز الخاصة للبدن في اليقظة والمنام دائبة دون وقفة ، ما داهمتها أعداء عضوية أو غير عضوية ، مادية أو معنوية ، هيئت دفاعاً بادئه من مراكز الحس ونشر النفير العام بسرعة البرق للتأهب والقيام بالواجب على قدر الضرورة ، وترى سرعة وصول الامدادات الغذائية والدوائية والوقائية المادية والمعنوية على أشدها ، لبلوغ المركز والمنطقة المحمولة له والأنباء صارمة في الصدور والورود والخدمة صادقة وظيفية لا تحميلية وهذا التشابك في التعاون وهذا التماسك الجاري للبدن الإنساني الممتاز على بقية الأحياء بمناطق الفكر والإرادة والعقل والحافظة القابلة للتوسع فهو أبرزها للمجتمع الإنساني الذي يجب الاقتداء بمادياته ومعنوياته من وضع هذه المساواة والعون المتبادل بين أفراده وجماعاته حذو النعل بالنعل كما هو بين أفراد وجماعات الحجيرات والأنسجة ومرابطة الحس للبدن العمل على مثيلتها في المجتمع الإنساني للربط بين أفراده وجماعاته ومراكز الحس والحركة والأجهزة الأولى وربطها بالمصالح الضرورية من احتياجات ومعالجة ووقاية وكلما يحتاجه لإدامة الحياة السعيدة من موارد مادية ومعنوية بصورة عادلة ، وتجد المساواة كوظيفة لا يتقاعد الواحد عن الآخر وللجماعات بالنسبة لبعضها أو الأفراد ، وكما أن تقاعس حجيرة أو عضو أو جهاز في البدن الإنساني يضرّ به وبباقي الحجيرات والأجهزة ويكون مرضاً تهتمّ له كافة طاقات البدن لإصلاحه كي يصلح البدن كله ، هكذا يجب معاملة الأفراد والجماعات في كافة مجموعة البشر على وجه هذه البسيطة على حد قول الشاعر :

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

بل هي واقعية ، وهذه الأديان السماوية الفطرية القائمة على منهج الدين الحنيف لشيخ الرسل إبراهيم الخليل (ع) تسري على نهجه طبق النعل بالنعل كافة الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والمسلمة عليها الارتباط في العقيدة والخدمة الصارمة الطبيعية على شاكلة الحياة الطبيعية في

جهاز البدن الإنساني ، حيث توفرت كل الوسائل والسبل من التقارب والقدرة العلمية في هذا العصر لخدمة البشر ومد الأفراد والجماعات البشرية على نفس المساواة للبدن الإنساني وهذه المساواة طبعاً نسبية ، قال : يجب أن يعيش لخدمة نفسه والمجموع . بيد أن هناك فرقاً تحكمها العدالة الاجتماعية والطبيعية في البدنين البدن الإنساني والبدن البشري ، إذ ترى أن حجيرات مختلفة في البدن الإنساني كحجيرات المخ والمخيخ وحجيرات الكبد وحجيرات القلب وحجيرات الكليتين ، وحجيرات الغدد الصمام وحجيرات الأعصاب وعضلات الحس والحركة وحجيرات البشرة ، وهكذا . . وكل منها تخدم نفسها والجميع بيد يختلف مركزها ونوع غذائها وحراستها والدفاع عنها بالنسبة لأهميتها ومقامها بطرز تغذيتها وما يليق بها ، تختلف أمداً للبقاء والحياة فحجيرات المخ ربما كان دوامها بلغ مدى الحياة البشرية في مركزها الشامخ المحاط والمحفوظ بأمنع الأنسجة الوقائية من أنسجة وألياف وحجيرات شحمية وأنسجة صلبة عظمية ، وطبقات سميكة من الجلد وأقل منها مركز القلب ثم الكلية وأقلها الجلد والتي حجيراته أقل أمداً وأشد تعرضاً للعوارض بيد الاهتمام وبلوغ الغذاء يشمل الجميع بالنسبة له على حد سواء على قدر دوامه وخدمته .

لقد آن الأوان للمجتمع الإنساني في كافة أنحاء المعمورة أن يتمتع بالمساواة والخدمة الصادقة أينما كان مع المحافظة على كلٍ في مركزه سعيداً مع العلم أن البدن الإنساني كما يحتاج لبشرة سالمة تكون أول مانع له وسوراً لوقايته وما يحتاجه إلى أجهزة وضرورة المحافظة على كل منها يجب العمل الدائب للحفاظ وظيفياً على كافة أفراد وجماعات المجتمع الإنساني . وقد آن الأوان للمجتمع الإنساني أن يقاس كوحدة ويشعر بذلك ويحافظ كمركز واحد أمين على شؤونه، يحافظ على بقية مراكزه، وأن تكون بقية المراكز والأفراد طوعاً في خدمة الكل ولها جميعاً قياده وإحساس وشعور ومصالح متحدة ضماً لسعادته وحياته الرغيدة .



المقالة الرابعة

ما هي أعظم بشارة يمكن أن يبشر بها العالم البشري؟

لنجيب على السؤال ، لا بد لنا أن نتصفح أمنيات هذا البشر ، وما يتوق إليه من الحياة السعيدة وما يخشاه ويتوقاه وما يقاسيه من الاضطرابات الاقتصادية ، والسياسية والاجتماعية فرداً وجماعةً ، وما يخشاه من مجابهات الدول العظمى في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وما يقضُّ مضجعه خوفاً ورعباً من تسابق الدول للتسلح وإعداد العدة لأهول الأسلحة الفتاكة من ذرية وشعاعية وكيماوية وفيزيائية وحيوية مكروبية وغيرها ، بغية تدمير الواحدة للأخرى أنانية لكسب الحرب والقضاء المبرم على الخصم دون رحمة ولا هوادة ، ودون أن تترك قوة على الحياد تستطيع الفصل بينهما ، لها ذلك النفوذ والقدرة وسمعة الكلمة والشكيمة . والقول الفصل يطأطىء لها الأطراف اطاعة رهبةً أو رغبة أو إجلالاً واحتراماً .

تلك الدول العظمى المتكالبة والمعتدة كل بشكيمتها وعدتها وعددها وتفوقها العلمي والعملي الغاصبة الجشعة المتطاولة الكائدة على مد نفوذها للغصب والسلب والاستحواذ على الضعيفة بما لديها من قوى مادية ومعنوية لا يمنعها ضمير ولا وجدان ولا عقيدة صادقة بدين منذر بعقوبة دنيوية أو أخروية . كل دولة يقودها أفراد يشار إليهم بالبنان . إنهم دهاة السياسة والإدارة والفكر الثاقب موسومون بالحنكة والبصيرة والحقيقة خلاف ذلك ، الفرقان/ ٤٤ : ﴿أم تحسب أن أكبرهم يسمعون أم يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام

بل هم أضل سبيلاً﴾، فالعقل والحكمة تأبى النفاق والخداع والمكر والأنانية والجشع والظلم والغصب والتجاوز باسم العدالة والحقوق البشرية ، وتطبيق قوانين وضعوها وأداروها حيث تدور مصالحهم الشخصية لا المصالح الإنسانية والبشرية ، ولا القوانين الطبيعية ومكارم الأخلاق . (الدين لعق على ألسنتهم يديرونه حيثما دارت معائشهم) إن كان لهم دين يتكلمون به متخذين أي وسيلة وخروج على روح الرحمة والرفق والعدالة الاجتماعية ، مهما بلغت من الرذيلة والخسة والحطة لبلوغ مآربهم الدنية البشعة المزرية ، ودوماً يلبسون أعمالهم وجناياتهم أجمل البراقع وينسبون لأنفسهم الفضيلة ولرذائلهم كل المبررات مهما جاءت وضيعة وينسبون لأعدائهم كل خسّة وإن كانوا بريئين منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولا تهمهم الفضيحة وكشف الحقائق طالما تسندهم القوة وبيدهم مقاليد الأمور ، ولو سألتهم عن قصف المدنيين الآمنين في هيروشيما ونيازاكي وأفغانستان وويتنام وغيرها وحرق النساء والأطفال والشيوخ واليهود في ألمانيا النازية وسحق السكان الآمنين لبولندا في العهد الهتلري لقدموا لك الأعذار وإلى جانبها أفواه المدافع والمدمرات وقالوا : وآية السيف تمحو آية القلم ، ولو سألتهم ما ذنب فجائع الحرب التي يقاسيها البشر في الحروب القائمة في جنوب افريقيا وشمالها ووسطها وما يقاسيها البشر المتعُوس في آسيا وما هي هذه الأسلحة المشحونة للعالم قهراً ، قالوا : تجارة حرة ومثلها المخدرات والسكائر وكل المخربات البشرية قالوا : الحرية تقضي بذلك .

وما تراه من الفتن في الشرق الأقصى والأوسط ، وخلق بؤرة انتائية باسم إسرائيل في فلسطين ، وخلق الفتن والخصوم لمحض سلب ثرواتهم المعدنية وبيع فضلات أسلحتهم تقتل الأبرياء وخلق الذعر والخوف وتحطيم المعارف الإنسانية وسحق الحريات بما فيها من حريات فكرية وبدنية ومالية وغيرها وإقامة حكومات دكتاتورية بيد أفراد ذوي هياكل آدمية وقلوب الضواري الكاسرة لا يحسون بتأنيب الضمير ووخز الوجدان مثل أسيادهم جانبوا العقل السليم والرأي الحكيم . فأين هي حقوق البشر؟ .

وهناك في الغرب الغرابة في أقصى أنواع الضراوة والدعايات الفاضحة من الطعن والشتم والنكابة والدسيسة والخداع والمكر بين زعماء يمثلون شعوبهم يقودونهم إلى الهاوية ، لأجل الحروب المدمرة والمخربة ، وجميعاً يقولون ما لا يفعلون ويفعلون خلاف ما يقولون بقلوب مشحونة بالحقد والبغضاء والهمجية والكبرياء، كل يدعو عدوه لوقف التسلح لجانب واحد فقط وكل يعرف الخديعة ويحاول إطلاء ذلك على خصمه ، كتب كلاهما وحادوا عن الصدق والصداقة وكيف ذلك وهم يفقدونها؟ هكذا عُلِّموا ودُرِّبوا ماديين بعيدين عن المعنوية ، عن اليقين وعن الصدق وعن المحبة وعن الله وعن دينه ، عن الفضيلة السماوية ، عن الدعوة الإلّهية عن الإيمان بحساب الله ونظمه وكتبه ورسله عن العقل الواعي والضمير الإنساني الرشيد .

هذه الموبقات، هذا التكالب ، هذا الإنجراف إلى الحضيض ، إلى الدمار ، هذه الدول المتمايزة المتناحرة ، والطبقات المتباينة المتناهية في الترف والتبذير والبطر والأخرى المتداعية في الفقر والعوز ، واليوم يكاد الكل يعلم الحقائق ، ويدرك المصير الذي ينقاد له مصير هذا البشر ، والهاوية التي ينجرف إليها ، ذلك الذي ينخر في قلوب العقلاء والحكماء ويرسلون الصرخات الداوية في الصحافة الحرة للدعوة إلى السلام ، إلى حقوق البشر ، وكأن صرختهم في واد ودعواتهم لا تعني البلاد والعباد ، كأنهم يدعون وحوشاً ضارية ، أو هياكل من الضمير عارية .

هؤلاء المستغيثون من البلاء هؤلاء المتعطشون لرحمة السماء! إذاً : ما هي أعظم بشارة يمكن أن يبشّروا بها؟

أليست البشارة بظهور المصلح الأكبر الذي يملأ الأرض قسطاً ومساواة وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وقسراً وجوراً؟ مصلح يقبض على قوى الأرض ومقاليد بني البشر ، ويسير رغم الغواة المترفين والأوباش المستهترين ، رغم العناصر الجامحة عن الحق والمنطق والمنحرفة في تيار الشهوات، هذه القلة الحاكمة الخارجة عن الأصول الإنسانية والآراء السليمة . هذه القلة التي هي علة العلل في استمرار الفساد وغواية العباد وشقاء البلاد ، الغير الأبهة لما

يقاسيه البشر المنكود على هذا الكوكب السيار الذي ملأه الله بخيراته ومبراته فأحالت هذه الطغمة الحاكمة ديارها خراب ونعيمها تباب ، تكبِّل أحرارها ، وتفشي أشرارها ، وتغيِّر أطوارها ، وتزيد أضرارها لتستغل خيراتها الوافرة ، وجناتها العاطرة ، رغم ما تشعر وتحس به من ضيم وظلم جسيم ورزء وخيم ، تزجها في لظاها وتتمادى في أذاها بزعم بقاء سيادتها قائمة وسطوتها دائمة ، كأنها تتلذذ بشقاء أبناء جلدتها وتهتز اعتزازاً بتذليل أقران ندوتها ونظائر جلدتها وصنو إحساساتها وفكرتها الحاملة لمشاعرها ونزعتها .

فما أعظم بشارة يمكن أن يبشر بها الأكثرية المحرومين ! والغالبية المضطهدين سوى التخلص من أولئك الجبابرة القساة المنافقين ، وقيام حكم العدل الطبيعي والمساواة الفطرية والبر والإحسان بيد أعلم وأتقى وأبر وأرقى من الكل. هذا الذي اختاره الله خليفة على أرضه ينشر السلام والأمان، ويقضي على الظلم والحرمان ، ويقيم المساواة في الحقوق الاجتماعية الفائقة والأخلاق الإنسانية الشائقة فلا مترف متجبر أو مسرف مستهتر ولا معدم بئيس أو مظلوم تعيس .

فمن هو ذلك المنقذ المأمول والعدل المقبول؟

من هو ذلك الإنسان الأكمل والحكيم الأمثل والزعيم الأعدل؟ أهو حقاً آية من مبدع الخليقة ومعجزة من معجزاته الأنيقة تلك التي بشر بها الرسل في التوراة والزبور والإنجيل ، وختمه القرآن بالوحي والتنزيل في سورة الأنبياء الآية ١٠٥ : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ .

وقد مرّ وذكرنا ما ورد في الكتب المقدسة وما ورد في كتاب البشارة من العهد القديم والجديد ، وما ذكرناه عن الكتب الإسلامية وما تبشر به اليوم كافة الأديان السماوية المارة الذكر بقرب ظهور ذلك المصلح ، ذلك ما تقول فيه الأخبار عن الأديان السماوية .

وهناك ما تحكم به الفطرة والطبيعة والحياة الاجتماعية حيث قيل

الحاجة أم الاختراع ، وإن حكم النشوء والارتقاء يدعو لبلوغ الارتقاء . وإدراك يوم تضع فيه القوانين الطبيعية بحكم قوانينها بما تحمله من التكامل سداً يقيها عادية هذه الحروب والأمراض الاجتماعية كما نجده من قيام البدن لمجابهة الأمراض والمكروبات المهاجمة من تشكيل عناصر مدافعة وواقية ، لصيانة وحفظ البدن والتغلب على الأعداء والأوباء المهاجمة ، حتى إذا بلغ السيل الزبا وتغلبت العوامل الداخلية المدافعة على العاديات أقامت هذه الحروب أجهزة البدن وأقعدتها وأنهكتها صرعت عوامل الخير المدافعة عوامل الشر القائمة والمهاجمة عليها ، وبدأ دور النقاهة للبدن وعادت له الصحة والسلامة . هدأت القوة التي أقامت البدن وأقعدته وأنهكت قواه استجد بالترميم والإصلاح والهدوء والسكينة وتوزيع قوى البدن إلى ما فيه خيره وصلاحه ، واستعاد الجسم سكينته والروح قرارها وهكذا الاجتماع ، وهذه الأمراض الاجتماعية بلغت فيه بلوغ السيل الزبا، والظلم والنفاق أقصاه بينما ترى علائم الوحي العام والتكامل العلمي من كل نواحيه المادية والمعنوية على أهبة للدفاع ، وكل التنبؤات بل قل كل العوامل لظهور مصلح حكيم حازم فريد وجهزه من أفراد عالمه ، واعية مريدة ملبية وأجهزه جامعة تسهل الحركة الإصلاحية مساهمة، من كلما يقرب البعيد ويسهل الشديد ويخضع العنيد والنزعة للخلاص والنجاة واليقظة لدعوة الحق بعد السبات والاتحاد بعد الشتات بارزة . فمن هو هذا الجامع للشمل المتأهب للحمل والصادع للأمر والمتحفز بعد السر للجهر . ليفك أكبالها ويزيل أثقالها ويحطم أغلالها ويصعق الظلوم ويسعف المظلوم .

هل تكاملت الشروط لقيام الدولة العالمية المثلى :

دولة الحق تحت راية واحدة ، تضم الشرق والغرب والشمال والجنوب ، بقيادة واحدة وشمل واحد وعقيدة واحدة ، تسلك الصراط المستقيم وتطبق نظم الكون الفطرية يحدوها الإيمان والعقيدة الراسخة بوحدة الله وصمدانيته وهيمنته وكماله ، وانه الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم ، ولا يغرب عنه السر وأخفى ، المحيط المبدع البر ، قاصم الجبارين

ومبيـد الظالمين ومـدرك الهاربين وصـريخ المستصـرخين وموضـع حـاجـات الـطالبين ، مالـك يوم الـدين يوم الـرجعة يـوم الدينـونـة يـوم الحسـاب يـوم الجزاء ، الطالب لعباده اليسر والمبعد عنهم العسر ، الذي هدانا وأنار سبلنـا بالعقل والهداية وطرق الحق والصواب .

فهـل تكاملت الشـروط لقيام الـدولة العـالميـة المثلى؟ ومـا هي هـذه الشـروط؟ ولقد مـرّ وذكرت في كتـابي الحكومـة العـالمية المثلى من تـوفـر الشروط في هذا العهد الذي لم يسبقه عهد مماثل يمكن فيه مثل هذه الدولـة وجمـع شمله تحت لواء واحـد ، لما يحتـاجه من السيـطرة والاحاطـة في أية لحظة للإشراف على أية رقعة وبقعة وفرد وجماعة ، ودخول وخروج وانسجام أو انحراف عن سنن الكون القائمة ونـواميسه الـدائمة ، فلم يمـز على البشر عهد كعهده هذا من توفر كل الوسائل التي تحيل البعيد قريب وتبت بلحظة في حل كل عصيب .

عوامل الفساد :

إن أهم علة لشقـاء البشـر هي اختـلاف الـدول واختـلاف العقـائـد واختـلاف الأحزاب ، والمنـابزات القـومية والعقـائديـة والأنـانيـات الفـرديـة والجماعية وعدم رعاية الأصول الإنسـانية ونبـذ الخلق الرفيعـة واتباع الـرذيلة والابتعـاد عن الفضيلة ، فـاختـلاف الـدول واعتـداد كـلٍ منهـا بشعبهـا دون الشعوب الأخرى بـل محاولـة رفع مكـانتها والحط من الأخـرى بكرامتهـا بما أوتيت من قـوة ماديـة ومعنويـة وفي هذا مـا يؤدي إلى التناحـر والمشـاحنـات والعداء وبذل كل منها من طاقاتها المادية والمعنوية لدرء الاخطار الأخرى من جهة وإحباط أعمالها ، وتهيئة العدة والعدد وقايـة ودفاعـاً ، وما في ذلـك من بذل جهود عبثاً فيما هي في غنىً عنه لو كـانت مع الأخـرى في وفاق وأعـظم من ذلك لو كانت الواحدة تساند الأخرى ومثل ذلك اختلاف العقائد الفاسـدة والأغراض الشخصية الخاصة ، وما تجره من بذل جهود وطاقات دون جدوىٰ تـذهب هباءً أكثـرها مخـربة ومـدمرة ومسيئـة عوض أن تكـون محسنة وسببـاً للشقاء والتعاسة عوض بذلها للهناء والسعادة ، هـذه النفوس وهـذه الأغراض

المبذولة لتدمير الواحدة للأخرى وتحطيمها ، وتلك الزعامات الفاسدة القاسية والسالبة للحريات في العالم أجمع ، فتارة تكون أسداً ضارباً على شعوبها لتحكمها بالقوة والقهر والغلبة ، كتلك الحكومات الدكتاتورية التي تستمد قدرتها مما جهزته به الدول العظمى بغية أن تكبل شعوبها وتستثمرها اقتصادياً من بث بذور الشقاق والنفاق فيها داخلياً لتضعيفها وإشغالها عن المقاومة وسلب قدرة المعارضة منها ، ومرة أخرى تكالب الأقوياء منها والتناحر في ميدان البراز وإظهار القدرة في ميادين النزاع لضم الغنائم وسلب النعم وتكديس المخازن ، واستهتار المترفين في الحين الذي يتضور أفراد وجماعات بشرية لا تقل كفاءة وإحساساً عنها ، تتضور جوعاً ومرضاً وتعاسة في فقر مدقع وجهل مروع ، وقيود مادية ومعنوية مسلوبة الحريات التي منحها الله لها فطرياً وأغلبهم أبرياء من أية مخالفة أو جنحة أو جناية ، لمحض إطفاء جذوتها وإخماد نهضتها وكمّ أفواهها ، وخنق أصواتها ، ودرء اعتراضاتها ، قصاصاً مفتعلاً دون جناية ، وتأنيباً للآخرين عن إعلان حقيقة أو دراية . فيا للسعادة لو انخرطت كلها وانضمت إلى حكومة واحدة صالحة تحت لواء رجل الحكمة والعدالة والمساواة بغية نشر السلام والوئام ، ولم الشعث وتوحيد القوى ومحاربة الفقر والجهل والأسقام لخلت من التعصبات والأنانيات .

واليوم وقد تظافرت الجهود العلمية والعملية وإمكان تكوين حكومة أقرب شبهاً بجسم الإنسان كل بأجهزته وطاقاته أفراده الحجيرات على اختلاف تخصيصاتها ، كل في مقامه وصلاتها مع بعضها البعض على أساس الخدمة المتقابلة دائبة ليلاً ونهاراً ، متعاونة منصاعة يشملها جهاز واحد للإدارة لا يفتر لحظة قائماً دائباً يتلقى الأنباء صادقة ويرسل الوقاية والعلاج بارقة خارقة ، خلت من الرذائل الجشعة الماكرة الخادعة ، فكلما تقوم به وظيفة خلت من المنّة والاستكبار والتخاذل والاستدبار أو الجشع والحرص والطمع ، لا كما يعمله الفرد في المجتمع اليوم من الاحتكار والاختزان لموارد الثروة عن اخوته . بل كل ما في البدن ملك للجميع يوزع على الجميع كل حسب حاجته ومكانه ، فحجيرات المخ في مقرها الأمين المكين

الحصين ، يأتيها رزقها وحاجاتها وغذاؤها بما يسد عوزها ، ويضمن فوزها في حياتها وأعمالها من نوع يخصها دون سواها . وحجيرات الجلد المعرضة للنهش والخدش لها ضمان رزقها وغذائها وحاجاتها بما هي أهل له ، كافيه وإن اختلفت بنوعه عن سابقتها بيد سادتها تماماً بسد العوز وإدراك الفوز ، دون أن يكون لكليهما ذخيرة دون سواها أو امتياز يرفعها عن نواها ، كل منها يخدم الآخر ، والجميع يخدم الجميع والذخيرة للجميع لا تترفع هذه على تلك أو تقصر عن خدمتها بل هي الوظيفة وهي الطاعة الغريزية ، فغذاؤها ودفاعها وهجومها وما يلحقها من الخير والشر تشترك فيه جميعاً على حد سواء ، وهكذا الفرد والجماعات في الحكومة العالمية المثلى ، فاليوم تكاملت الشروط دون سواها لقيام الحكومة العالمية المثلى . . .

فما يحدث في أقصى الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب أو في الفضاء أو أعماق المحيطات وكل تلك التي بلغها البشر تصل أحداثها وأخبارها وتصاويرها بدقة مضمونة إلى مراكزها وتنشر في اللحظة إلى كل مكان بحذافيرها تسجلها أدمغة الكترونية وهذه مجهزة في أية لحظة لتحل باللحظة مشاكلها . تحفظ خواطرها وتدلي بما يلزم لها ، إلى جانب ذلك وسائل النقل السلكي والبري والجوي والبحري واللاسلكي وما لا يعد ويحصى من أجهزة يسّرت كل عسير وجبرت كل كسير ، ولا زال العلم والعمل في تقدم دائب إلى جنب كل ذلك الأدمغة البشرية الدائبة المخترعة والمكتشفة لكل ما يحتاجه البشر . هذه الشروط وهذا التقدم الذي لم يسبق للبشر مثيله من قبل ، له كل الوسائل اللازمة لإقامة حكومة عالمية مثلى ، تديره يد حكيمة مريدة ، تسوقه طوعاً أم كرهاً إلى الوحدة والإلفة والمحبة والبر والإحسان والفضيلة والحقيقة .

وقد كانت النبؤات الدينية المارة الذكر من ظهور مصلح عالمي يبدل حياة البشر المتردي في أحضان الرذيلة في الويلات الاجتماعية والحروب الجماعية المتطاحنة والمنافسات المتباينة والظلم والجور والخصام ، إلى العدل والوئام والبر والسلام ، وقد كانت أمنية البشر هذه بعيدة المنال عقلاً ،

وصعبـة التحقيق فعلاً ، إذ لم تنسجم ومـا للبشر من مشكـلات وعوائق ومـا يمنعها من عقبات ومآزق ، من بعض البقاع وانعدام الوسيلة .

بيد أن كل تلك المشكلات حُلَّت والمعضلات فُلَّت ، وأصبح تحقيق العسير وتذليـل الخطيـر ، وتقريب البعيـد والإحاطـة بما يضر وما يفيد واتخاذ الأهبـة السريعـة ، والوقـوف علماً على ضـروريات الحـل والـربط والمـزج والخلل والوقاية والعلاج ، وبلوغ الحيطة بالسرعة الخـاطفة وإدراك الأهـداف حقيقة لا مصادفة ، وكلما تستلزمه هذه الدولة العالمية المثلى من عـدة وعدد للدفاع والوقاية والعلاج والعناية .

والكل يرقب سـاعة الخـلاص وتحقيق البشارة بـإخلاص لهـذه الدولـة المرتقبة الموحدة وزعامتها الأمينة المسددة ، فقد اكتملت شروطهـا المكانيـة والزمانية والمادية والمعنوية .

الضرورة الحاكمة للإسراع بقيام الحكومة العالمية المثلى :

نعم وأية ضرورة هي أعظم مما يلزم لوقف هذا الصـراع والنزاع وضبط المدمرات من الأسلحة الفتّاكة التي لا تبقي ولا تذر وربما في لحظة خاطئة ، أو نزعة طائشة في جانب ، وإذ العالم قد انجرف انجرافاً لحـرب كل يحسب بها السرعة الفائقة والضربة القاصفة على خصمه ليحرز النصر . .

وأي نصر هذا الذي لم يترك بعده إلاّ الموت والـدمار لـلأحياء والبـاقين والانقاض والأشلاء من مصابين بشتى العاهـات وشتى الأوبئة مـدى الحياة . من نفوس مضطربـة وأجسام مخـربة وضمـائر معـذبة ، كـل هذه وأشـد منها يترقب مصيرها رجال السياسة وقوادهم ودهاة القوم وأسيادهم .

فيا لله لهـم من الطيش والرعونة والأنانية المكنـونة واللجاجـة الملعونـة والـزعامـة المجنونـة . نعم رغم كل مـا تحسه وتعـرفه من سـوء العاقبـة ودقة المحاسبة وما مرت عليه من التجارب القاسية في الحروب الماضية فهي على كيدها باقية وفي خداعها متمادية ، وكم وجدت ان المكر السّيء لا يحيق إلاّ بأهلـه وأن النار تحرق اليابس والرطب . وبعـد من هو العـدو؟ أليس نظيـرك

في الخلقة إن لم يكن أخاك في الخليقة؟ ولماذا تضمر له الشر ولا تصدقه بالخير وبهذا تشملك بالتأكيد سعادته؟ وتسعدك ضراوته ، ولماذا تحرص ان تكشر له عن أنيابك الشنيعة لتشد عناده ولا تريه ابتسامتك الوديعة لتجلب وداده ، والذي يتحرى سياسة الأقطاب ويتصفح بدقة يرى أطفالاً ما زالوا في عهد الطفولة من الجهل المطبق يغالطون وينافقون ويخادعون ، كل أكاذيبهم مفضوحة للصديق والعدو ، وحتى لا يستسيغها البسطاء الأدنون ، كذابون متحيزون بذيئون بعيدون عن روح الإصلاح والخلق السامية والبر والرحمة ، متعصبون متجاوزون جشعون ، يحرفون كلمة الحق بالباطل ويستبدلون الباطل بالحق ، يعملون ما ينهون عنه يمتنعون عمّا يدعون إليه ، تالله لا يصلحون كلهم لزعامة البشرية لأنهم خائنون للبشرية ، فاقدون للعدالة ، بعيدون عن الحق والحقيقة ، لا ترى فيهم أبداً من حداه ضميره لخدمة البشرية واستجاب للعقل الداعي والضمير والوجدان . ولو صح لما استمرت الشحناء والبغضاء بينهم وهم يجرُّون العالم من سيء إلى أسوأ .

نعم ، تلك هي الضرورة الماسة لظهور مصلح واقعي يجمع الشمل ويوحد الكلمة وينهي الصراع ويفك النزاع ويقيم القسط والعدل مقام الظلم والجور في هذا العالم الصاخب ، وينهي الفتنة والفساد ويوحد القوى في كل البلاد .

المقالة الخامسة

ما هو واجبنا ؟

هناك واجبان :

١ ـ واجب يفرضه علينا المنطق السليم! بحكم العقل والنفس المريدة ، وبحكم الحس بالحاجة والشعور بالضرورة لاتباع الحسن والأحسن ، واجتناب القبيح والأقبح ، وبذل المجهود على حد بلوغ الدرجة والاستمرار في التكامل حتى الأكمل .

٢ ـ واجب شرعي ، ديني والدين الذي يحكم العقل السليم باتباعه ويسدد الواجب الأول ويشد قوى الإرادة والتصميم ، ومن طالع الكتب السماوية ومناهج الأنبياء والأولياء الصالحين ، دون التحيُّز والأغراض المبتذلة لوجد القرآن المؤيد للكتب السماوية الأصيلة من التوراة والإنجيل وسيرة الأنبياء ، وأخص في قوله تعالىٰ : ﴿ **وبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنا هديناه السبيل** ﴾ ، ﴿ **وإنا هديناه النجدين** ﴾ .

وقول محمد صلى الله عليه وآله : من لا عقل له لا دين له .

وقول علي عليه السلام : العاقل من وضع الشيء في موضعه .

وما ورد في الكتاب والسُّنَّة في العقل والعلم والحكمة أمثال قوله تعالىٰ : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ ، وقوله

تعالىٰ : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ . والكثير الكثير مما ورد في الكتاب والسُّنّة مما يشيد بالعلم والعلماء ورفع مكانتهم .

وما وردت من الأوامر على الجد والسعي والجهادَين الأكبر الأصغر :

الأكبر : في جهاد النفس لكسب الفضائل وقمع الرذائل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والجهاد الأصغر : في جهاد الغير لكسب الخير وقمع الشر والفساد ، وما فرضه الدين من الشهادة ومن الثواب والعقاب في هذه الدنيا والدنيا الآخرة على حد قوله تعالىٰ : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلاَّ مَّا سعىٰ** ﴾ أهو في طريق الخير أو الشر ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأن سعيه سوف يرى** ﴾ ، وقوله تعالىٰ في الآخرة : ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً** ﴾ ، وفي قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن . . .** ﴾ وهو مؤمن بالله الواحد الصمد وبنواميسه وقوانينه وشرائعه التي بشّر بها الأنبياء والرسل عليهم السلام .

ومما مر نجد أن الشروط المكانية على الأرض والشروط الزمنية ووجود الحاجة الملحة لقيام مصلح ذاتي حقيقي بدافع العدالة الاجتماعية الإنسانية ، لانقاذ البشرية من براثن الشر القائمة في الشرق والغرب وتوجيه البشرية الحائرة المضطربة دون تحيُّز ، لمنابزات وتكتلات عنصرية ولونية وعقائدية ، وأهداف وأغراض خاصة ، وتوجيه الجميع بالرغبة وإلاَّ بالرهبة نحو الصيانة والسلامة . ونحن لا نشك أن التوجيه المنبعث من روح العدالة والإنسانية الخالية من الأغراض الحاجة القائمة في يد عالمة حكيمة مؤمنة بالله الأحد الصمد ذي الكمال والقدرة والإبداع المطلق لا بد لها من الظهور ، وقد بشّرنا بذلك الله فى كتبه المنزلة بقوله تعالى : ﴿ **إن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ كما بشّرت بذلك كتب السماء والأنبياء أولي العزم أخص محمداً (ص) من قيام المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وقد مرّ ذكر ذلك وتظافر على ذلك أهل الأديان كما مرّ .
وإن ذلك حتمي بنظر أهل الآراء من الحكماء والعلماء ، وإذا ما ظهر لسنده

قلّة من المصلحين من الأنبياء والحكماء . ولعلّة أنهم لم يتوصلوا للآن إلى توحيد البشرية تحت لواء واحد ، فإن ذلك لفقد الأسباب والشروط المكانية والزمانية وأحياناً الذاتية .

أما اليوم فكلها جاهزة من مكانية وزمانية وبانتظار مصلحها المؤيد من الأرض والسماء ، فالحاجة ملحة والضرورة ماسة أكيدة ، وأحسب أن الأديان والمذاهب مجمعة على ذلك ، غير أن هذا المصلح الموهوب بالعلم والتجربة المديدة أحسب أنه الجامع والمستكمل والواقف على كافة الشروط ، وبانتظار توافرها جميعاً ليتقدم بوعي ووحي نفسي أو منبعث من جهة غيبية مهيمنة قديرة إلّهية .

وكم بهذا الكون من أسرار أعيانا كنهها من مخلوقات ونواميس وألغاز متضافرة متضامنة ، كلها تسير سيرة منظمة وحكيمة خلت من أي عشوائية ، تلك التي يحسبها الجاهل عشوائية ويرميها بالصدفة ، وما القضاء والقدر والحتم إلاّ موارد تتضافر فيها شروط تلك النواميس للظهور والتحقيق ، ولم تأتِ أبداً عشوائية ، بل جميعها لها نواميسها وأسرارها وأصولها المتقنة المتضافرة .

أما واجبنا فهو دوماً السلوك المستقيم والاهتداء بالعقل السليم ومشورة الحكماء والعلماء الإنسانيين أخص منهم المعتقدين برعاية ووقاية الله الأزلي القائم الصمد ذي الكمال المطلق ، وكما أمرنا بالسعي والجهادين الأكبر والأصغر ، والبحث عن الصلاح والمصلحين وشد أزرهم وتتبع أثرهم وجمع شملهم والضرب على يد الفساد والمفسدين وقطع دابرهم وإفشاء سرّهم وضرّهم .

أما إطلاق يد المجرمين وشد أزرهم ، أو السكوت بعد معرفة الحق فهو والحق كشيطان أخرس ، ولا بد لكل فرد من اتباع شريعة الحق قولاً وعملاً ، ولا بد لنا بعد التفكير لهداية أنفسنا وغيرنا ، ولا بد لنا من بذل النفس والنفيس على قدر انجاحه وتعميمه ، وعلى قدر ما أمكننا أن نتقي

الشـر والتهلكة على حـد قولـه تعالىٰ : ﴿ ولا تلقـوا بأيـديكم إلى التهلكة ﴾ ورب كلمة عدل عند سلطان جائر تكفي لنجاة النفس والغير من الناس . .

واليوم ، ونحن نميِّز بعقولنا وبعد التجربة والدراسـة العميقة ، ووقـوفنا على سبل الخير وتدهور البشر إلى الهاويـة لا بد لنـا من سلوك طرق السـلام ودعوة من استطعنا دعوته من هذا البشر الضال إلى مسالك النجاة ، بل ونشـر سبـل الصلاح وإفشـاء مواقـع الفساد ودرك مـراكز الأوبئـة الماديـة والمعنويـة وتجنبها قدر الإمكان ، وبالعكس توجيه من يمكننا توجيههم إلى سبل السلام والوئام ، واستقاء الماء من منبع رائق خلا من التلويث .

وواجبنـا : يحرضنـا للدعوة الفـردية والجمـاعية أمـام هذه الجحـافـل المغيرة على الأفراد والجماعات ، أمام هذا العالم المتطاحن من دول كبـرى كائدة وجشعة مثل الذئاب الكاسرة على الشعوب والدول الضعيفـة للكيد بهـا بغية نهب ثرواتها ، باسم العـدالة وحقـوق البشر ، وإلقـاء ألفتن بينها ومـدها بالأسلحة وإغـوائها للتجـاوز على بعضها وبيعهـا تلك الأسلحة لهـا وسلب ما لديها من ثروات معدنية وقوى عقلية ، لتدميرها مادياً ومعنوياً سالبة ثـرواتها ، مشردة أبناءها الواعين ، بيـد من نصبتهم على مقدراتهـا من أراذل القوم ومن بقي بين حبس وتعـذيب وقتـل ، فمـاذا علينـا آنـذاك؟ ؛ أهـو الإنصيـاع والسكـوت! أو إلقاء أنفسنـا في اتون هـذه الفتن والنار المستعـرة؟! الحق أن لكل داء دواءً ولكل حرب سلاحاً ، فنجاة من يمكن نجاته ونحن واعـون عند بـدء اشتعال النـار ، الاهابـة بالمغفلين وإرشـادهم وانقاذ من يمكن انقـاذه ، والـذهاب إلى البلد الآمن وفضـح المطالب المـزيفة وإعـلان الحقائق ونشـر الوعي العام بين بني البشر من مغفل وجاهل ، ونشـر الحقيقة ، وبعث روح الإرادة والاهابة بالنفوس الصالحة الحاملة للإيمان الرباني والتقوى للذب عن حياض الإنسانية المهانة بيد الأرجاس العابثين والشياطين المخذلين .

والتـأهب لنداء الحق ودعـوة البشير إلى المصلحين ونـذيـر المنـذر من الفساد والمفسدين ، فهذه الشروط المكانية والزمنية الجامعة مهيأة ، والحاجة ماسة ، وكم بعث الله من بشير ونذير بيد أنه في هذه المـرة ، تدعـو الحاجـة

والضرورة الماسة لقيام المصلح الأعظم الذي يلم الشمل ويصلح الجامعة البشرية الواقفة على شفا جرف الحرب المدمرة التي لم تبق ولم تذر ، هذا المصلح المنتظر الموهوب العادل الحكيم والعالم المجرب العظيم القادر بعلمه وفنه وموهبته على شَلِّ حركة الفساد والمفسدين وضبط جماحهم وشد عضد المصلحين وتسديد وتدبير سراحهم .

مغزى الانتظار لظهور المصلح :

إنه لا يعني ترك السعي والاعراض عن بذل المجهود ، لا أبداً، بل يلزم الجد والسعي في الجهادين ، وبحسّ المسؤولية الفردية والجماعية دوماً ، لا الرضوخ والخنوع واليأس ؛ فتلك هي العقيدة الخاطئة في تفسير القضاء والقدر ، فالقدر ما قدّر وحصل بالقدر من بذل المجهود الفكري والعملي وسار طبق نواميس إلٓهية طبيعية مرسومة ثابتة ، وإلاّ لما أمرنا بالسعي والجهادين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وبهذه ندري ونطبق السير الطبيعي المقرر والذي ينبني عليه القدر الموزون بالمقاييس المتطابقة لنواميس الله الكونية الثابتة ، وكل شيء بقدر ومقدار ومتى تهيأت الشروط والأسباب فعلينا اغتنام الفرصة لربطها وتركيبها ، فالميكانيكي الذي يريد عمل أداة لا يمكنه إلاّ متى تهيأت قطع المعدن وأجزاؤه والمواد الرابطة ليعمل منها مثلاً كرسياً ، والكيماوي الذي يريد ايجاد سترات الصوديوم فعليه احضار مثلاً : حامض الليمون وبيكربنات الصوديوم ، والماء ووضع مقاييسها ثم السعي لخلطها بمقاديرها المتناسبة وبدرجة حرارة متناسبة وعندها بالسعي والعمل بالخلط يحصل القدر المطلوب المقدّر ، وهكذا في الموارد الفيزيائية ، ومنها قوانين (أرخميدس) والقوانين الميكانيكية وكل القوانين المادية والمعنوية ومثلها في التلاقح في الأحياء وفي كل مسالك الحياة ، ونحن بوعينا وعلمنا وسعينا نسرع بالقدر والقضاء ويكون محتوماً عند تطبيق المقاييس والأسباب بشروطها اللازمة ، ولو تركنا الأجزاء إلى جنب بعضها وانتظرنا دون شرطها العملي بالخلط أو المزج أو العمل الميكانيكي أو المعنوي اللازم فلا يتم الأمر أبداً إلاّ بحدثٍ

طبيعي يكمل شروط القضاء والقدر ، تلك هي الوسائل والشروط المهيئة والحاجة ماسة لاجرائها للحل والربط ووعينا وحركتنا وسعينا من أصول القدر .

الحاجة أم الاختراع :

وبالتالي الحاجة أم الاختراع ، فالحس بالبرد يدعونا لكشف وسائل الدفء من شتى الوسائل الخاصة والعامة ، من ألبسة ومدافىء وتنويعها ثم تكميلها والجوع دعانا للبحث عن شتى أنواع العمل الزراعي والطبخ وتربية الدواجن ، وأعمال فنية أخرىٰ وكل ما له صلة باتباع ضرورات الغريزة . والخوف ، دعانا لتهيئة وسائل الهجوم والدفاع المادية والمعنوية وكل ما مرّ دعانا للوصول إلى علوم وفنون تشبع تلك الغرائز والتكامل لأحسنها. وغريزة حب الجنس بعثت بنا إلى فنون التجمل المادي والمعنوي في الجنسين لبلوغ الأهداف والتلاقح وإبقاء الجنس وتكاثره وتكامله ، وحس حب النفس وغريزة حب الظهور ، وطلب الحريات ، كل منها بعث فينا شتى الابتكارات والاختراعات لبلوغ شتى الأهداف ، ونزعة العقلاء لتصميم المعرفة والحكمة وسير التكامل إلى الأرقى والأعلم ، ونزعة حب الجمال على اختلافه الطبيعي والمصنوعي المادي والمعنوي كل منها بعث لإيجاد عالم جديد وابتكارات واختراعات، وهكذا نرى الروح البشرية والغرائز والعقول سارت بحكم الإحساس بالحاجة للإبتكار والاختراع والجد إلى التكامل .

وهكذا تسير الخصائص المادية والمعنوية في داخل جسم الإنسان كما سارت خارجه لبلوغ الحاجة وترميم التلف وإصلاح المخرب ودفع الأخطار والأضرار وجلب الصحة والسلامة والهناء والسعادة ، وفي كل منها تصل إلى الهدف حتى الكمال متى تمّت الشروط وتهيأت الأسباب وهكذا في الموارد الطبيعية من حدوث الزلازل وتفجير البراكين ، وهبوب الرياح ، وهطول الأمطار ، واشتعال النيران ودوران الكرات وتتالي الفصول من شتاء إلى ربيع ثم صيف ثم خريف وتكرارها ، وتكاثر الأحياء من حيوان ونبات وزوالها ، وأثر الحرارة والبرودة وازدهار الطبيعة عند اعتدال المناخ وهطول الأمطار

والعكس عند اشتداد الحر وجفاف المناخ أو شدة البرد . وقد يحقق الإنسان بجده وعلمه لجمع شروط ما يرمي إليه من هدف أو أهداف في شتىٰ المسالك ، وهكذا تقوم أعضاء البدن دوماً وبحكم الغرائز والعقل لدفع الفاسد وإقامة الصالح والجد للتكامل ، وهذه الرابطة قائمة في أصل وحدة الحياة والحب والبغض بترقيها روح الابتكار والاختراع لبلوغ الأهداف .

والنتيجة ، علينا مع الانتظار حسن التفكير والنزعة للقول والعمل بجد ومثابرة لتحقيق الهدف من الدعوة لظهور المصلح ، والجد لاستقباله وشد أصره بما لدينا من حول وطول مادي ومعنوي والمسؤولية شاملة « كلكم راع وكل مسؤول عن رعيته » ، وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفرض الجهادين تلازمنا دوماً ولا تنفك عن أي فرد وجماعة منا ، لإقامة الفضيلة وقمع الرذيلة . وهذا ما يأمرنا به الدين والعقل .



المقالة السادسة

مميزات المصلح المنتظر
الذاتية والمكانية والزمانية

١ ـ بنظر أهل الأديان . ٢ ـ بنظر أهل الآراء . ٣ ـ والجمع أولى أي الذي يتفق عليه كلاهما .

الأولى ـ الذاتية :

يجب أن يكون المصلح مميزاً بالعلم والتجربة والحنكة والتقوى محيطاً بالماديات والمعنويات ، له مؤهلات فطرية ومكتسبة ، ذو شخصية مرموقة وإرادة موثوقة ، يضع الشيء في موضعه ، فيختار الطيب من منبعه ويمقت الخبيث في مخدعه ، طاهر المولد وزكي المحتد ، يحفه الأخيار ويخشاه الأشرار . قد واتاه الزمان والمكان .

هذه الصفات لا تراها أبداً في زعيم من زعماء هذا العصر ، ولا العصور الغابرة . فهناك منذ القديم لهذا اليوم وجدنا زعماء على طريقين مختلفين :

١) من نهج طريق العواطف والأهواء وحَكّمته الغرائز فاستخدم الملكات النفسية لبلوغها وسلك سبلاً شتىٰ لنيل أهدافه الخاصة دون رعاية مصالح عامة ، إما جهلاً بنتائجها الضارة أو عالماً بها ، قد أعمت بصيرته الشهوات عن الحقائق والنتائج القريبة والبعيدة وهم الأكثرية الغالبة .

٢) من نهج ودعا إلى طريق الصواب وهو الزكي الطاهر الواقف على الحق والعدل بيد أنه خذلته الظروف المكانية والزمانية أو إحداهما ، وأولئك هم الأنبياء والأولياء ورسل السماء ، أو ذوو الحكمة والعلم من ذوي الآراء الصائبة والنفوس الزكية وهم الأقلية الخائبة .

نعم كانت الفرقة الأولى هي الأكثرية الغاصبة الغالبة ، والثانية هي الأقلية الصائبة الخائبة ، إذ لم توافقهم شروط المكان والزمان لتصميم سبل الخير والفضيلة وإدامتها ، وإنهم طبقات في نشر الفضيلة ولهم درجات ، منهم من لم يجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية ، إلاّ شراذم معدودة مستضعفة لم يقم لهم كيان ، وطمرت معهم بموتهم في الحين أو بعد حين كل دعواتهم الإصلاحية ، ومنهم من أسس فرقاً ومذاهب ظلت قائمة ردحاً من الزمن ثم محقت ، ومنهم من خلفهم من أحيىٰ بعض تراثهم ونشر بعض آرائهم بيد عكرتها اختلاف الآراء ، وتشابك الأهواء ، فأحالت الماء الرائق عكراً ملوناً مجاً أجاجاً بما دست فيه من الشوائب كما جرى لبعض الأديان السماوية الموسوية والعيسوية فغيرت الأصول والفروع ، بضياع أصل كتبهم وتحريفها والدس بها . فلم توافهم الشروط الزمنية ولا المكانية .

ومنها ما أقامت العدالة ونشرت الفضيلة ، ووضعت أصولاً وفروعاً ووصايا للعدالة الاجتماعية في كتبها المنزلة وسننها المعلنة فانتشرت وعمت واتسعت في مكان وزمان محدود ، وكانت ينبوعاً من السراج المنير أضاء ذلك المكان والزمان المحدود وأقام زمرة مخلصة ، بيد والمبادىء في طريق الانشاء في المسالك الواضحة والمناهج الناصحة ، وإذا بالقضاء والقدر يسرع بموت الواعي الكريم وإذا بزمرة النفاق تستحوذ على الأمر وتحرف الطريق وتبدل الأنيق وتخلف العدو بالصديق ، وتضع سيرة مكان السنة ، ويقوم الغصب الدافق مكان العذب الرائق وإذا بالشوائب تعكر الرقراق المقام ، وتزحزح أركان الوئام والسلام ، وتدس التحريف في الإسلام ، فتخذل أعوانه ، وتضعف كيانه ، وتبدل الوفاق شقاقاً والإخلاص نفاقاً . فمازج الحق الباطل ، وساد المغرض والجاهل ، فوقفت كسابقتها ثمارها

اليانعة ، وتضاءلت جذوتها الساطعة ، وعاد العمار خراباً والإلفة سباباً ، والواقع حباباً وسراباً ، فعادوا طوائف متناحرة ومذاهب متنافرة :

وكل يدّعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر له بذاك

والكل ينتظر المصلح المنتظر والموعود المعتبر ، لإعادة الحق إلى نصابه ومحق الباطل وخرابه ، فأين هذا المصلح المنتظر؟ أين مكانه؟ ومتى زمانه؟ نعم : الحاجة أم الاختراع عند البشر المتمايز بالتفكير والتدبير ، وهذه الأعناق مشرئبة ، والخلائق على أهبّة ، والبحوث دائبة والأزمات مناسبة ، فالجشع الإنساني بلغ أقصاه ، والظلم عمّ أبناه ، وكل الموجبات الطبيعية والاجتماعية مؤهلة وجاهزة لتدعيم حكم حكومة عادلة شاملة تقطع أيدي العابثين والمنافقين وتغيث السائمين الحانقين ، وتلبي ذوي الحكمة والبصيرة ، وتنقذ البشر من هذه الحيرة . . بإذن الله تعالىٰ .

أما بنظر أهل الآراء:

نعم دلّت الظروف الخاصة والعامة الطبيعية والاجتماعية أن الحياة لها نواميس وأصول وقواعد وليست عشوائية، فالليل مهما طال يعقبه نهار ، وإن الغيوث تلي الرعد والبرق والأعصار ، وإن العلوم والفنون نتيجة جهود الأفكار ، وهي وإن كانت نتيجة بيد ستخلق نتائج ملموسة ، وهذا البشر الحاس بالحاجة إلى مصلح سيولد مصلحاً بحكم الضرورة كدواء كما اكتشف كثيراً من الأدوية لكثير من الأمراض لمّا أحسَّ بالحاجة وجدَّ في طلبها ، وقد تكاتفت الظروف المادية والمعنوية لإرساله واستقباله ، ومن ثم توافر تلك النواميس لبعث تلك النخبة الصالحة وقيامها بشد العزائم وإصلاح المعمورة ومن عليها . نعم الحاجة أم الاختراع ولا بد للسلام بعد الخصام والقرار بعد الهيام والصحة بعد السقام . بيد أن هذا المصلح المنتظر الذي أجمعت على قبوله أهل الآراء وأهل الأديان والذي بقول أهل الأديان « أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً »، وانه من سلالة النبوة والعالم الزكي العادل الطاهر ، كيف هو بنظر أهل الآراء؟ ما هي مميزاته؟ نعم لا بد أن يكون جامعاً لصفات الخير ، عالماً عادلاً مجرباً ، مريداً ، مديراً ، وفيه ما

يتوسمه أهل الأديان والآراء ، إذ لو كان غير ذلك لما استطاع من إقامة حكومة عالمية مثلى قوامها العدل والمساواة والعلم والخبرة ، إذ فاقد الشيء لا يعطيه ، فاقد الشيء تنقصه الزعامة وتدبير الأمور وإجراء الأحكام بالقسط .

إذن تتساوى صفات المصلح المنتظر وما يجب أن يحمله من مميزات على حد سواء بنظر أهل الأديان والآراء ليكون قادراً على إقامة حكومة شاملة مثلى وله كل المميزات الدالة على قدرته لضبط الحكم وإنهاء عبث المتلاعبين بمقدرات الخلق ، طبق آرائهم وأهوائهم ، له قدرة مادية ومعنوية فوق قدراتهم ، وسيطرة مادية ومعنوية تمتاز عليهم ، فليجمع حوله المصلحين الأخيار ويجتثّ أصول المفسدين الأشرار، ويقيم حكومة عالمية على أساس العدل الاجتماعي يتساوى فيها مختلف الأجناس والأعراق والقوي والضعيف ، والقريب والبعيد ، والأبيض والأسود ، لا تعصب فيها ولا تفرقة ولا ميزة سوى بالعلم والتقوى والبر والإحسان ، حكومة إنسانية متينة تمتاز بالخلق الكريمة وروح التعاون والحب المتبادل والنزعة إلى الفضيلة واجتذاذ الرذيلة ، فالناس على دين ملوكهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يجاهدون الجهادين الأكبر والأصغر جهاد النفس وجهاد الغير . تلك هي مميزات المصلح المنتظر وأعوانه ودولته .

فكيف يأتي هذا المصلح ؟ وكيف تتقبله النفوس مطيعة راضية؟ أبقدرته المادية أم شخصيته المعنوية؟ أتقبله فرضاً ورهبة؟ أم تقبله رغبة وطاعة؟ أم كلاهما؟ .

نعم الأديب يفرض رأيه على المجتمع بقدرته الأدبية ، والفنان يفرض فنه بقدرته الفنية ، والمدير يفرضها بقدرته الإدارية ، ومثلهم الحكيم والطبيب وكل ذي علم واختصاص وعمل في علمه واختصاصه وعمله ، وكل ذي صفة وامتياز بفرض ذلك ، لأن الكلام صفة المتكلم والفن صفة الفنان ، وهكذا الاجتماع يميزه ويعترف به ، ولكل طبيعة فروض ، ولكل علة معلول ، ولكل حادثة سانحة نتائج ، ولكل مصنوع صانع ، ولكل مادة وقوة

من أحياء وجماد خواص وحدود ، ولكل مرض دواء ، ولكل نقيصة كمال ، ولكل جهاز اختصاص ، ولكل جهة خير وشر ، وهناك صالح وطالح ، والصالح ما يرجى خيره والطالح ما يخشى شره ، وبالتالي إن الطيور على أمثالها تقع ، ومتى ظهر المصلح المرموق حفَّه الصالحون اختياراً وانتخاباً ، وأقام حكومة عالمية واحدة مرغوبة من الصالحين ومرهوبة من الظالمين بيدٍ بصيرة قديرة مدبرة .

الثانية ـ الشروط المكانية :

المحيط والبيئة من أرض وما تضمه من مناخ وتحويه من آثار طبيعية وتاريخية ، ومآثر بشرية قديمة وحديثة ، من عادات وأخلاق وأعراق وسلوك وتربية وتشتمل عليه من علم وتجربة وفن وتقدم وتأخر ، وما يلم بها من شقاء وهناء ونعم وبلاء ، ويحيط بها من سراء وضراء ويأس ورجاء ، من نعم رائقة وجنات باسقة أو حروب طاحنة متلاحقة ، مما تثير في النفوس مختلف النزعات والخواطر ، أو تبعث فيها شتىٰ الهواجس والمآثر ، فتدفعها للإستزادة من الرفاه والنعم والتوقي من المزعجات واللمم ، وعندها تدفعها للابتكار والاختراع بحكم طبيعتها المجلوبة إليها ونزعتها المجبولة عليها والحاجة أم الاختراع . .

الثالثة ـ الشروط الزمنية :

وكما تمر الشروط الزمنية على النطفة لتكون جنيناً ، وتتوافر له الشروط المكانية من النقل والانتقال ، والمكان الصالح وما يسبقه من تلقيح صحيح وتغذية جامعة ووقاية وعلاج ، وعناية حتى يبلغ الكمال للإنتاج ، فلا بدّ له لدى المرور من اللحظات الزمنية تلك التي سجلتها له اليد الإلٓهية كناموس طبيعي ، لا بدّ من توافرها مكاناً وزماناً ، وقبلها ذاتاً وعنصراً ، لكل منها شروطها ونواميسها حتى إذا اكتملت أعطت حصيلتها وتابعت فصيلتها .

وهكذا فإن هذا المولود الذي نترقب خطاه ونرجو هداه ، وهو المصلح المنتظر الذي يلم شعث الأمم ويوحد الصفوف وتؤاتيه كل الظروف ، ويجمع

لنا تنبؤات الأنبياء وحدس الحكماء ونهج العلماء ، وبه يبلغ البشر المنكوب حاجته وتصلح خلته ، وتشفى علته ، والحاجة أُمُّ الاختراع ، ﴿ **وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعىٰ وأن سعيه سوف يُرىٰ** ﴾ ، وعلى حد قول الشاعر :

لا تقل قد ذهبت أربابه   كل من سار على الدرب وصل

فلا بدّ بعد هذه الأزمان المتطاولة على وجه البسيطة ، والتي بلغ بها البشر أوج حضارة لم تسبق له من قبل ، واستطاع من التحليق في أجواء السماء حتى بلوغ الكواكب والتجوال في أعماق المحيطات ، واستطاع أن يقرب السمع والبصر فيرى ويسمع لا ما هو إلى جواره بل كل ما هو في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، حتى ما هو خارج كرته الأرضية في أسرع من لمح البصر ، فيعلم المجهول ، ويبلغ المقصود ، ويدرك في سيره وسرعته وتجواله ، فيتغلب على الزمان والمكان ، ولم يبق لديه إلاَّ في جمع شتاته ، والحل والربط والسير بما وضعته الطبيعة ويد القدرة لصالحه ، وبيد مريدة لا تزحزحها الأهواء ، ولا تمزقها الشهوات والأغراض . تلك اليد التي تبحث الإنسانية عنها .

نعود لنتابع مميزات المصلح المنتظر :

قد مرّ وذكرنا مميزات المصلح المنتظر ، وفي هذه المرة نسعى لذكر أجلى المميزات فيه ، تلك التي ترفعه وتميّزه عن سواه من الزعماء والقادة .

لو تصفحنا التاريخ منذ القديم حتى اليوم ، ودققنا في سلوك القادة مهما كانوا ومهما بلغوا ، وما توخوه من أنظمة وقوانين ورموا إليه من أهداف وغايات لما وجدت فيها ما يجردهم من روح الأنانية الشخصية والتحسس بروح العدالة الاجتماعية الطبيعية والخدمة العامة ، أخص خدمة الطبقات المحرومة ، ورفع مستواهم عملاً ، ونشر الحرية البدنية والفكرية ، مثل الحرية الملكية ، حرية النقل والانتقال ، حرية السكنى ، حرية العمل ، حرية الصناعة والتجارة ، حرية الزراعة ، الحرية الفكرية والعقائدية ، والتعليم وكل الحريات للحياة المادية والمعنوية الرفيعة المعتدلة المقرونة

بالمسؤولية الذاتية والاجتماعية للابتعاد مادياً ومعنوياً عن كل ما يضر بالنفس أولاً ، وبالغير ثانياً ، وهذا الضرر أكان يصيب الفرد أو الجماعة ، في الحاضر أو المستقبل القريب أو البعيد ، والسير بعين البصيرة والمنطق السليم المقرونة بقوة الإرادة ودقة الملاحظة للمنفعة العامة والخاصة ، المبنية على الأصول الصحيحة الروحية والقلبية ، التعاونية ، الراسخة المنبعثة من روح أخلاقية إنسانية رفيعة ، تلك التي استهدفها روح الإسلام من عهد آدم ونوح وإبراهيم لجمع البشر على عقيدة موحدة متماسكة ، بروح الحب والمعاونة ، تحت رقابة إلٓهية لا تغادر صغيرة أو كبيرة ، جاءت من تربية روحية أصيلة ، ذابت فيها كل عناصر الخير واجتثت منها كل عناصر الشر .

وإذا عدنا ندرس سُلوك الزعماء القادة ، وما رسموه وسلكوه تجاه الأفراد والجماعات ، من الماضي للحاضر لما أدركت فيهم الغاية والبغية المطلوبة ، تلك التي يرفع بها الحيف من كاهل العامة ، والطبقات المحرومة في العالم ، ولا تراه يتمثل إلاّ في أقوال صفوة من الأنبياء المرسلين ، ووجدت البحث يمر بصورة ناقصة في أبحاث أهل الرأي من صفوة الحكماء كأفلاطون ، ولقد ذهبت كل النظريات الرأسمالية والاشتراكية القديمة والجديدة ، والمطبقة اليوم ، ذهبت كلها دون جدوى غير محرزة من الأهداف المقصودة لنشر العدالة الاجتماعية وإعطاء الحريات ، وتحريض الفرد على المسؤولية تجاه نفسه وغيره لمحض جلب الخير ودفع الضرر وإسعاد النفس .

أما الرأسمالية فباسم الحرية التجارية والصناعية مدت نفوذها في الداخل والخارج ، ودخلت في شتى أعمال التعسف تجاه الأفراد والجماعات من الاحتكارات ومنها مضايقة الشركات الكبيرة للصغيرة والأفراد ، بل قامت بالمداخلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية لانتخاب رؤساء الجمهوريات ، وقهر الشعوب بإقامة الدكتاتوريات العسكرية أو الغلبة على الحكومات الضعيفة بالانقلابات المصطنعة بغية الاستحواذ على تجارتها وصناعتها ، واغتصاب ما لديها من ثروات معدنية أمثال النفط والمعادن

الثمينة الأخرى ، بالقضاء المبرم على الأحرار والكُتّاب وذوي الرأي وإلقاء الفتن والاضطرابات والحروب المصطنعة كما هو اليوم في دول الشرق الأوسط وشعوبه وما يجري فيها من أهوال المعارك بإلقاء الفتن ونشر المخاصمات لغصب ما لديها من ثروة معدنية وتجارية ، وتحويلها للأسلحة المكدسة المهملة بأضعاف الأسعار وإشعال نيران الفتن الداخلية والخارجية وقتل شبابها وتشريد أحرارها وتدميرها وإعادتها ضعيفة فقيرة جاهلة خانعة ، وإرسال الإذاعات الغير الإنسانية لتشويه سمعتها، والدعايات الكاذبة هنا وهناك باسم حقوق البشر وإعلان مساعدات لفقراء ومساكين ومنكوبين هم أسس شقائها وبلائها حيث تعطيها فضلات لا تسمن ولا تغني لشرذمة بيد وبيد أخرى أو قل ألوف الأيدي تنبعث سالبة وماحقة لحرياتها وكيانها وما وفرته لهم الطبيعة ، تلك هي شركات الترست النفطية من جهة وشركات الأسلحة بأيدٍ أخرىٰ ، وغيرها من الشركات التجارية والصناعية ، وتدير شؤون هذه الدول المنكوبة بعملائها المسلطين على رقاب الخلق الفاقدين لكل شيء من غيرة وشعور إنساني ونبالة ، سوى الطاعة العمياء لقهر شعوبها وتقديم ما تؤمر به من أسيادها المستعمرين الرأسماليين لمحض ملء جيوبهم وإشباع شهواتهم وغرائز حب المال والسلطة والجنس وويل لمن اعترض أو استغاث أو اشتكى أو انتقد ، أو نطق أو كتب وشرح شيئاً عن الحقائق أعلاه ، أو طلب علاجاً أو أمر بمعروف ونهى عن منكر ، ورغم أنه لا يجد اذناً صاغية فهو معرض لأشد النكاية والقمع . فما هي الرأسمالية وتلك طرق صغيرة من أعمالها المخزية؟

وهكذا نرى في كل عصر منذ بدء التاريخ لهذا اليوم والبشر يعاني من السلطات القائمة التي فرضت نفسها فرضاً على الشعوب في الداخل والخارج ، ولو استعرضتها جميعاً لما وجدت فيها من استطاع أن يقيم ويدير حكومة عادلة عالمة نظرتها العدالة الاجتماعية والروح الإنسانية ، بعيدة عن روح الأنانية والاستبداد . كلا إذا تصفحت ذلك لم تجد غير عهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي لم يوآته القدر ، وعهد علي عليه السلام

القصير الذي لم توآته الفتن[1] والأغراض الخاصة الجاهلية المتأصلة والجهل المطبق ، وحقاً وكما قال الكاتب الشهير جبران خليل جبران حين يخاطب علياً لو جار الزمان بك علينا اليوم لاتبعناك متابعة العارف بحقك .

وأما أنا فأقول لجبران : كلاًّ فالشروط لا زالت في عهدك غير متواتية .

أما اليوم فأرى الشروط متضافرة ومواتية ، فالشعور بالحاجة والثقافة الاجتماعية والعلم والعمل وتقارب السمع والبصر وسرعة الحركة وانتشار العلم والصحة وتقارب الإحساس والأذواق على وجه البسيطة ، هنا إلى شعور بين كافة الطبقات القوية والضعيفة بالأخطار المحدقة من الحرب القادمة الذرية الخاطفة .

فالحكومات الرأسمالية تقدمت بالضمان الاجتماعي حتى تقاربت إلى مفاهيم اجتماعية وفردية لسد حاجات الأفراد والجماعات ، وتقليص نفوذ الامبريالية الرأسمالية ، والحكومات الاشتراكية بدأت تشعر بنقصها من سلب الحريات وقيام الدكتاتوريات ، وخنق النفوس وتحاول التقرب والتقليل من شدتها ، وتطبيق مبادئها لولا الخوف والرعب مما تدسه لها الحكومات الرأسمالية من الفتن، والحقيقة ان الشرق والغرب يدركان حرج الموقف ويحسان بالأخطار والحاجة تقودهما جميعاً لهدف واحد، هو الإصلاح . ولقد يبلغ العلم مبلغاً إن ساد حكيم عالم ومصلح وأخذ بيده سلاحاً يسيطر به على ما لدى غيره من وسائل مادية ومعنوية ، وخضع له الكل وتنفسوا الصعداء ، قسم منهم رهبة والآخرون رغبة ، فأين هو هذا المصلح العظيم؟!

---

(١) طالع سيرتهم الاجتماعية في معاشرتهم وأكلهم ولبسهم وتواضعهم وعطفهم للضعفاء والمعوزين والحد من المستكبرين .



المقالة السابعة

المصلح المنتظر بنظر أهل الأديان والآراء

قلنا بنظر أهـل الأديان ، وفـرقناهم عن أهـل الآراء ، لأن أهل الأديـان المكونين من رسل السماء والأنبياء يـدلون بمـا يُوحى لهم من مـراكز الـوحي الأسمى أمثال نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمـد ، عليهم أفضل الصـلاة والسـلام ، وغيرهم ممن بشّـروا وأنذروا وخـطبـوا البشـر ودعـوهم إلى سبـل الفضيلة والإمتنـاع عن الرذيلة ، وقـدموا لقـومهم كرامـات ومعاجـز خارقـة ، وتنبأوا بحوادث عن المستقبـل مقرونـة بشروط وعـلامات ، وكثيـراً مما قـالوا وفعلوا وبشـروا وأنـذروا بـه ، كـان لا يـلائم منـطق ومبتكــرات وعلوم ذلـك الجيل ، ويكاد يكون في نظرهم على ما هم عليه مستحيلاً لما لهم من خبـرة وتجربة وعلم ، سيان منها ما أبرزوه وأعلنوه لقومهم كـالآيات والمعـاجز التي جـاء بها مـوسى الكليم عليه السـلام في عصـاه ويـده البيضـاء ، والخـوارق الأخـرى ، ومثله السيد المسيـح عليـه السـلام ومعـاجـزه من إحيـاء المـوتى والشفـاء من الأمراض وإبـرائه الأكمـه والأبرص والأعمى وغيـرهـا ، وإعجاز محمد صلى الله عليه وآله في أعماله وأقواله وكتابه ، مما كان يعجز عنه علم ذلك اليوم وعلماؤه وحكماؤه .

وكلما يهمنا ما أنذروا وبشـروا به من وقـائع ستحـدث بعدهم من خيـر وشر ، والذي يهمنا في هذا الفصل ظهور مصلح يمـلأ الأرض قسطاً وعـدلاً بعدمـا ملئت ظلماً وجوراً ، مصلح لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفـه ، يقيم الحياة الفطرية الطبيعية القائمة على الواقع الطبيعي المنـطقي لا تتقاذفـه

الأهواء ولا الشهوات الخاصة ، ويطبق الحياة الطبيعية الواقعية المستمدة من إلّه السماء مبدع الخلائق ، مكوّر الأكوان ، العالم الحكيم القدير ذو الكمال المطلق ، والواقف على السراء والضراء والمحيط بدقائق الأمور وأسرار ورموز هذا الكون الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن فَيكون ، وقد وضع لكل شيء علة ومعلولاً وناموساً ولم يأتِ أي شيء عشوائياً أبداً ، وعلى هذا وضعوا لما تنبأوا به علائم قائمة على شروط سندلي بكثير منها فيما بعد عن المصلح المنتظر ! .

تلك الشروط والعلائم كانت في حكم المحال في العهود التي نصوا عليها ، كانت في حكم المحال بنظر العلماء أو الحكماء في تلك العصور ، لقصور العلم آنذاك . أما اليوم وما بلغه العلم والفن وما أوجد من معاجز خارقة فسخر بها السماء والأرض والمحيطات وكشف كثيراً من أسرار الطبيعة ، فتمكن البشر في الحركة والتنقل من عمل المستحيل ، فوصل إلى الكواكب واكتشف القمر وباطن الأرض وقعر المحيطات ، وأصبح بإمكانه أن يسمع ويرى في اللحظة ما في الشرق وما في غرب الأرض ، وحتى ما على سطح القمر والكرات السيارة ، ويوعز لها بما يريد ، كل هذه الخوارق تثبت له أن هناك أسراراً أعظم بإمكان العلم كشفها ، وأن هناك قدرات أكبر يمكن بلوغها ، وأن هناك علماء ورجالاً لهم ملكات بإمكانهم المستحيل ، كما أمكنهم بالذرة والإشعاعات أن يدركوا الخراب والدمار ، وبإمكانهم الصلاح والعمار وأن الضرورة التي يشعرون بها مما يحسونه من وقوع الكارثة ، لا بد لهم من وضع حد لهذا الانجراف في الظلم والاستهتار والغصب والشقاء ، ولا يكون ذلك إلاّ من مصدر قدرة مسيطرة على كل قوى الأرض العقلية والمعنوية والمادية ، فتحد من الانجراف إلى الهوة وتشمل هذا البشر الضال بعدالتها ورحمتها ، ولقد كان عند أهل الآراء في الماضي مستحيلاً جمع كل أُمم الأرض تحت لواء واحد ، بيد أنه اليوم بالتقدم العلمي سيمكن ذلك ، وقد كاد أهل الآراء يؤمنون ببشائر أهل السماء ، بل هي الضرورة ، والحاجة أُم الاختراع ، وحتماً سيتحقق قول من قال : عن المصلح المنتظر انه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وها نحن نتابع حديثنا فنقول : أما بنظر أهل الأديان فقد أشرنا إلى ذلك في المقالات السابقة إشارة عابرة ولمحة مختصرة سوف نعطف إلى ذلك بصورة أوسع فيه بعد ، وأما بنظر أهل الآراء فنجد بحوثاً تتوارد في شتى الموارد العلمية والفنية وعواقبها ونتائجها ، وهذه إما أن تكون اختيارية بإمكاننا تسييرها طبق تصاميمنا وبمحض إرادتنا ، أو جبرية تردنا قهراً دون اختيارنا بنتائجها النافعة والضارة ، وكلا الأمرين : الاختيارية والجبرية إنما يقوم على أسس علمية وفنية لا تأتي عشوائية ، وحتى تلك التي تنسب للقضاء والقدر فإنما تنسب له لجهلنا بعللها ومسبباتها الخارجة عن حدود طاقاتنا العلمية والإرادية .

فالكون وما يحويه من كواكب سيارة خامدة ومشتعلة وما يفصل بينها من أجواء وما يحويه من مادة وإشعاعات وأثرها الظاهر على بعضها ، وأثرها على مجموعتنا الشمسية ، وكوكب الأرض الذي قد لا يعد بما يحويه من أسرار ذرة من هيكل هذا العالم الذي لا تدرك مداه مكاناً وزماناً ، ولا زلنا نجهل أسراره وإن بدت لنا بعضها في العيان هذه وما تحويه من مخلوقات حية وغير حية وما تتناهى منها في الصغر كالذرات وما تحوي هذه الذرات من طاقات وأسرار ، وما توصل إليه البشر هذا من الندرة العلمية لبعض الشيء لسرٍ من أسراره ، والحل والربط ، وهذه الأحياء التي تعج بها الأرض وما تضمه كل منها من كوامن مادية وغير مادية ، والذي لا زال عاجزاً عن دركها ، وحتى بلوغ سرٍ من أسرارها بصورة كاملة ، فالذرة مثلاً ، ومثل ذلك ما يحويه الجسم الإنساني من كوامن[1] ، بل وأبعد من ذلك حتى ما يحويه جسم حشرة مرئية أو غير مرئية مادية ومعنوية من قيم ومقومات وعلل خلفتها ، وأطوار سلوكها والكثير الكثير الذي كلما انكشف لنا منه مبهم تجلت لعقولنا عظم جهلنا ونقص إدراكنا لفهم ما يحيط بنا من قريب أو بعيد ، وقد دلّت الآية القرآنية الكريمة يوم سُئِل محمد صلى الله عليه وآله ،

---

(١) انظر إلى مقالة الدكتور في مجلداته عن خلايا البدن ودراته .

نبي الإسلام ، عن الروح فنزلت الآية : ﴿ **يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً** ﴾ ، نعم ربما كانت الروح من الأسرار العظمى التي أعجزت البشر رغم تقدمه العلمي والفني .

ونحن رغم جهلنا الوصول إلى كنه الخلقة والخالق العظيمين وعدم إحاطتنا بها ، لا يمنعنا أن نستفيد من عقولنا وحواسنا وما تركته لنا الخلقة من آثار على حد قول القائل : « البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير » وهذا رأينا في الاستنتاج : فنظرتنا إلى البعرة تعرفنا على قدر إحاطتنا وتجاربنا حول هذه البعرة ، أهي بعرة بعير أو ضأن أو غزال أو فأر ، وأية دابة أو أي طائر وعلى قدر مشاهداتنا السابقة وعلمنا واطلاعنا نستطيع الجزم في تحديد نوع ذلك الحي ، وهكذا علم الأثر وفنه يدلنا على اتجاه ومسير ذلك الحي .

وكثيراً ما تأتي النتائج رغم أنوفنا ، إما لجهلنا بما ينتج حوالينا من قريب حتى داخل أجسامنا أو من بعيد أو رغم علمنا بها لعدم قدرتنا على درء ذلك ، كأكثر الكوارث الطبيعية والأوبئة ، والأمراض ، وكثيراً ما نجهل الأمر فلا نستطيع من مقاومته والوقاية منه للأمرين حتى إذا وقع آنذاك نستطيع استجلاءه من نتائجه على حد قول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : « إذا اشتبهت عليكم الأمور فتحروا نتائجها » . وأحسب أنه تكلم ذلك في الموارد الاجتماعية ، بيد أن الموارد الطبيعية المادية تقرِّب إلى أذهاننا الأمور فتجعلها أجلى وأوضح ، فإذا جهلنا المواد المختلطة مع بعضها نستطيع أن نعرفها بعد خلطها كيماوياً والوقوف على نتائجها الحاصلة ، فالماء الحاصل من تفاعل غازين يدل على كونهما كانا أكسجيناً وهدروجيناً ، وحصولنا من خلط البيكربنات السودا المذاب بالماء مع محلول الأسيد ستريك يعطينا سترات السوديوم ، فإن جهلنا الأولين وعرفنا الأخير عرفنا من الناتج المواد الأولية .

وعلى هذا المبدأ نصل إلى نتائج مادية ومعنوية ، وإذا استطعنا الوقوف على المعادلات كاملة من جميع جوانبها وشروطها استطعنا تحقيق نتائج أكيدة طبيعية ، ولا شك أن كل عالم وفنِّي يصل إلى النتائج حسب علمه وفنه

وعلى قدر ضبطه للأمور يدرك نتائج أصح فالرياضي في علم الحساب إذا أراد الوصول إلى عدد (٥) فلا بدّ له من الحصول عليه من جمع (٢ + ٣) أو تقسيم (١٥ ÷ ٣ = ٥) ، وهكذا في شتى الشؤون الرياضية من جمع وتفريق وضرب وتقسيم . والكيماوي إذا أراد مادة ما عاد إلى قواعد وأصول صحيحة من حل أو تجزئة مواد في درجات خاصة من الحرارة وأصول يجب مراعاتها ، وفي علم الأحياء من حيوان ونبات لبلوغ ناتج حي لا بد من اتباع أصول خاصة في أزمنة خاصة لإدراك ناتج خاص من شجر وثمر أو حي وغيرها ، من مبدأ التلقيح وأصوله وشروطه المادية والزمنية لكل حي على حدة يقوم خاصاً لكل واحد منها يميزها عن غيرها كما يميز التمر وباقي الفروع وخصائص كلٍ وميزاته عن غيره .

والميكانيكي لإيجاد جهاز متحرك للعجلات أو العتلات أو أي جهاز في مختلف ما يحتاج له البشر في أعماله للحركة أو البناء أو التصنيع أو أي مورد آخر لا بد له من تصميم يؤدي بالنتيجة إلى القيام بوظائف على حد ما خصص له ذلك الجهاز وأعدّ من أجله . .

وهكذا في علم الفيزياء واختلاف معداته ، والكهرباء ومختلف أدواته ، من راديو وتلفزيون وما يخص السمع والبصر من أجهزة وأدوات كل تصاميمها وأجهزتها التي صممها ووضعها العلماء والفنيون ، لا تؤتي ثمرتها إلاّ إذا ألمت بكل ما وضعت له من تصاميم منذ البداية وإلاّ كانت ناقصة كلاً أو جزءاً ، ولا يدرك نقصها إلاّ إذا لم تؤتِ عملها المرجو منها ، ولا يدرك ذلك إلاّ الخصيص في أمرها ، وهكذا مجموعة المحركات الحاوية على مجموعة من مختلف العلوم والفنون كالطائرات والغواصات والسيارات والأقمار الصناعية والأدمغة الميكانيكية وأجهزة الكامبيوتر وغيرها ، تلك التي تدرج البشر علمياً وفنياً وابتدعها تدريجياً واستوحاها من مشابهاتها الحية ، أو قوانين الطبيعة ، ولا زال يجد في تصاميمه حتى تكون أجهزته أدق وأوسع شمولاً وأعم عملاً . وهناك ظروف طبيعية كما مرّ خارجة عن قدرة البشر كالتطورات الكونية والطبيعية والجيولوجية مما يجري في باطن الأرض بعامل

الحرارة الباطنة من براكين وزلازل أو خارجها من الإشعاعات الواردة من الشمس وباقي النجوم والنيازك وأمثالها ، وما يحدث على أثر هذه من تبدل الحرارة والرطوبة والتعاريج على سطح الأرض ، كما حدث من أقدم العصور وما أثرت هذه على طبيعة الأرض وسكانها ، ومنها انقراض أحياء وظهور أحياء ، وتقدم وتأخر في نسل ، تلك في أمور مادية وما يتبع ذلك من التقدم والتأخر في العقول البشرية وتطورها وانتقالها من عصر إلى عصر ، ومن ضعف إلى قوة ، وربما من قوة إلى ضعف كخلقة البشر من نطفة فعلقة فمضغة فعظام فلحم يكسوها ، ثم استكمالها جنيناً وتكميل الجنين المتغذي في بطن أمه ومن دمها إلى الولادة ، وتطوره من رضيع فطفل فصبي فشاب ، واستكمال قوته في الشباب فكهولة فشيخوخة فموت ، وهذا الأخير هو الذي أعجز البشر وحيّره من الوقاية والعلاج ، ولقد صرَّح القرآن الكريم بهذه التطورات مهيباً بالبشر إلى رعايتها وضعفه عن الحد منها أو الوقوف دونها ، تلك هي الحدود الطبيعية في جسم البشر وهناك أصول وشروط لمرور البشر في أحسن أدوارها وأطوارها بالسلوك الطبيعي ورعاية الفطرة الطبيعية التي فطر الله البشر عليها ، ومن خالفها كان نصيبه الندم ، ومن شاء الحياة السعيدة كان عليه اتباع القواعد الطبيعية والفطرية وحد الاعتدال في السلوك ورعاية النتائج التي سبقته في الأفراد والجماعات .

وكما أن أفراد البشر يمرون بأدوار منذ النطفة حتى الشيخوخة ، وهذا مسلك لجميع الأحياء ، فللعناصر المادية أدوار تمر بها من لهب إلى سائل إلى جماد ، وللبشر كمجموع له أدوار يبدأ بالنطفة كما بدأ الإنسان في أقدم العصور منذ حمله ثم تولده أشبه حياةً بحياة الوحوش ، إذ بدأ عرياناً ، جاهلاً وأخذ يتدرج على سطح هذه الكرة الأرضية ومختلف عصورها ماراً بأدوار مكانية وزمانية متمايزة بميزات بدنية ومعنوية ، وبمرور الزمان أخذ يزداد تقدماً وتجربة وخبرة لما أثّر به من ميزة العقل والخيال والابتكار إلى الدور الحجري وتشكيل العائلة والقبيلة وتهيئة حاجاته من مسكن وملبس ومأكل ، ثم بدأ بتسجيل مذكراته ومعلوماته نحو التقدم في المدينة والحضارة من وسائل الحرب والسلم والدفاع والهجوم وإقامة إمارات وممالك

وامبراطوريات في مختلف البقاع والأصقاع ، وكلما مرّ عليه عهد وزاد الأفراد والشعوب وازداد ثقافة وتألقاً ، شكلت القرى ثم المدن وتعاون الأفراد في العلم والعمل . ولم تكن قبل اكتشاف الأدوات البخارية التي لم تتجاوز بضع مئة سنة لها القدرة على اختراق البحار والمحيطات إلاَّ بواسطة السفن الشراعية بما تحمله من مشقات وعناء ومخاطر وأهوال لاجتياز بقعة إلى أخرىٰ أو قارة إلى ثانية ، وما تستنفده المدد الطويلة من الزمان تتجاوز الأيام والأسابيع وربما الأشهر أو السنين بين الشرق والغرب ، ويتعرف على شعوب ومدنيات كان يجهلها ، وبعد أن ساعده الحظ على كشف القدرة الكهربائية والتقدم في أجهزة الحمل والنقل والصوت والبصر وغيرها من العلم والفن ، وبلغ بعدها أعماق المحيطات وحلّق في أجواء السماء واستطاع لأقل من مئة عام أن يرى ويسمع في اللحظة ما في الشرق والغرب ، وإصدار الإرشادات والإيعازات والأوامر للهجوم أو الدفاع والإسعاف والإمداد ، وتلقي الحقائق واستقصائها لا على هذه الكرة الأرضية بل انتقل إلى القمر وأرسل رسله عبر الفضاء لتقص عليه ما في الكواكب والسيارات الأخرى . وخلال بضع مئات من السنين كان تقدمه الحضاري قد تجاوز عشرات بل مئات آلاف السنين الماضية في تطوره هذا ، لتطور الجسم الإنساني أو أي جسم حي من خلية واحدة ومروره بأدوار مرّ ذكرها .

كل حي وله أدواره وأطواره في كل دور ، فالشجرة تبدأ بالنوات ثم ترسل جذورها وأصولها ثم تبدأ لتعلو سطح الأرض وتمر بأدوار ، وكل نوع وله مزاياه المكانية والزمانية وطاقاته وبلوغه من الضعف إلى القوة وإعطاء التمر أو الحاصل ، هكذا كل الأحياء من دانية وعالية وأكملها الإنسان المتميز بعقله النامي وعلومه وتسجيلها . وإن تدرج المجتمع البشري أقرب كثيراً بجسم الإنسان البشري كما مرّ في كتاب الحكومة العالمية المثلى تمثل الحجيرة داخل الجسم البشري الإنسان في الجامعة الإنسانية ، والحجيرات في جسم الإنسان البشري تتمايز بأعمالها ومقامها وطعامها وحاجاتها وضرورة حفظها عن العاديات الداخلية والخارجية ، حسب أهميتها كفرق حجيرة الجلد عن حجيرة العضلة ، عن حجيرة الكلية أو الكبد أو القلب أو

حجيرات المخ والمخيخ ، ورغم كونها متعاونة ذات مصالح مشتركة ، إلاَّ أنها تحتفظ كل منها بمركزها ومقامها حفظاً لكيان الجسم الإنساني ليكون حياً قادراً على أداء مهامه على أحسن وجه وقيام كل منها بوظيفة وغريزية بها ليس لها الفضل الواحدة على الأخرى ، إذ الخدمة متقابلة ، بيد مقام حجيرة الدماغ أبلغ أثراً وأعظم قدراً وأمنع خطراً وأجل سهراً على المصالح العامة للبدن ، وهذه الميزة أوجدتها لها الطبيعة ، وهكذا أفراد المجتمع يجب شمل الجميع كل فرد بحاجاته الضرورية مع مراعاة ضرورة ذلك العضو وأهميته للمجتمع العام ، فعليه يلزم تقديم ما يحتاجه من حاجات ضرورية لإدامة الحياة المرفهة والذب عنه دفاعاً عن كل ما يخل بوظيفته من رواسب وأقذار وأكدار وأغيار .

كما وأن لكل دور من أدوار حياة الفرد فرائض وواجبات كذلك المجتمع الإنساني، لكل دور له فرائضه وواجباته وأطواره ومميزاته وله أدوار نقصه وضعفه وتكامله .

فقد كان المجتمع الإنساني في مبدأ نشأته ناقصاً جاهلاً ضعيفاً فقيراً في مسكنه ومأكله ودفاعه وهجومه مادياً ومعنوياً لبلوغ الضرورة وإدراك مأربه ، والدفاع عن نفسه علاجاً ووقاية وقلة خبرة بتجاربه وعلومه وأدنى ما يحيط به من أنداد وأضداد وأعوان وأعداء وخير وشر ، يجهل القريب والبعيد والعوارض المداهمة وأصول الوقاية والهجوم ، وفقره لأدوائها للتخلص منها والاجتناب من أخطارها ، وهو محدود في تصوراته وغاياته ومراميه وأهدافه المحدودة على قدر معرفته وشهواته وأهوائه ، هكذا كان في الأدوار الحجرية الأولى ، وأقصى ما يعرفه عن أبناء جنسه ربما كانت عائلته القليلة العدد ومن مكانه ما يحيط به من بقاع صحراوية أو جبلية وما تجود به أرضه من نبات ، ويسخو أو يقسو عليه الجو من مناخ ، وظلت تمر عليه هذه الظروف المكانية والزمنية وتتوسع دائرة معارفه علماً وتجربة ، ويزداد عدداً من عائلة إلى قبيلة فإلى إمارة وخلالها يبدأ ليثبت ما يحصل عليه من تجارب وابتكارات ليسجله بالكتابة والتحرير البدائي وعندها لا تضيع عليه معلوماته وتذهب هباءً بالنسيان

وهكذا كانت دور الكتابة والقراءة في حياته دور قفزة فاقت في مداها القصير عشرات بل مئات آلاف السنين من حياته الماضية ، وكان المبدأ العلمي باباً يلج فيه لحياة تنقله من دور نهاية البداية الأولى إلى دور البداية الثانية التي تقدم بها معنوياً ومادياً بتطلع بها من حياة البداوة لحياة الحضارة، تؤهله إلى نظرة أوسع في الحياة ، ومعرفة أرقى وطموح أبعد مدىً على قدر ما توحي له شهواتُه وأهواؤُه وتجول فيه أفكاره فينتقل من الإمارات الصغيرة إلى الكبيرة ، ومن الكبيرة إلى الملكية ، ومن القرى إلى المدن ، ومن أمير إلى ملك ، بل يتجاوز ذلك إلى الامبراطوريات ومد سلطانه إلى الغرب تارة وإلى الشرق أخرىٰ ، وإلى الجنوب ثالثة وإلى الشمال رابعة ، بل يمد سيطرته إلى الأطراف والأكتاف ، ويقيم العهود والمواثيق مع جيرانه الأقوياء ويضم الضعفاء والأدنياء إلى نفوذه ، ولا تقف مطامع هذا الإنسان عند حد وشهواته إلى نهاية ، فهو في كفاح وخصام ، القوي يلتهم الضعيف ، ومهما بلغ من العقل فهو مسير بالأهواء والشهوات ، يخيم عليه الجهل والأنانية ، يجهل كل الجهل أن الحياة قائمة على نواميس وأنظمة طبيعية مادية ومعنوية ، وهذه المعنوية بما فيها الاجتماعية هي مهبط السعادة ومآلها ، غير أن طيش الهوى والأنانية دوماً كلما شعر بالقوة أبعداه عن المنطق السليم والإصغاء للعقل وعن حد الاعتدال القائم على القوانين الطبيعية . يحفزه غروره وهواه إلى وضع قوانين ، وضعية تبعده عن الحقيقة ليضع قوانين شخصية تحفظ له مصالحه دون الأكثرية ، قوانين توسع سلطانه وتضيق الخناق على المجتمع ، قوانين تقيم البغض والنكاية في قلوب الأكثرية المحكومة تحت سلطانه ، وتزيد الشجار والشنار مع جيرانه وأنداده ، قوانين تهدد كيانه وتقلق جنانه وتزيد المنافقين من أعوانه ، وتزيد الخصوم من أقرانه ، فتجلب الشقاء مكان السعادة ، والعناء مكان السلام والهوادة ، ولم تخل الأرض من حين إلى آخر من رجال الرأي والعقل السليم من ذوي الآراء الصائبة والأفكار الثاقبة من وحي النفوس العاملة والأدمغة الكاملة ، أو قيام نبي مرسل من إله الأرض والسماء أو إمام موحى له من الله الخالق ذي الكبرياء والآلاء موضحين لهم الصراط المستقيم والدين القويم فتذهب مرضاتهم هباء ودعواتهم فناء ،

والحق وإن وصل صوت الحق إلى مدىً وكاد أن يصلح بعض الفتن ، تغلبت النفوس الطامحة والأغراض الجامحة فأعادت الصلاح فساداً والسلام خصاماً وعناداً .

ولا بد من ذلك طالما الشروط المكانية والزمانية غير سانحة ، والأدوار لما تزل غير صالحة . لهذا اعلنت البشائر المتعاقبة لقيام دولة الحق من ذوي الآراء والأديان ، وإعطاء ثمارها إن استكملت الشروط في المكان والزمان . لهذا كان من غير المنطق ، طلب التمر في غير أوانه ، وإدراك الغرض في غير زمانه ، وكيف نطلب مولوداً كاملاً قبل إكمال المدة ، أو جهازاً عاملاً قبل توفر العدة؟؟ فهناك شروط مكانية وزمانية ، لما يحويه الكون من أحياء وجماد ، ونواميس تسيرها ذات سداد. حسبها الجاهل عشوائية بدت ، والبليد صدفةً أتت ، جاهلاً بالعلة والمعلول ، وانحراف صراطها من الأصول ، واستخفافها بالمعقول . إشباعاً لشهواتها ، وانطلاقاً لرغباتها وأهوائها . تعامياً عن الطريقة أو تغافلاً عن الحقيقة ، يحيدان عن العدل المعلوم، ويعرضان عن الحق المهضوم. جحوداً لخالق الكائنات، ومبدع الأرض والسماوات . لرعونة جامحة غلبتها ، وأنانية فادحة لزمتها ، ومثل هذين أناس وزعماء غواة ، استخفوا بقوانين الفطرة ، والآراء الحرة . والعقول الثاقبة ، والتجارب الصائبة ، والعبر المتناوبة . خرقاً للعرف والسلام ، وإصرارٌ على الكفر والإلحاد. فذاقوا وأذاقوا الخلائق الوبال والشرور ، وزجوا أنفسهم بالنكال والثبور . هذه الخصومات والمنازعات ، والحروب الدائمة في كل زمان اتباعاً للأهواء ، وإعراضاً عن الإصغاء لوحي الضمير ، والمنطق السليم،ومنهج الفطرة، غير آبهين بالنكبات الفادحة على البشر إخوانهم في الإحساس والشعور في شتىٰ أنحاء المعمورة ، ولو حقّقت ودقّقت ، لوجدت أنانية الزعماء علّة العلل ، فهم شركاء المحتالين المتنكرين بزي الصداقة ، وأعوان التجار المحتكرين لحاجات المنكوبين من ذوي الفاقة ، والخائنين المستأمنين على زمام القوة والطاقة . وإذ هم مطمح الصلاح والسداد ، إذا بهم بؤرة الفساد ، وإذ هم مرجع الشكوى ؛ إذا هم

ينبوع البغي في العباد . هم ركائز النفاق ، وعمائد الشقاق . هؤلاء هم زعماء الدول وقادتها بالأمس واليوم .

كل ذلك يدلنا ، أننا نتأرجح ، بين عقول صائبة تهدينا سُبل السلام والصلاح ، وتتمشىٰ مع القوانين الفطرية الطبيعية ، وأهواء وغرائز وأنانيات نفسية ، تحرفنا عن الصراط السوي وحد الاعتدال . فتبدّل السلام خصاماً ، والوئام شؤاماً ، والجنان ضراماً ، من نفوس طاغية ، وذوات جانية ، جبلت على البغي والمروق ، والظلم والفسوق ، فحرفت الطاقات البشرية النامية المعدة لخدمة النوع لغايات خاصة عن العباد ، وغلقت أبواب الخير وكنزت كنوز الثروة المتراصة خوف النفاد . فكان ذلك حرصاً مقروناً بجهل وإصرار ، وعزة بالاثم مقرونة بالاستهتار والاستكبار . جبلوا على الغدر والشقاق ، وتطبعوا على البغي والنفاق ، يقولون ولا يفعلون ، أقوالهم بالبر والإحسان بادية ، وأفعالهم بأقبح الرذائل جارية ، وجوههم وجوه الآدميين الأوفياء ، وقلوبهم قلوب الضواري والاعداء الألداء ، فمتى إذن تحين الساعة لقيام دولة الحق والعدل والسداد ، التي وعد بها الأنبياء ، وأيّد قيامها العلماء والحكماء؟ وما هي شروطها؟ ومتى أوان نضوج الثمرة للأنام ، وبلوغ القصد والمرام ، وزوال هذا الظلم الدارس ، والظلام الدامس ، ومتى يحين بزوغ الفجر الباسم ، والعدل الحاسم . والإمام المنتظر الموعود ، والزعيم المتبصِّر المنشود؟! .

توافر الشروط : ـ

لقد صدقت البشائر السماوية ، وتجلّت رموزها الخافية ، وجاءت تترى حقائقها واضحة ، وغموضها لائحة ، فقرب البعيد ، وانكشف كل مستور عتيد ، وتيسر العسير ، وذل الخطير ، وإذا بالعلوم والفنون تحل العصيب ، وتؤهل القريب ، وما كان معجزاً منجزاً، ويتلاقى أهل السماء بأهل الأرض ، وتتوالى أعلام البشائر للعهد المرتقب ، والسلام المحتسب ، وكل ما ورد من علامات ظهور القائم المرتقب عن الرسل والأنبياء ، وما نقله عنهم الأئمة الأعلام ، تلك التي كانت في حكم المعاجز

مما ورد من تقارب الأبعاد ، لقولهم : « إذا وقع الحديد على الحديد قرب البعيد » نجده تحقق في اختراع القطارات والسيارات والطائرات والبواخر وغيرها ، وإن من علائم الظهور تقارب السمع والبصر ، وإن المصلح المنتظر سيسمعه ويراه في اللحظة أهل الشرق والغرب ، وإن هاتفاً يدعو الناس جميعاً على هذه الكرة للإنخراط إلى مسلكه واتباع أثره .

واليوم ، لا قَبْلَهْ ، حقق ذلك الراديو والتلفزيون وغيرهما، حقق ذلك الوعد والوعيد ، وأنه سوف يسيطر على من في الأرض ، وقد وجدنا الأسلحة الذرية ، والإشعاعات ، أمثال اللايزر والأشعة الحمراء وما دون الحمراء وغيرها ، وما يبتكر كل يوم ، كل ذلك جاهز للهجوم والدفاع ، وطالما ثبتت قدرة العلم والفن ، فلا بد لصاحب الأمر من القدرة والقوة التي تمكنه من السيطرة المطلقة على قوى الأرض بعلمه وأسرار أُخرىٰ ستكتشف على يده كما ظهرت قبلها ، مما كان يعد من المعاجز والآيات ، واستطاع بها البشر قهر الطبيعة ، فبلغ الكواكب ، وجاز حيتان البحر وتغلب على كل عسير .

وقد مرّ وذكرنا بعض ما ورد عن المسيحية والإسلام عن ظهور المصلح المنتظر ، ولسوف أعود لأكمل عمّا ذكرته من قبل وأذكر ما جاء في المذاهب والفرق الأخرى . ثم نطبق ما تبينه أهل الآراء من العلماء والحكماء من إمكان ما بشّر به الأنبياء علمياً ومنطقياً من الضرورات التي يحكم بها العقل للحاجة الملحة والحاجة أُم الاختراع ، والابتكار والاكتشاف . فأما ما جاء عن المذاهب والفرق الأخرى مما ورد في كتاب بشارات العهدين ص ٢٤٢ للدكتور صادقي عمير :

١ ـ شاكموني أحد أنبياء الهنود قوله : « ملوكية دولة الدنيا لابن سيد الخلائق في الدارين (يعني نبي الإسلام) يسود وهو الذي يحكم جبال الشرق والغرب » .

٢ ـ عن كتاب : « يد » وهو من الكتب السماوية الهندية ، قال : « يأتي ملك عادل بعد خراب الدنيا يتزعم الخلق ويسمى : منصوراً ،

ويشمـل حكمه ودينـه العالم ويعـرف المؤمن والكافـر ويعـطيه الله مـا يريد » .

٣ ــ عن كتاب : « باسـك » وهـو من الكتب السماويـة الهنديـة أيضاً حيث يقول : ــ « تنتهي الدنيـا بملك عادل يحكم الجن والإنس والمـلائكة وهو ذو الحق والصدق ويكشف ما تضمه اليـابسة والبحـار والجبال من كنوز ويخبر عن الأرض والسماء ولا يأتي من هو أعظم منه » .

وأعـلاه يشبه قـول أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب عليـه السـلام في نهـج البلاغـة عن الإمام المنتـظر قولـه : « تخـرج لـه الأرض أفـانيـد كبدها » .

٤ ــ جـاء في كتاب « جـاماسب » وهـو من تـلامـذة زرادشت حيث قـال : « يظهر رجل من بني هاشم كبير الرأس والبدن والساق على دين جـده بجيوش كبيرة يتوجه لإيران ويعمر الأرض وينشر فيها العدل » .

٥ ــ عن الـزعيم الديني الهنـدي « جوك » يبشـر بظهـور المهـدي محبـوب الله ، و « يحرق المبتدعين والذين ظلموا بعد أحبائهم ، أولئـك الذين لم يحكموا بما أنزل الله على رسوله ويصلح العالم » .

٦ ــ عن إنجيل متى يبشر السيد المسيح عليه السلام قـوله : « حيث يـظهر ابن الإنسـان بجلالـه في حقل من المـلائكة جـالساً على كـرسي كبير يجتمع عنده كل القبائل فيفرق بينهم » .

٧ ــ عن مكاشفات يوحنا اللاهوتي في الفصل الثاني عشر الآية واحـدة إلى سبعـة ، حيث يـدعي المسيحيـون أن المصلح المنتـظر من نسـل القيصـر ، كما يـدعي الفرس أنـه من نسل كسـرى ، وأما المسلمـون فيـدعون أنـه من نسل محمـد (ص) ، وقد قـال المـوالـون لآل البيت صدق الجميع فالمهدي أي المصلح المنتظر أمه نـرجس حفيدة قيصـر الـروم وجدتـه أم علي بن الحسين بنت كسرى امبـراطور الفـرس وهـو

حفيد علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله .

٨ ـ نص الجزء الثالث عشر من بحار الأنوار للمجلسي على كثير ممّا يخص ظهور المصلح المنتظر ومشخصاته وعلامات ظهوره واستدل بذلك على كثير من آيات القرآن عن ظهوره كما ورد ذلك في بشائر الغيبة للشيخ الطوسي ، وما ورد في ص ٤٢٦ من كتاب ينابيع المودة ، ومن الآيات المشار إليها (٥٥ سورة النور) قوله تعالىٰ : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا . . .** ﴾ ، وما ورد في (سورة القصص) قوله تعالىٰ : ﴿ **ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض . . .** ﴾ الخ . . .

وما ورد في ج ٦ ص ٣٣٨ من تفسير منهج العارفين ، وكذلك ما ذكره تفسير الصافي ج ٢ ص ٦٧٨ عن الآيات ومنها في ج ٢ ص ١٠٧ منه ذكر الآية (١٠٥ من سورة الأنبياء) قوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ .

٩ ـ وما أجمل ما بشر به الكتاب الموعود ص ٧١ قوله : إذا ظهر المهدي بطلت وانهارت كل دول الباطل ، ذلك ما ورد عن الإمام الباقر حفيد الحسين السبط عليهما السلام .

١٠ ـ ما رواه الصدوق في كتابه « كمال الدين » في المجلد الأول والثاني وهو من علماء المسلمين من مصادر آل البيت ، وهناك مصادر كثيرة لعلماء السنة جاء في أشهر كتبهم وعن أشهر صحابة الرسول (ص) ، أما أشهر كتبهم فهي الصحاح نذكر أشهرها :

الإمام أحمد بن حنبل إمام الحنابلة في مسنده في المجلد الأول والثاني والثالث والخامس .

وصحيح محمد بن إسماعيل البخاري ج ٤ في باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام .

وصحيح مسلم بن حجاج النيشابوري في كتاب الفتن وأشراط الساعة ج ١ من صحاحه باب **نزول عيسى بن مريم عليه السلام** .
وكما ورد في سنن ابن ماجة القزويني ج ٢ في باب خروج المهدي .
وما جاء في سنن أبي داود السيستاني وسنن الترمذي .

وقد جمع علي محمد علي دخيل في كتابه الإمام المهدي ص ٢٠٥ كتاباً لعلماء السُنَّة التي تبحث عن المهدي ، وكما ذكر « ذكر الله أحمد » في كتابه « قائم آل محمد » ٢٨ كتاباً من كتّاب السنة ذكر فيه ٢٨ صحابياً شهيراً كرواة و٢١ تابعاً ، ومن البشائر ما جاء في (رؤيا ٦ : ٢ و٢٠ : ٤) قوله : سيخرج يسوع كمحارب أعظم من داود ويغلب كامل العالم الشر ثم يحكم أعظم وأحكم بكثير مما لسليمان وسيملك سلام ألف سنة . وورد عن(لوقا ٢١ و١٠ و١١ و٢٦ و٢٨) أية نبوة يسوع تتم من سنة ١٩١٤ فصاعداً ، ومن علامات ظهور عيسى كثرة الاثم والحرب منذ ١٩١٤ كما جاء في متى (ي : ٧ : ١٢) والزلازل ومجاعات وأوبئة وخسوف وهلع ، (لوقا ٢١ : ١١ و٢١ : ٥ و٢٨) ومتى ابتدأت هذه فنجاتكم تقترب (لوقا ٢١ : ٢٨) وبشارات واقبال بقيام دولة الحق وسحق دول الباطل . (٢ : ٣١ ـ ٣٥ و٢ : ٤٤ ـ ٤٥) واشعيا (٩ : ٧) في توجيه البشر .

ولقد جاءت علائم كثيرة على ظهور المصلح المنتظر في كثير من الكتب ككتاب المجالس السنية ص ٦١٢ وكتاب ملاحم وفتن الطاوئي ص ٦٧ وفي هذه العلائم كما جاء في تشابه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، ومنها تقارب المواصلات والاستعلامات وكثرة الظلم والفساد كما جاء في المجلد الثالث عشر في بحار الأنوار للمجلسي .

ومن العلامات الخاصة المقارنة والسابقة لظهوره عليه السلام :

١) ظهور السفياني وهو من نسل أبي سفيان .

٢) ظهور الدجال ، ويؤيد ذلك المسيحيون في كتبهم « ٢ : ١٨ يوحنا و٣ :

٢٢ » ويعتبرون هذا الدجال من أعـداء السيد المسيـح وجاء ذكـره أيضاً في كتاب أعلام القرآن ص ٤٧٨ للطبعة الثانية .

٣) الصيحة باسمه واسم أبيه صيحة يسمعها من في الأرض جميعاً .

٤) نزول السيد المسيح عيسى من السماء واقتدائه بالمهدي في الصلاة .

٥) يحضر ٣١٣ من أصحاب المهدي خلال ساعة .

مشخصـات المصلح المنتـظر بنـظر جـل الفـرق الإسـلاميـة ووجـوب وضرورة معرفته حسب الرواية النبويـة المتواتـرة، « من مات ولم يعـرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » . والنص على المشخصات هو :

١) أن يكون ابن الحسن العسكري من أحفاد علي ومن سلالـة فاطمـة بنت رسول الله محمد بن عبـد الله (ص) وهو الإمـام الثاني عشـر الذي يبـدأ أولهم بعلي بن أبي طالب فالحسن المجتبى ، فالحسين السبط ، وان له غيبتين الأولى قصيرة انتهت والثانيـة طويلة يبقى فيهـا حياً مختفيـاً ويبقى الكثيرون في شك من طول المدة .

٢) ينهض بالسيف أي بالقوة ويطبق الكتاب والسنة النبوية الأصيلة .

٣) رغم طول حياته يبدو شاباً .

٤) يقضي على الظلم والفساد ويملأ الأرض عدلاً .

٥) يبدأ ظهوره من مكة المكرمة .

٦) يشبه جده رسول الله (ص) اسماً وشكلاً وسيرة .

تلك كانت أنباء الأنبياء والمتنبئين ورسل السماء .

وأمـا ذوو الآراء من العلمـاء والحكمـاء : فقـد اختلفـوا حسـاً وتقبـلاً للبشائر المارة وتقبل العلامات المشخصة تلك التي كان العـالم آنذاك قاصراً عن معرفتها وربما عدها خوارق ومجهولة عن نطاق إدراكه ومعلوماته ردحاً من الـزمن أخص منها في تقـارب المواصـلات والاستعلامـات ، والصـرخـة بين السماء والأرض بظهـور هذا المصلح الـذي يسمعه من في الأرض جميعـاً ،

حقاً كانت قبل بضع مئات من السنين ضرباً من الخيال، ولكن اليوم وبواسطة وأقل أجهزة الراديو والتلفزيون واللاسلكي والمبتكرات العلمية في سرعة الحركة والنقل والانتقال تثبت تلك الأقوال وكأنها عادية وغير خارقة ، ومثلها الأخبار القائلة إذا ظهر المهدي (المصلح) سيطر على قدرات الباطل وكنوز الأرض ، وهي كانت ضرباً من الخيال ، يوم لا يملك البشر سوى السيف والرمح والدرع للحرب ، وأما اليوم فالأسلحة الكيماوية والحيوية والفيزيائية والشعاعية والطائرات والأقمار الصناعية والرادار والاشعاعات والقنابل الذرية والصواريخ عابرة القارات من أجهزة الهجوم والدفاع ، كل تلك والبشر في تدرج مستمر ، وكما أوجد الخوارق اليوم فما يدريك أن الرجل المصلح الحي الواقف على هذه العلوم يستطيع القيام بأجهزة أعظم توقف مفعول كل هذه الأجهزة وتشل حركة القائمين بها وتكون له يد المبادرة على الجميع ، فيسيطر على الشرق والغرب ، وبالأمس الذي كان الشرق يجهل ما في الغرب جهلاً باتاً ثم امتد علمه ليقصر المسافة إلى السنين ثم الأشهر ثم الأيام ثم الساعات ، بل بلغ نفس اللحظة يعلم بها كلاهما كل ما حصل للثاني ، وبالأمس الذي كانت تختلف جماعات البشر عن بعضها في جميع الحالات النفسية والاجتماعية والعرف والعادة والاخلاق وكل شيء .

واليوم اتصل الشرقي بالغربي والجنوب بالشمال وكادت تتوحد الأخلاق وامتزج الأسود بالأبيض والأسمر والأحمر والأصفر ببعضهم اجتماعاً وتناسلاً وبلغ التهذيب مدىً عمَّ به مجاهل الأرض وتحسَّس أفراد البشر بآلام الآخرين والأنباء والأخبار تمر مر اللحظات من أقصى بقاع الأرض لأقصاها ، من أوضاع سياسية واجتماعية وصحية واقتصادية وعلوم ومعارف وكل شيء ، فما يمنع من تقبل تلك البشارات مع العلم بأن الحاجة أم الاختراع والإبتكار والكشف ، وأي حاجة ملحة أشد مما يتحسَّس به البشر أفراداً وجماعات ، من هذا التدهور السياسي والاقتصادي والتبعيض القائم بين الشعوب والدول وقيام الفتن والأمراض العقائدية وتفشي الظلم بالوقت الذي نحن بحاجة إلى الرفق ، حقاً إن ما مرّ من الحروب أخص الحرب العالمية الأولى والثانية وما

فيه من إدامة الحرب الباردة بين الشرق والغرب واستمرار أقطاب الدول وعلمائها بما تجهزها من أدوات الهجوم والدفاع من مختلف المدمرات التي لم ينج منها السكان الآمنون والبشر المسالمون ، وهذه الهوات السحيقة والسيول الجارفة والزلازل الاجتماعية ، والنفاق الدائم القائمة عليه الدول الكبرى من إشعال الفتن هنا وهناك وما يذهب بسببه ضحايا فردية وجماعية وغالبيتها من الأبرياء وهذه الشركات النفطية والمعدنية وشركات الأسلحة وما تقوم به من سلب ثروات حكومات العالم الثالث وكيف تساندها شركات بيع الأسلحة الرسمية الحكومية وغير الرسمية لخلق الشقاق والنفاق وقلب الحكومات ونصب زعماء أشداء على شعوبهم وما تجده من الحروب المصطنعة الداخلية والخارجية في أمريكا الوسطى والجنوبية ، وأفريقيا الشمالية والوسطى والجنوبية والشرقية والغربية ، وآسيا أخص الشرق الأوسط تلك من جهة وأخرى مناقضة لها من الدعوات والصرخات من نفس الدول المثيرة لتلك النكبات للمطالبة بحقوق البشر والدعوة إلى مساعدة المنكوبين .

إن العالم كله ليتحسس بهذا النفاق من رجالات الدول العظمى القابضين على زمام الحكم والذين إن كانوا حقاً مجدين ومخلصين للبشرية لوضعوا الأسس لرفع هذا الحيف عن كاهل الشعوب المقهورة ، ولأبدلوا ما يصرف على أسلحة الدفاع والهجوم والأسلحة المهولة لدمار البشرية وخرابها إلى سعادتها وسلامها ! . بيد أن رجال السياسة وتارة الحرب يختلفون احساساً عن علماء النفس وعلماء الاجتماع والحكماء والفلاسفة فمتى تنصاع الشهوات والأهواء النفسية المساقة بالغرائز إلى العقل الحكيم والمنطق السليم وإلى دعوات الحق وصرخات رجال العلم والدين الأتقياء ، وإلى أطباء الاجتماع ؟ نعم متى؟ إن الحاجة أم الاختراع وإن الشروط التي تكتمل بها ساعة القيام لحكومة العدل وتحطيم الأغلال المفروضة من الزعماء المستبدين قد تهيأت كل وسائلها من الوعي العام العالمي ، وتقارب الشعور والإحساس لجميع البشر ، وتقارب المواصلات ، وسرعة الحمل والنقل وسيطرة السمع والبصر على كل أجزاء الأرض والعلم بظاهرها وباطنها ،

وبلوغ العلم أشواطاً بعيدة المدى للعلاج الصحي والاجتماعي المادي والمعنوي وكل وسائل الوقاية المقدمة، والانتظار المرير للمصلح الحكيم الجامع لشروط الزعامة من تقوى وعلم وخبرة وتجربة وملكة عقلية وبدنية ، وأخيراً ولمّا ندركه وربما كان العلاج الشافي والقوة القهارة وهي القدرة على وقف مفعول جميع ما لدى البشر من أسلحة للدفاع والهجوم والسيطرة المادية والمعنوية الكاملة على دول وشعوب الأرض وضمها جميعاً بالقهر والغلبة البدنية والمنطقية إلى دين الفطرة والطبيعة إلى العرف ، إلى الوحدة في العقيدة ، والشخوص إلى الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، إلى الخالق المصور المبدع القدير الدائم القائم الواقف على السراء والضراء والجهر والسر ، الداعي للخير والفضيلة والنافي عن الشر والرذيلة ، الحق أن البشرية اليوم بلغت من النضوج العلمي والفني والنفسي والاجتماعي ومن التشابك والتداخل والدراية والمعرفة مبلغاً ، لدرجة لم يدركها من قبله ، وتوفرت له كل الوسائل المفروضة لوحدة الصف ، لوحدة الكلمة ، لوحدة العقيدة ، لوحدة المسلك والمعيشة ، للعدالة والمساواة ، وخدمة الفرد والجماعة وتعاونها وتعاضدها كمجموعة حجيرات البدن وأعضائه وأجهزته ، وتكاتف الكل لخدمة المجموع والمجموع لخدمة الفرد ، خدمة صادقة أمينة دائبة متزنة متكافئة واعية ، من التقارير الصادقة والإيعازات الموافقة ، ولإقامة حكومة عالمية مثلى للعالم أجمع يقوده العقل إلى إيمان لدين الفطرة والعرف والمعروف ذلك دين الله في خلقه .



المقالة الثامنة

البشرية على الصراط

إلى أين يا قادة إلى أين! حـذار الجهل! حذار الغفلة ! حذار الـطيش! حـذار الزلّـة ! دونكم الحكمة والمنـطق السليم ، إنكم والبشريـة على حافـة الهاوية . . فالحذر الحذر قبل فوات الفرصـة ، والحذر الحـذر من ساعـة لا ينفع الندم ! فعـوا وحكّموا آراءكم وانصتـوا لداعي العقـل والمنطق السليم ، وصـرخة الضميـر واستغاثـة الوجدان. لمن هذه الأسلحـة الفتاكـة المدمـرة ، والأجهزة النكراء المستترة ، والعقول الالكترونية المـدبرة ، والجهـود الجبارة المنكـرة! فمن هو الخصم المقصـود ، والعـدو اللدود؟ والله لا يحيق المكـر السيء إلاّ بـأهله ، وكـلا الخصمين المتخـاصمين يحملان نفـس المكـر والرذيلة ، وكـل يسيـر في طـريق الهـلاك والـدمـار ! وسينقلب السحـر على الساحر ! . .

فعوا وأبدلـوا الشر بـالخير والبـاطل بـالحق والظلم بـالعدل ، والـطيش بالحكمة ، والعنف باللين والرحمـة ، والقسوة والبغضـاء بالـرأفة والـرحمة . وصيّروا هذا الجحيم الهامد المعد للإنفجار إلى نعيم يضمكم كإخـوة أبرار ، تسود فيه المثل الإنسانية : الرحيمة والوصايا الرحمانية الحكيمة ، أقول ذلك بعد أن أجهدت الفكر وتدبرت الأمور واستعرضت تاريـخ البشريـة منذ البـدء وتـدهورهـا على يد الاستغـلاليين الطغـاة المتغلبين بالقهر والقوة والمنفـذين رغبـاتهم الصبيانيـة بعيداً عن الحكمـة والمنطق السليم على أسـاس الشهـوة والقوة شرهاً وطيشاً وعدواناً ، أولئك الذين زحزحوا النواميس الطبيعيـة ليحلوا

محلها أوامر ونواهي تلائم أهدافهم وتوافق أغراضهم ونهمهم وحرصهم وجشعهم ، حتى إذا طوى الزمان أسلافهم وبلغوا شأواً من العلم فيه الخير العميم والشر الجسيم ويا للأسف تمادوا رغم ما لمسوه فيه من مناهل الخير ومسالك الفضيلة ، جرهم هواهم إلى معاشر الشر ومكامن الرذيلة ، واليوم ما أدراك ما اليوم! اليوم الذي لم تلق البشرية مثيله ولم تجد الأرض على سطحها عديله هذا اليوم الذي بلغ البشر أوجاً من العلم تحكم في مسير صحته ومرضه ، وتغلب على أشد الأوبئة الفتاكة بطبه ، وجدّ بآلائه وأدواته فأدرك أعماق الأرض والمحيط وتسابق في أوج السماء ، ونظر دقائق الخلقة المتناهية في الصغر وبدائع الأفلاك المتناهية في الأبعاد والخطر ، وأدرك بسمعه ونظره في اللحظة مشارق الأرض ومغاربها وبلغ كرات السماء ، وأصبح بإمكاناته العلمية من خزن المعلومات وإرسال الإيعازات ، وبلغ من الكون لكشف الذرات وأسرارها والوقوف على الأشعّات وأطوارها ، بيد أنه ويا للأسف وقف على مفترق الطرق بين أن يستخدم علمه لكسب وإدراك السعادة والنعيم التي هي قاب قوسين منه وأدنى تراه يبذلها في مسالك وعرة تسوقه والبشرية جمعاء وبعلم وإرادة منه إلى الدمار والجحيم ، وإنا نرى اليوم أنه لا فرق بين الشرق والغرب ان كلّاً منهما يحس مضطراً للمقابلة بالمثل للسلوك الأشد خطورة وأَمَرُّ بليةٍ على عدوه ، ناسياً أو متناسياً أن عدوه بشر مثله يقف نفس الموقف وأن الدمار إن وقع أحرق الأخضر واليابس والشرق والغرب فلا يبقي ولا يذر ، فهلا من حيلة ، وتدبير وتفكير يبدل الحرب سلاماً والفرقة وئاماً والخصومة إلفة ، بلى والله ، إنه بسلوك مكارم الأخلاق وترك النفاق وصفاء النية وحسن السجية وجمع شمل الأخوة البشرية ، وإقرار العدل الاجتماعي والتساوي والمودة والعمل بقصد الخير تصميمه ودفع الشر وتهديمه وإقرار الأحسن وتكريمه ونشر البر وتقديمه . .

لقد مضت أكثر من أربعين سنة على نهاية الحرب العالمية الثانية والتي طحنت وخرّبت وقتلت الملايين، وتلك حربان عالميتان لتعنّت الدول الطاغية ولا أسمي أية واحدة منها ، وإن كانت إحداها أشد تعنّتاً فإنما كانت الأخرى هي

الأخرى سارت في سياسة طاغية غير معتدلة ، ولم يتحكم العقل والمنطق بكلا الطرفين ، وأنا لا أشك أن الشرارة تثار من واحدة فتعم بيد عقلاء الدول منذ أمد طويل على بصيرة من الأمر وذوي خبرة على اقتراب اندلاع هذه الجذوة المستعرة المستمرة والتي يجب حدها وإخمادها . . .

لقد كانت الحروب منذ الأمد البعيد يثيرها الطغاة الانتهازيون لا لحق ولا قصاص عادل ولم يردعهم رادع أخلاقي أو إنساني عما ستكسب بعد تلك الضحايا سوى إشباع رغبة دكتاتورية ، والشراهة الإنسانية قد لا تكون محدودة ، ولقد تدرجت تلك الحروب بأدوات باردة من سيف ورمح وما شاكل ، حتى اكتشاف البارود حيث انتقلت إلى حرب تستعمل فيها الأدوات الحارة من بنادق ومدافع ، وكانت الخيل والبغال والحمير والجمال وبعض العربات ذات العجلات التي تجرها الحيوانات ، والسفن الشراعية السائرة بقوة الريح أو القوى الإنسانية هي الوسيط حتى أبدلت بالمحركات البرية والمائية البخارية ثم الكهربائية وتنوعت الطاقات والأسلحة المدمرة غير الباردة ، إلى مواد كيماوية وحيوية وكهربائية ، وحتى الحرب العالمية الأولى والثانية كانت للطائرات والغواصات أثرها البالغ ، وهكذا استعمل البشر للغلبة وسائل أشد فتكاً وأسرع قتلاً وفناءً لأخيه الإنسان وكانت عاقبة الحرب انتصار فئة على فئة ، وتخلّف ما تلف من معمورات المدن والقرى بيد قد يسد الغالب ما فقده عند الغلبة على بعض ما تغلب عليه من خصمه ، ورغم كل ذلك فقد كانت الخسائر أكبر جسامة ، وعند انتهاء الحربين نجد السرعة في الترميم وإعادة الاعمار وتقدم العلوم والفنون بجهد العلماء والفنانين ، ممكنة .

أما الحرب القادمة ،هذه الحرب التي أعدّ لها الطرفان كل وسائل الدمار وما يكفي فقط من القنابل الذرية لتدمير أكثر من سبعة أمثال ما تحويه الأرض من آثار عمرانية وحياة ، تلك عدا غيرها من مختلف الأشعات المهيئة للاستخدام التدميري كأشعة (ليزر) مثلاً ، ويضاف لذلك مختلف الأجهزة ذات المحركات على وجه الأرض ، وآفاق السماء من طائرات وصواريخ

عـابرة القـارات ذات الرؤوس النـوويـة المتعـددة ، وهـذه الآلات الحـاسبـة والكامبيوتر التي أحصيت فيها كل آثار الحضارة في بلاد المتخـاصمين بقصد تدميرها ، وهذه الأقمار الصناعيـة وحديثـاً الاتوبـوسات الفضـائية ، لمن كـل هـذه؟ وما هي العلة لهـذه الخصـومـة بين أبنـاء البشـر الـواحـد بين الإخـوة الحـاملين لنفس الروح والأعضـاء والاحتياجـات والرعـاية والعقـل والغـرائـز المادية والمعنوية .

هـل فكـر عقـلاء القـوم وزعمـاء الـدول العـظمى والصغـرى في علة النزاع؟! أهي عقائدية ، أهي غـريزيـة جنسية ، أم غـريزة الجـوع ، أم روح الغلبة؟. أهي أمراض اجتماعية، عقلية ، روحية ، بـدنية؟ أم هي الحـاجة؟ ومهما كانت العلة فما هو السبيل إلى علاجها؟ وهل فكـروا في الوصـول إلى الوقاية قبل العلاج؟

أحسبت أمـريكـا أم روسيـا كمـا همـا تقيمـان المؤتمـرات في الشـرق والغرب لتحديد الصواريخ النووية أو الأقمار الصناعية أو المـدمرات الحيـوية أو الكيماوية أو أشباهها تكفي وقاية لردء الخطر ، وهـم الذين حرّموهـا وعادوا لاستعمالها بقصد القضاء على مخالفيهم ، أو إطفاء نهضة قوميـة أو عقائـدية بقصد تحقيق أهدافهم الاقتصادية أو بقصد بيعها لشعوب آمنة بعد إلقاء الفتن والخصام بينها بغية سلب ثرواتها الطبيعية وقصد خنق أصواتها وارغامها على شراء الفائض من أسلحتها القديمة التي أصبحت متأخرة ومهملة ، ودسّها بيد الشـركات ، شـركات الأسلحـة وشركـات النفط وأياديهم من الشـركات التي أقامت أعمالها على أمثال هذه الأفعال والتجارات الشائنة دون رحمـة أو رأفة ، ولم تكن أمريكا وحدها ، نعم لم يكن الغرب هو المذنب الوحيد بل الشـرق الشيوعي هو الآخر يقود ويقـوم بنفس الأعمال ولنفس القصد ولكسب منافـع متقابلة .

أترى الغرب وما فيه من دول عظمى وصغرى ، والشرق مثله ، أحقيقة طلبـوا الإصلاح البشـري الـواقعي وخـانهم الحظّ أم جهلوا أصـول الـوقـايـة والعـلاج ؟ أم تـرى الغـرب رغب وطلب الإصـلاح الـواقعي لـه ولخصمـه وللشعوب الثالثة وطلب الصلاح وخانه الشرق! إننا كـطالبين للحقيقة والـواقع

نرى في سلوك الطرفين محاسن ومساوىء ، وكلاهما يعرفان ويميزان الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، كالرجل الفرد العاقل المغلوب على أمره بحكم إفراط وتفريط غرائزه الجامحة التي أعمت بصيرته وحددت إرادته وحسنت له السيئة ، فخدع نفسه بنفسه يزين القبيح ليراه جميلاً ، ويقبح الجميل ليراه قبيحاً ، وهكذا تعمل الدول وعلى رؤوسها زعماؤها المادة أطرافها لشتى نواحي المنشآت والأعمال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، قابضة على زمامها ، تسوقها إلى جهة أهدافها الخاصة باسم المنافع العامة لا يردعها رادع مهما بلغ من الدناءة ، ولا يعيقها شيء ، لا مصالح شعوبها الخاصة ولا شعوب العالم ، ومنها رجال السياسة وزعماء شركات الترست وأعوانها ومحركهم ذووا النفوس الشرهة الجشعة التي لا تخمد جذوة شررها في الشرق والغرب من تعميم الفساد المادي والمعنوي ، ومن بينهم بائعو المخدرات والمسكرات وشركات التدخين ، وأشد منهم بائعو الأسلحة ومن جاراهم وأعانهم ، وذوو المصالح الخاصة الاقتصادية ، الذين لا يهمهم أي مصلحة سوى جيوبهم وبعدها احترق الشرق أو الغرب كأنهم سيخلصون من الكارثة ، ولا تهمهم الويلات العامة والخاصة ، كلاً ولا تعيقهم تجارب الماضي البعيد والقريب ، ولا تثيرهم صرخات رجال العقل والحكمة ، ولا يضيرهم تأنيب الضمير والوجدان ، فهدفهم هذا المادي الخالي من سمو المعنى والخلق الرفيع المحشو بالخسة والرذيلة حتى على أنفسهم . كلاً وألف كلاً .

ومهما تكن عند امرىءٍ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

نعم ما في الجنان يظهر على صفحات اللسان ، فهذا البشر الماكر المخادع المنافق يقابله خصم مثله ، طبق النعل بالنعل وكل منهم مفضوح لا محالة ، وكل منهم قد سقط اعتباره وصِدْق قوله تجاه الآخرين ، وكل منهم اعتقد بكذب خصمه إذ كل منهم فقد في نفسه الثقة ، وكيف يثق بخصم يمثله ويحمل نفس مساوئه وحقده وحذره وكيده ، فكيف إذن الحيلة ، وكيف هي الوقاية؟ قد تكاد تكون مستحيلة ما دام كلا الخصمين يحملان هذه

الصفات وكلاهما فقد الثقة بالآخر ، وهل هناك حكم يرضيانه أو قوة قاهرة يخشيانها ، وكلاهما فقد الإيمان بقدرة الله وإرادته ، بل جهل نواميسه وعقاب مخالفته ، أو تجاهل تظاهراً نفاقاً ومكراً بالحقيقة ، إننا بحاجة ماسة قبل كل شيء وقبل أن يطلب كل من خصمه المحبة والرأفة وإحلال مسالك الفضيلة والخير مكان مسالك الرذيلة والشر واتباع الحسن وإهمال القبيح واتباع الحق ونبذ الباطل ، نعم قبل كل شيء عليه أن يتحلى بتلك المزايا ويستمر عليها ، وتشع من أساريره وأقواله وأفعاله ، ومع هذا فقد جبلت النفوس منذ بدء خليقة البشر على التناحر والتنافس ، والنفس المليئة بالأنانية قابضة على زمام هذه النفوس .

أما اليوم فالكارثة نصب العين ، ولم تكن هذه المبتكرات البشرية المبيدة إلاّ واقعية أكيدة ، وكل طرف يحس بعظيم شرها وجسيم هولها ، وانها متى انبعثت من جهة تلتها الجهة المخالفة والعاملة على دكّ معالم المدنية والبشرية جمعاء ، وماذا بعد ذلك غير الذلة والخسران والنكبة والهوان الذي سيشمل لا الخصمين المتناحرين ، بل شمول الويل والثبور كل المعالم الإنسانية ، وربما محوها من الوجود ، فأية عزة وأي شرف ، وأي نتيجة يقصد كل منهما لنفسه وغيره؟ ، فكيف السبيل؟ وما هي الحيلة؟ نعم هناك سبيل واحد لا غير ولا سواه ، وهو :

١ ــ انتخاب لجنة تنظيم خيرة من الخبراء والحكماء السياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين ومنحهم الحل والفصل العدل سريعاً بتصميم الطرفين على حسم الخلاف حسماً يقره المنطق السليم من خبراء وحكماء وعلماء من كل الجهات المتنازعة المتخاصمة بنية صادقة خالصة من أية شائبة سوء ، ثم قصد النفع الإنساني والبشري العام دون تفضيل جهة على جهة .

٢ ــ وذلك بقصد توحيد جميع الحكومات الكبيرة والصغيرة وتشكيل حكومة عالمية واحدة مثلى تحت لواء واحد كدولة فدرالية تضم الشمال والجنوب ، والشرق والغرب ، ذات نظام فدرالي تشملهم جميعاً العدالة

الاجتماعية والضمان الاجتماعي وأعضاؤه وقادته كل له امتيازات حجيرات البدن الإنساني الواحد ينقاد لمركز دفاعي واحد وكحجيرات المخ الإنساني المصون بأعظم صيانة في البدن ، وهو الآمر الناهي الوحيد الذي تصله الأخبار صادقة ، وتخرج منه الإيعازات صادقة ، ويقصد النفع العام لجميع أطراف البدن على حد سواء ، بما فيه من أجهزة متنوعة وحجيرات متباينة ، وهي متماسكة متعاونة مع بعضها رغم قيام كل جهاز وما يضمه من حجيراته الخاصة الدائبة ، كل بعمله دون أن يقطع صلته بأجهزة البدن وحجيراته ودون أن تنقطع عنه الامدادات اللازمة والإيعازات الخاصة. ورغم اكتفاء كل فرد وجماعة منها بما تحتاجه فلكل حسب لياقته وأهمية مكانه وعمله من الجسم الإنساني يمدُّ بالحاجة من الطعام ونوعه الملائم له والرقابة والخدمة اللائقة به . وهنا نجد اختلافاً بيِّناً بين حجيرات الأجهزة وما يخص كلاً وأهميته ، فحجيرات المخ والقلب والكبد والكلية والسمع والبصر والذوق كلاً لها شأنها ، والعناية والطعام الخاص بها لتمدها بالحياة والاستمرار المناسب بيد تختلف نوع العناية ونوع طعام كل منها عن الأخرى ، وهكذا يجب رعاية أجهزة الحكومة العالمية الواحدة المثلى ، هذا مع رعاية وقايتها من الناحية الصحية وعلاجها عند المرض.

هكذا يجب رعاية الجامعة الإنسانية ووقايتها من الداخل والخارج ، فالداخل هو عدم وضع الفرد في غير محله ، فلا يجوز إبدال حجيرة المخ بحجيرة القلب أو الكبد أو العظم أو الجلد ، ولا حجيرة الجلد بحجيرة أخرى مهما كانت عالية أو دانية ، فوضع الشيء في غير محله فيه الضرر المؤدي لشتى العلل والأسقام كما يجب حفظه ما من الخارج سواءً أكان عضوياً أو مادياً ، وهكذا الجامعة البشرية . فإذن قبل كل شيء تحتاج الجامعة البشرية لدولة عالمية مثلى ذات مصالح مشتركة ومتعاونة ودائبة ، وعادلة وصادقة ، في الأخذ والرد ، والخير والشر ، وفي كل أمر مادي ومعنوي ، تحت رقابة ورعاية خاصة وعامة وجهد وظيفي غير منقطع .

وبعد تشكيل هذه الحكومة العالمية المثلى ، يجب ـ كما مرّ ـ توحيدها

في جميع الموارد المادية والمعنوية وكلما هو أقرب للفطرة والطبيعة من كلما هو خير شامل وحفظها من كلما فيه ضرر شامل، والاتفاق على أساس ما يدلي به ذوو الخبرات بعد أن وضعنا هؤلاء الخبراء كلاً في مقره الخاص به، ورقابة الفرد والجماعة بالعناية اللازمة لاحتياجاتها المادية والمعنوية ، وإن الذي يدخر إنما هو إدخار يشمل الجميع بخيره ، كما أن المسرة والألم تشمل الجميع حكمه حكم عضو في البدن الإنساني لو أصيب بضرر وكيف تهب ما في البدن لإصلاحه ، هكذا يجب للفرد في الجامعة أو الجماعة في الدولة الواحدة . وعندها لا ترى إزاء هذه الحكومة الواحدة دولة تخاصمها وتجمع من عدّة وعدد ضدّها ، وتضحي بأوقاتها الثمينة ، بالأفكار المزعجة المزرية على غيرها ، بل هي جميعاً كل نظير الآخر وخادمه ومعاونه والخدمة وظيفة عامة وخاصة .

وعندئذٍ يفرغ بال الأفراد والجماعات من الجد في الحروب والمخاصمات والتشتت والمنازعات ، للوحدة والالفة والتعاون يتحتم بعدها وضع أصول جامعة وافية لخير البشرية وأخرى لسد حاجاتها ، وعلاج أدوائها ؛ مما كان قبل الوحدة غير ممكنٍ .

هل يمكن تشكيل هذه الدولة الواحدة المثلى؟ ومن يشكلها؟ :

لقد مر وذكرنا إمكانها اليوم ، لا قبلها بمئة سنة ، لتوفر شروط ذكرناها ، ولعلل تستوجب ذلك ، فمن يقوم بهذه المهمة؟ لقد ذكرنا شروط قيام هذه الدولة ، وذكرنا المميزات التي تلزم للمصلح وأنصاره وأعوانه ، والحس بالحاجة أُم الاختراع والابتكار ، وها هو الحس عام أخص لدى حكماء البشر وأشدهم علماً ودراية بالمخاطر المحيطة .

إن كل المؤتمرات الرامية لحد سلاح مدمر كالذي يجري اليوم بين الشرق والغرب باطل بطلاناً مطلقاً ، وكل اتفاق محدود غير مجدٍ وما هو سوى تخدير وخداع ، والحل الوحيد هو الوحدة المادية والمعنوية وطلب الإصلاح العام تحت لواء واحد يحمل على عاتقه المصلحة العامة والعدالة

الاجتماعية ، يرمي إلى الضمان الاجتماعي وتساوٍ شامل لسكان الأرض ، ولا فضيلة فيه سوى للخبرة والعلم والحكمة وحسّ الحب والرأفة وضرورة الخدمة والمعاونة البشرية كوظيفة ذاتية غير إجبارية ، وإطلاق الحريات المشروطة بعدم التعدي والتجاوز على حقوق الآخرين ، بل بذل الفرد لأخيه الإنسان بذلاً يواسيه مواساة مودة أخوية ، تسعد بها نفسه ويرضى ضميره ويسكن وجدانه ، وأن تكون الأخلاق السامية والمعاملات الحسنة من السجايا والصفات الأصيلة الإنسانية والعطف والرحمة والمحبة والالفة من المزايا التي يجب أنْ يطرد بها روح الأنانية والحرص والاعتداء والظلم وهضم أي حق لذي روح مهما كان .

وهكذا نضع بعض الأسس كشريعة للدولة العالمية المثلى ونبدأ بوضع الأسس الوقائية لاتباعها من قبل الدول على اختلافها أخص منها العظمى التي بيدها الحل والربط ، كمقدمة للوحدة ، وبعد أنْ وافق عليها الجميع واتبعوها أصبحوا مهيئين للوحدة وقيام حكومة عالمية . وعندها تقوم أسس جامعة لهم جميعاً . إذ كل من دول الغرب والشرق ترمي إلى سعادة الفرد والمجتمع ، وبالتالي التأمين السياسي والاقتصادي والاجتماعي وإحراز الحريات المشروطة بدون ضرر للنفس والغير وهي ستكون حتماً أولى أصول الدولة العالمية المثلى .

الفصل الأول :

إن الأسس الضرورية كمقدمة تتبعها كل دولة على حد سواء حيث تتقارب بأصولها وعقائدها هي : ـــ

آ) السرعة الفائقة بقصد تلافي الأخطار المتعددة المتزايدة تزايداً تصاعدياً متضاعفاً بمر الزمان وفي عدد السكان وضبط وحجر مسبباتها لإيقاف أخطارها المباشرة وغير المباشرة ، والتي تقوم بتعديلها وتطبيقها الحكومة العالمية المثلى وحدها ، والتي سوف نشرح علل التزايد ومضرّاتها عند بحث الأسس التي سندرجها في الفصل الثاني .

كما أن السرعة تتبنا تلوث المياه والهواء الذي هو في طريق التزايد بعلل المتخلفات الحاصلة من المعامل والمواد الكيماوية والفيزيكية والحيوية والطاقات المحترقة على اختلاف أنواعها والتي يجب حدها ، أيمكن وقفه وحده للمصلحة العامة للحكومة العالمية المثلى؟ .

ووقف الأخطار والجهود المبذولة لابتكار وإيجاد وتزويد الأسلحة المدمرة الضارة وتحويلها إلى المعمرة النافعة من خاصة وعامة .

ب) توجيه النوايا والأقوال والأعمال مطابقة لبعضها ظاهراً وباطناً لاثبات حسن النية وصدق الطوية من كلا الطرفين المتخاصمين الطالبين للإصلاح .

ج) انتخاب لجان من رجال ذوي كلمة وخبرة ، وروح إصلاحية واقعية متآلفة من الجانبين تحاول وتقصد الخير والفضيلة والإصلاح والالفة والمحبة وتتحاشى إثارة الأحقاد وجرح وخدش النفوس والسير بروح أخويَّة وعقيدة إنسانية جلية خالية من سوء الظن والحزازات متواضعة نبيلة عالمة خلت من الطمع والتكبر والحمق والجهل والتعصب الجاهل والتعصب الأعمى .

د) وضع أسس جديدة مبدئية في كل دولة تجمع المحاسن من الشرق والغرب ، والقديم والجديد ، وأهل الأديان والآراء ، ونبذ المضرة منها وتركيز أنظمة وقوانين معنوية أخلاقية إلى المادية القائمة تمهيداً لتوحيد الدولة العالمية الإنسانية وللسلام البشري فسعادته .

هـ) إعطاء المجال للحريات الفكرية وإبداء الآراء من ذوي النفوس الرامية والمندفعة بقصد الإصلاح والعدل الاجتماعي للنوع البشري دون تحيز .

ز) الحذر كل الحذر من الأنانيات الفردية أو الجماعية من أفراد ضد أفراد أو جماعات ضد أفراد أو جماعات بروح ويمثل إنسانية وأخلاقية سامية والحذر كل الحذر من كل ما يثير النعرات والتعصبات والمنابزات وسوء الظن

وبعث الخصومة والكراهية في النفوس ، بل العمل لشد أواصر البعض للآخر وإيجاد روح اجتماعية موحدة ، وأما الأفراد المخالفون والأنانيون المنابزون والمنافقون فيجب معاملتهم كمعاملة مرضىٰ يحملون عقداً روحية أو اجتماعية ويحتاجون إلى علاج أو هم ذوو نقص وبحاجة للتكميل دون إثارة الرعب، بل معالجتهم بواسطة أطباء خبراء بعلم النفس والاجتماع ، وسد نقصهم مع إحساسهم بالعطف والرضا والقناعة وحد أضرارهم لأنفسهم وغيرهم وإدخالهم مستشفيات نفسية للمعالجة لا سجوناً للمقاصصة . حتى إذا تم الفصل الأول وتهيئت كل دولة للتنازل عن بعض ما يضر الصالح العام وضمن أصول وقواعد تفيد وتحسن الوضع العام وترمي لإسعاد الفرد والمجتمع ، بعد الخبرة والتجربة ، حتى إذا تقاربوا وأقروا أصولاً نالت موافقة الجميع ، وانتخبوا خبراء يمثلون كل الطوائف الإنسانية جمعاء ، كان لهؤلاء الرأي الصائب للحل والفصل وجلسوا في مركز المخ من الرأس وبعدها يبدأ الفصل الثاني . . .

الفصل الثاني :

١ ــ **المنتخبون** : وهم من ذوي الخبرات وأسماهم حكمة ودراية وعلماً وأخلاقاً سامية وإحساساً وحباً للإنسانية دون تمييز عنصري من لون وجنس وقبيلة ولغة ، وكل ما له ظاهرة مميزة ، ودون فرق بين ذكر وأنثىٰ ، إذ ربما كان للأنثى مقام علمي وحكمي وأخلاقي وذاتي سامٍ أكثر من الذكر واسناد الأمور إليهم وجعل القول الفصل حسب الخبرة ، لإرجاع ما يخص البتّ فيه من نوع المطلوب ، ولهؤلاء انتخاب أجهزة هذه الدولة الواحدة الإنسانية على شاكلة البدن الإنساني المتشكل من رأس إلى قلب ودورة دموية ورئتين وكبد وكليتين وأعضاء حسٍّ وحركة ، إرادية وغير إرادية ، وأجهزة سمع وبصر وذوق وحس وذائقة وغددها وغيرهما ، وعروق وأعصاب وعضلات وجلد و . . والخ . . وكل ما يحتاجه من صيانة لحياةٍ سعيدة هانئة متعاونة خادمة الواحدة للأخرى ، الفرد للجماعة والجماعة للفرد ، وما يكتنف ذلك من تعميم الأفراح والأحزان والاشتراك بكل ما يملكه البدن من

طاقات ومواهب دون أن يستغلها فردٌ أو أفراد أو جماعة أو جماعات ، هذا إلى صدق الأنباء الواردة وصدق الإنجازات الصادرة دون مخاتلة أو رياء أو محاباة لجهة دون جهة ، بل هي الوظيفة والشعور العام ، والمصلحة العامة ، والعدل الاجتماعي والضمان الاجتماعي ، وبعد وضع كل جهاز للقيام بمهامه ، دون مداخلة جهاز آخر فيه إلاَّ بما وضع لها من ضرورة التعاون في أصل التشكيل ، وعدم قيام وترميم جهاز بغير نوعه كالكبد بالكلية أو السمع بالبصر ، إذ ان ذلك تخريب وتدمير وسلوك يؤدي للضرر العام والخاص ، هذا مع وقاية عامة من الداخل والخارج من عبث حيوي أو غير حيوي داخلي أو خارجي كما تدخل المكروبات في الداخل في إحدى الأعضاء فتحتاج مثلاً للوقاية وبعدها للعلاج ، أو دخول مواد معدنية أو حيوية أو غير حيوية ، يجب إخراجها وتصفيتها أو صد عاديتها ، أو كانت هذه المواد الحيوية أو غير الحيوية تسببت من الخارج يلزم وقايتها أو يلزم علاج ما خَرّبت .

وكل تلك التي تحصل في البدن الإنساني لها مشابهاتها في جسم الأمة أو الدولة العالمية يجب رعايتها في الوقاية والعلاج . وهناك موارد الحاجة للبدن من نوم ويقظة وراحة وتعب وتمتع روحي وبدني لها مشابهاتها في المجتمع الإنساني ، والدولة العالمية يلزم رعايتها بحذافيرها ومشابهاتها ، وبعدها تعود لإزاحة ما ألم بهذا البشر من كوارث لعلاجه ، وما يخشى عليه من المستقبل لوقايته . ولا يفوتنا أن للبدن درجة اعتدال إن هزل أدى به ذلك إلى الضعف والتعرض لقلة المقاومة من العاديات الداخلية والخارجية ، وإن سمن عاد عليه بعللٍ وأمراض أخرى ، وهكذا المجتمع الإنساني يجب مراعاة ذلك فيه ، وطبعاً : الوقاية خير من العلاج أي وضع أصول وسلوك مسبق لمنع الهزال والسمنة واتباع حد الاعتدال البدني المادي والمعنوي ، وبعده ننظر ما يجب عمله ؛

١) **الوحدة والعقيدة** دون إكراه أخص ما يقره العقل السلم، وكما أن البشر متّحد في الخلقة والإحساس وفي التركيب والأجهزة والحاجة وامتلاكه

العقـل والغرائـز ، وتركيبـه المـادي والـروحي والـوراثي ، وتـأثـره بـالتـربيـة والمحيط ، وامتلاكه نفس النوع من الحواس الخمسـة ، والمقدرة التفكيـرية والقـدرة على كسب الخبرات بـالتجربـة والتعليم ، فعليـه يلزم تـوحيـده إلى الأصلح من العقيدة توجيهاً تربوياً واجتماعياً .

وكلمـا اتحد في العقيـدة اجتمع شمله وزاده الفـة وسعادة ، وإحسـاساً بوحدة الوجود ، وعـظمة الخـالق المبدع المهيمن القـدير الـوهاب ، للعقـل والحكمـة في النفـوس ، العـادل المـراقب والمحـاسب للخيـر والشــر مقـر النـواميس الطبيعيـة في أصل الخلقـة ومبدع الأحيـاء ومعطي كـل حيٍّ هـداه وسيـرته الـطبيعية والمميـز للإنسـان على جميع المخلوقـات بالعقـل والفكـر والابتكار واكتساب العلم بالتجربة والتعليم ؛ هذا الخـالق الذي وجـه النفس الإنسانية هـذا التوجيـه ووهب كل القـوى الماديـة والمعنويـة وبعث فيها قـوة التمييز بين الحسن والقبيح والخير والشر والعدل والظلم وجميع منابع الحياة ومعـرفة الفضيلة من الـرذيلة ، جعل لهـا قصاصـاً عـاجـلاً أو آجـلاً ، حسب الوقائع والأعمال . وعلّمه التجزئة والتركيب ومـا يلزم إتباعـه والامتناع عنـه ، وعلّمه الصالح من الطالـح وعرّفـه الصديق من العـدو ، وترك فيـه المميـزات والصفـات ، وقدرة الاستنتـاج وسبل الخيـر والشـر . هـذه الهـدايـة إن اتبـع أصولها سعد وإن خالفهـا شقي ، وكما جعـل له حسـاً ظاهـراً كالـذوق يلتـذ بـالحلاوة ويشمئـز من المرارة ، جعـل له حسـاً باطنـاً يلتذ بـالبـر والإحسـان ويشمئز من الظلم والاعتداء ، وجعل جزاء أعماله الماديـة والمعنويـة تتفاوت من الحاضر إلى المستقبل خيراً أو ضـرراً من الساعـة إلى الساعـات والأشهر والأعـوام والآبـاد ، وجعـل لهـا قصـاصـاً على قـدرهـا تتـدرج من الحـاضـر للمستقبل القريب والبعيد ، وهناك المحاسبة على النّيات والأقوال والأفعال : هو الخالق الذي جعل لنا قدر كامبيوترية نحاسب بها أنفسنا وغيرنا ، أبـدع في كونه قدرات لم نتوصل إليها ، تلك هي حفظة لدقائق نوايانا وأقوالنا وأعمـالنا وعدم زوالها ومراقبته ومحاسبته لنا على قدر حسّنا وإدراكنا وعلمنـا وخبرتنـا . تلك هي الوحدة المتماسكة والمنتهية إليه والتي نحس آثـارها وعلينـا رعايتهـا في قرارة أنفسنا ، وهي علّة العلل في بقائنا وسعادتنا وشقائنا .

علينا أن نعلم أن إقرارنا بها يبعث فينا سلوكاً سوياً ، لهناء أفرادنا وجماعاتنا وعلينا أن نعترف برقابة ومحاسبة كونية لا تنفك عنا أبداً ، هي علم الله المبدع لدقائق الكون وعظمته ، والذي لا يغرب عنه شيء فيما تضمه الجواهر والذرات وما تضمه الخلقة من كبيرة ودقيقة وقريبة وبعيدة وحية وجامدة .

ولو آمنّا بهذا كلّه لكفانا سعادة وتواضعاً وقناعة وسعياً للخير وردعاً للشر وعندها الالفة والوحدة والسعادة والحياة الرغيدة ، فالوحدة في العقيدة وتجريد النفس من الشوائب وإن الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر ، وكل ما جاء من عقائد مادية أو معنوية علينا اتباع الصالح منها[1] ونبذ الطالح ، وبعد ذلك توحيد اللغة والكتابة إلى أسهلها تعليماً في قواعدها وعدد حروفها وجمالها وسرعة أدائها ومناهيها ، مما يزيدنا علماً وخبرة وتفاهماً مع بعضنا فإلفة وحباً فقوة فسعادة .

٢) رعاية العدالة : العدالة في الذات والعدالة الاجتماعية للأفراد والجماعات الإنسانية والأحياء . بالنسبة للنفس والمال ، في الموارد المادية والموارد المعنوية .

(فالمادية كالافراط والإسراف القائم في أوروبا وأمريكا وعكسه الجوع القاتل في الحبشة وأفريقيا وبعض أقطار آسيا ومنها إقامة المجازر في الشرق الأوسط بغية شراء النفط بأبخس الأسعار وتحميل بيع الأسلحة لهم بأغلى ثمن وقتل الأبرياء وتشتيت المفكرين والعلماء والمصلحين من بلادهم) .

فللعدالة شروطها بالنسبة للنفس ، فعلى المرء أن لا يسبب لنفسه ظلماً مادياً فلا يجهدها ويرهقها باتعاب بدنية غير مجدية أو أكثر مما تتحمل من

---

(١) قوله تعالى في كتابه المجيد : ﴿ وبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ .

أعمال فوق طاقتها ، أو حرمانها من الراحة والنوم الكافي ، أو إقامتها في بلد يديره سلطان ظالم ، أو زجها في موارد مجهدة نفسياً وعرضتها لآلام نفسية أو تعريضها لصدمات بدنية أو ما يضر السمع أو البصر أو عضواً آخر دون جدوى ، أو إنهاكها بالمواد المخدرة والتبغ أو المشروبات الكحولية أو تعريضها لمجالس الشرب والسهر والقمار وما شاكل ذلك ، مما يعتبر ظلماً للنفس وجالباً لها نوعاً من الاتعاب والآلام البدنية أو الروحية والصدمات المؤقتة أو الدائمة . أما العدالة الاجتماعية فهي أي نوع من تجاوز من الفرد أو الجماعة على الفرد أو على جماعة أخرى ، من كل انتهازي ومتجاوز على الأنفس أو الأموال بالسرقة والخداع وابتزاز الأموال أو القتل أو بث الفتن وخلق مشاكل مما يعمله الأفراد والشركات الكبيرة كشركات النفط أو شركات الأسلحة أو الدول والقيام بظلم شعوب وأمم أخرى،لسلب ثروتها بأبخس الأسعار وإلزامها بشراء الأسلحة المكدسة لديها بأسعار باهظة ، بعد إقامة فتن داخلية أو خارجية وحروب فيما بينها كما يحدث في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، واضطرارها لبيع ثرواتها بأبخس الأسعار وشراء الأسلحة بأغلى الأثمان ، وقلتهم بعضهم بعضاً للسلطة والحكم ، وإبعاد كل ظالم وسافل من منصب القضاء وإصدار أحكام جائرة ، أو قيام تصفيات داخل إدارة الدولة لمحض إرغام الأفراد على إصدار أحكام جائرة ، أو الفتك بأفراد خشية إيقاظ الرأي العام ، كما حدث في كثير من الدول ، أو انقلاب غير عادل وإرهاق الشعب بأيدي انتهازيين من ذوي الأطماع الداخلية أو الخارجية وإقامة أمراء وسلاطين ذوي حكم مطلق يعملون ما يشاؤون وخنق أصوات الأحرار والشعوب بالقتل والفتك والتعذيب ، وحتى دون أي ذنب أو إساءة ، ويكفينا نظرة في كثير من الدول في الشرق والغرب وأخص الشرق الأوسط وكل الدول المنتمية للعالم الثالث .

ولا نريد أن نذكر دولاً بالإسم فهي أعلام في ثرائها النفطي والمعدني تستغل ثرواتها أقلية من أمرائها متنعمة هي ومن اصطنعها وأشاد حكمها من الدول العظمى ، بينما نرى شعوبها في فقر مدقع وجهل مريع وتحت ضغط

وكابوس يعلم الله بعظمها ، بل كلها أُلعوبة بيد الطغاة من الدول العظمى حيث تسخر ثرواتها في بلادها ولغاياتها وتلزمها كيفما تشاء وحيثما شاءت وأكثر تلك الدول النفطية الغنية ذات شعوب مهضومة مكبلة ومحرومة وويل لمن أنّ أو تململ أو تفوه واشتكىٰ ، أو كتب وجاهر وفضح الحقائق ، تلك المظالم لا يقضي عليها سوى قيام حكومة عالمية مثلى تقوم بالقسط والعدل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات في مغارب الأرض ومشارقها دون تفرقة عنصرية أو لغة وجنس ، وتعطي كل إنسان حقه من المجتمع الإنساني كضمان إجتماعي .

ثروات الأرض : وفي الأرض ثروات سطحية وباطنية ، من حيوانية ونباتية وهواء وماء ومعادن مطمورة . وهي بين مملوكة بحق الشراء أو العمل من أراض معمورة بالبناء والعمران أو مشجرة أو مزروعة من قبل أفراد أوقفوا جهودهم على هذا الانتاج فحق لهم استغلال ثرواتها بعد أداء الحق العام للدولة باذلة جهودها لإقامة الحقوق وحفظها والدفاع عنها ، ولمن حفر ونقّب حق تنقيبه وأتعابه الفكرية والبدنية دون غمط الحق العام العائد للحكومة لتوزيعه على الموظفين المحافظين والمعوزين من ذوي الحق في الثروة العامة ، وكل ما لم يستغله الأفراد بالعمل من الظاهر والباطن فهو حق عام للجميع من هذه الدولة العالمية المثلى دون حق لفرد دون فرد أو جماعة دون جماعة ، فالمياه الأرضية ، والمعادن الجامدة والسائلة في باطن الأرض والغابات والأحراش والأدغال ، وما تعطيه من ثروات الثمر والخشب والثروة الحيوانية غير المستغلة من أيدٍ خاصة هي ملك لجميع أفراد هذه الدولة العالمية أي لجميع سكان الأرض . والحكومة العالمية القائمة على إدارة الأمور عليها رعاية الأفراد جميعاً على حد سواء لتأمين أمنهم وحاجاتهم وصحتهم وتعليمهم ورفاههم وإدارة أعمالهم وتقسيم هذه الشؤون والأعمال حسب كفاءاتهم مسؤولة ضامنة لهم حق الحياة والعيش بسلام ومساواة وعدالة دون تجاوز واعتداء فردٍ أو جماعة على فرد وجماعة . . . .

٣) **وضع الشيء في محله** : ومن أهم أصول الدولة العالمية المثلى

هـذا الأصل وهـو من مميزات العقـل والعـاقـل وأهم المميـزات التي أثبتتهـا الطبيعة في أصل الوجود وأعظم نواميس خلقة الله المبـدع الحكيم ، وكمثال نعود إلى جسم الإنسان ومـا يحويـه من حجيرات وتـراكيب وأجهزة وطـاقات وقيـام كل بعمله ، فـالبدن الإنسـاني يبقى سالمـاً هانئـاً حياً مـا دامت أجزاؤه وأعضاؤه نقية من الشوائب ، كل قائم بعمله خير قيـام ، ومتى أصاب الجسم عـطب أو دهس أدّىٰ إلى بتر عضـو أو إعـاقتـه عن عمله ، أو تلف جهـاز من أجهـزته اختلّت كـل أجهزة البـدن من أقصاه إلى أقصـاه لا يهـدأ حتى إعـادة العضو لمقره ، أو استبدال جهاز سالم مماثل مكان المعـطوب ، كزرع كليـة مكان كلية مع مراعاة نوع الكلية وسلامتها ومشابهتها بالجنس من كل الجهات المميزة وبدقة . أما وضـع عضلة أخرى مكـان الكلية مهمـا بلغ ذلك العضـو من رفعة المكان كاستبدال قلب بمكان الكلية فهو هنـا يعطي البدن عكس ما يرجو إصلاحه بل أدام خرابه واضطرابه حتى الموت .

ولكل جهاز حجيراته المميزة به التي يجب استبـدال العضو والحجيـرة التـابعة بنفس النـوع حذو العضـو بالعضـو والحجيرة بـالحجيرة ، أمـا وضـع الشيء في غير محله فهو عمـل لا يقوم بـه إلاَّ جاهـل أو عالم مغـرض بقصد التخـريب ، فلا يجـوز وضع رجـل الاقتصاد محـل الطبيب أو الفقيـه مـكـان الميكـانيكي أو المزارع مكـان الرجـل الريـاضي ، وهذا مـا تستعمله الـدول المستعمـرة بمداخلتهـا في شؤون غيرهـا الضعيفـة لاستحـواذهـا عليهـا بعـد تضعيفها إدارياً داخلياً بوضـع الأمور بـأيدٍ غيـر ذي خبرة وكفـاءة ، وقيام كـل جهاز تحت نظر من يجهـل إدارة أمورهـا كوضـع المتخصص في أمور المـال في إدارة الميكانيكات ، ورجل الصحة الطبيب في وزارة التجارة أو الخارجيّة وهكذا فهو تخريب .

وأذكر أدناه حـادثاً شـاهدتـه بنفسي في العراق على أثـر انتهاء الحـرب العالمية الثانيـة فـي عهـد السلالة الهاشمية وفي عهد كـانت تدار الأمـور في الداخل والخارج تحت نظر مستشارين إنكليزيين في الداخل والخـارج ، وهو أن شاباً عراقيـاً كان قـد تخصص في ألمانيـا على دراسة الآثـار القديمـة

وحيث أن العراق له مركزه في العالم القديم من الحضارة المرموقة وأنه ليس في العراق رغم متاحفه العديدة ، ليس لديه متخصص لإدارة هذه المتاحف فقد حسب هذا الشاب المتخصص بألمانيا أنه قد أجاد في دراسته وسيكون عضواً مرموقاً ، ومفيداً في علمه وقيامه بالواجب . بيد سرعان ما خابت آماله وأصيب بصدمة في الصميم ، حينما قدم شهادته الراقية بالآثار القديمة ، وإذا بالمراجع الرسمية في الدولة تنيط له أن يكون معلماً باللغة الإنكليزية ، وإذا به يستشيط غضباً وهو يرعد ويرتعد ويصيح في المجتمعات أيها الناس انظروا واحكموا كيف أن دولتنا تريد مني أنا المتخصص بالآثار وأنا الذي لا أعرف سوى اللغة العربية واللغة الألمانية أن أكون مدرساً باللغة الإنكليزية ، ولا أعرف بعد ذلك ماذا كان مصيره ، ولا بد وأنه كان مصيراً أسوداً . وهكذا يكون أثر الاستعمار في كل الشؤون من وضع الشيء في غير محله بقصد التقهقر وإدامة الجهل فالضعف والشقاق . .

وليس هناك أحسن وأجدر بالإدارة الحكيمة سواءً جماعة كانت أو شركة أو دولة لكي تصبح ناجحة قوية بكيانها وسيادتها فسعادتها إلى وضع الشيء ووضع العضو في مكانه اللائق به ، من حيث ما يحسنه وله فيه خبرة كالأداة التي تزود بآلات كهربائية أو ميكانيكة فإنها لا تؤدي وظيفتها حقاً ولا يقوم الجهاز بأداء وظيفته أداءً تاماً إلاَّ إذا وضع ذلك في مقره الخاص به وإلاَّ فعاقبة الأداة والجهاز العطب والتلف والبطلان . إذن يجب أن يكون هذا الأمر أصلاً في إدارة الدولة العالمية المثلى المنتظرة ، صدعاً للإصلاح .

٤) رعاية الحريات واطلاقها في المفيدة وغير المضرة وحدِّها في المضرة :

وللإنسان رغبات تثيرها غرائزه منها ضرورية له لإدامة حياته كالأكل والشرب والنوم واليقظة والجد والعمل وتقابلها الاستراحة والاستقرار ، ومنها التحري والتفكير والتجربة والتعليم التي تسوقه للمعرفة والخبرة والعلم والفن والعمل المجدي والابتكارات والاكتشافات العلمية والفنية وحرية الرأي والقول والعمل والبيع والشراء والتنقل والتمتع بحواسه المادية والمعنوية ،

ومنها أنواع الرياضات والتجولات والألعاب ومنها جنسية تسوقه للمتعة وايجاد النسل وتشكيل العائلة ، ولكل غريزة من غرائزه المتعددة المارة الذكر أثر في تقدمه وتأخره والنصاب بين الزيادة والنقصان والحد المفيد هو المعتدل أخص منها في الغريزة الجنسية وغريزة حب الظهور وغريزة الأكل والشرب ولكل منها حدود وشروط ، إن وقف عندها كان فيه خيره وخير الجامعة ، وإن قعد عنها أو تجاوزها عن النوع والحد كان فيها خسرانه وضرره وضرر الجامعة .

غريزة الجوع والعطش إنما قامت في البدن لإدامة الحياة واستمراره لسد ما ضاع ونقص من البدن بحكم الحركة وحرق الطاقات والإفرازات المندفعة منه وحُس الشهية ، والتلذذ غريزة تحبب وتدفع الجسم الحي لسد ذلك النقص ورفع الحاجة ، فإن قعد المرء اختياراً أو قهراً عن الأكل والشرب اعتراه الضعف والانهاك وربما إلى الموت ، وإن أكثر من الأكل والشرب ابتلى بالتخمة وسوء الهضم ، وربما جره ذلك لأمراض أخرى ، والإنسان بحاجة لاستنشاق الهواء النقي الخالي من الغازات المضرة كأول أكسيد الكربون أو ثان أكسيد الكربون ، فهو بحاجة للأكسجين وتنقية البدن من كربون الدم وتنقيه مجاري التنفس ، وهو بحاجة لأنواع متعادلة من الأملاح والمواد الزلالية والدهون والكربوهيدرات وأنواع من الفيتامينات ، وهناك أملاح سمّية وأطعمة وأشربة غير صالحة ، وغازات سامة ، كلها تحمل للبدن عللاً وأسقاماً هو في غنىً عنها فكثرة الطعام حيناً ونوع الطعام والشراب وتدخين مواد تحمل للبدن أنواع السموم المهلكة ومشروبات كحولية ومخدرات ومسكرات من أنواع الكحول ومركباتها ، والنيكوتين وأول أكسيد الكربون الموجود في التبغ أو المواد المخدرة من مركبات الأفيون والحشيش والكوكاين وأمثالها ، تلك التي فيها ضغط وتسكين آني أو نشوة مؤقتةٍ غير أن لها آثارها السامة الضارة على البدن الإنساني وروحه وما تخلف على أعضائه وتنتقل إلى سلالاته من أسوأ الآثار ، وتضطره إلى اعتياد مشين في بدنه وماله ونسله ، لنفسه وعائلته وجامعته وتخلق منه إنساناً آخر متهيجاً أو عليلاً ، تلك في نوع الأكل والشرب والتدخين ومنها الغريزة الجنسية

واعتدالها فيه قرار النفس وحفظ النفس ، والإفراط بها لما تحوي المواد المنوية من عصارة المواد المقوية للبدن والإفراط فيه يسبب إنهاك الأعصاب وتحطيم القوى والتعرض لأشد الصدمات النفسية وعللها ويكفي أن أقول ان في كل مرة يقذف فيها المرء ما يساوي ٣٠٠ ـ ٥٠٠ ألف حويتم منوي كل حويتم منها يحمل كل العناصر المقوية وكل السلالات والخبرات ليكون إنساناً كاملاً يحمل كل العناصر المقوية من فوسفور وحديد وأرسنيك والعناصر الأخرى والمركبات من فيتامينات وغيرها تلقى هباءً لمحض لذة آنية خاطفة ، هذا إذا سار سيرة المحتاط مع من يتلقح منه ، وأما إذا زاد إفراطه وتجاوز إلى موارد غير قانونية والتنقل بين أفراد يحملون الأمراض التناسلية ، فقد كانت خسارته عظيمة وحريته جريمة على نفسه وغيره ، وربما انقلبت لذته الخاطفة إلى كارثة تلازمه ، وكثيراً ما تنتقل منه إلى غيره ممن يمارس معه العمل الجنسي من شتىٰ الطرق ، وكثيراً ما نقل مثل هذا المرء أشد الأوبئة الجنسية إلى زوجته البريئة وأصابها بأعظم الكوارث ، وحتى ربما انتقل لبنيه فكانت كارثة عظمى . كزوج ينقل جرثومة السفلس لزوجته ومنها لمواليدها . .

وهكذا ترى كيف أن الحريات أحياناً إذا لم يحدها المرء أو أولوا الأمر ، أصبحت كوارث على الفرد والمجتمع ، ولا بد من تدريب الشباب وتهذيبهم على حد كثير من الحريات ، واتخاذ أولي الأمر للحد من الحريات المشينة وإطلاق المقيدة ، وفي جميع أنواع الحريات يلزم الاعتدال والسير العادل وعدم الإضرار بالنفس أو الغير في كل ما مرّ ذكره حتى في الألعاب ، ومنها أنواع السهرات وألعاب القمار مما يعطي المرء متعة آنية ويخلق له مشاكل لا تعد ولا تحصى ، وتلقي الخصومة والعداء بينه وبين غيره في مجالس القمار أو أفراد العائلة لما تترك في المرء من روح النزق والجزع والجشع والتجاوز وتحرم الجامعة من العمل المنتج ، إذ للقمار لا يعتبر عملاً منتجاً بل ضرره أكثر من نفعه ففيه الخصومة وقضاء أوقات تعود مرهقة وخاسرة غير منتجة . وما تكتنف مثل هذه المجالس من استعمال المسكرات والمخدرات وإتلاف خير الأوقات وتبعث على الحقد والحسد

والضغينة من خسارة مؤلمة أو نفع لغير ذي حق حقيقي وفي البيع والشراء وما تجر الحرية من احتكار وتحايل ومضاربات وربما كلها مضرة يجب حد كثير منها . .

وهكذا إن الحرية للمرء عزيزة وقيمة شريطة أن تكون مفيدة وغير مضرة ، وأما المضرة فيلزم حدها ببثّ الثقافة الأصيلة ، الحكيمة بين الأفراد والمجتمعات ، ووضع حدود قانونية يحد ويقاصص بها المتخلفون كل على قدره . .

وكما يجب حد الفرد من التجاوز على نفسه وغيره ليس له التعدي على الحق العام وحتى على حيوان ونبات لمحض الحرية ودون أن يكون مقيداً له ومضراً بالجانب الآخر كاصطياد وتعذيب الحيوانات وإتلافها وقتلها لمحض سلخ جلودها الثمينة كما حصلت في بعض القارات ككندا وقوطعت تجارتها من قبل بعض الدول لما في ذلك من اعتداء وجور على حيوانات ذات إحساس تقتل بضراوة وقساوة وتعذيب . أو الصيد لمحض التسلية فالحرية لها حدود يلزم تثقيف البشر لحدودها وتحذيرهم من الإسراف لحد الضرر على النفس أو الغير ، ووضع قصاصٍ لمن جاوز أو تأخر .

٥) **السلوك الطبيعي معدلٌ بسمو الأخلاق :** ـ فالسلوك الطبيعي في الأحياء كافتراس القوي للضعيف ، ودفاع هذا قدر المستطاع والقصاص العادل للمعتدين عند القدرة بيد أن الأخلاق الفاضلة تقول : وإن تعفوا أقرب للتقوى وذلك بقصد ايجاد التآلف والمحبة وجمع الشمل والوحدة والسلام وعدم الخصام وقد مرّ وذكرنا أصول العدالة .

٦) تلافي ما فسد ، ووضع أسس ثابتة لتحاشي الفقر والجهل المادي والمعنوي والوقاية من الأمراض المادية والروحية والاجتماعية ومعالجتها في المرض وسد الحاجات الضرورية من أكل وشرب ، والفصل في هيمنة العقل لتنظيم الغرائز ثم إجابتها مع رعاية الاعتدال . ولتوضيح القسم الأول أقول :

أذاعت محطة راديو واشنطن في الساعة الثالثة والربع بعد ظهر يوم ١٦/١٠/١٩٨٤ خبراً مفاده أن الناس هذه السنة سيموتون جوعاً في العالم

أكثر من ١٥ مليوناً أخص في العالم الثالث ، ومنهم يموت كل يوم ٤٠ ألف طفلاً دون الخامسة جوعاً ، كما ورد في كتاب « التعليم وتحديات المستقبل الصادر في مجموعة دكاترة من نادي روما بمشاورة المفكر الإيطالي أورياء وبتشاي ، في كتابه « صفة الإنسانية » سنة ١٩٧٠ في سويسرة وأمريكا وغيرها . وبعد مطالعات عن الماضي والحاضر والمستقبل قالوا بلزوم درء الأحكام عاجلاً في السلوك والتعليم والسياسة والأسس الاقتصادية على أساس الوقاية للحرب والسلم والجوع بتقليل النفوس ومنع الاختراعات المضرة والمغيرة للجو والهواء المحيط بنا ، وإقامة الضمان والعدل الاجتماعي ودرؤ نتائج التقدم في الطاقات ومنها الذرة ، وحد تكاثر النفوس ، وقال كنموذج لتزايد وتضاعف التلوث في الماء والهواء ونتائجه وتكاثر النفوس على هذه الأرض المحدودة المساحة فقالوا : كان عدد نفوس الأرض في زمن الميلاد ٢٥٠ مليوناً وتضاعف إلى القرن ١٦ فأصبح ٥٠٠ مليون وخلال قرنين تضاعف وأصبح ألف مليون ثم خلال ١٢٠ سنة تضاعف وأصبح ٢٠٠٠ مليون وينتظر أن يبلغ ٧٠٠٠ مليون في سنة ٢٠٠٠ وهذا التزايد يتدرج بنسبة تصاعدية وسريعة . والخطر أن وسعة الأرض محدودة فقد كان يصيب الفرد من الأيام الأولى عشرات الفدن واليوم أقل من ١/٧ من الفدان وهذه النسبة ستقل يوماً بعد يوم ولا بد من دولة عالمية تشرف على وضع حد لتقليل النفوس قبل فوات الفرصة ولدرء خطر المجاعات وهذا الدرء لا يكون إلاّ بوسائل علمية ومنها تحديد النسل وعقم النساء أو عقر الرجال أو وضع قوانين خاصة كما قامت بذلك الصين .

كما يلزم العناية بصحة الجو وتقليل تلوثه وتحديد المواد الملوثة أو القيام بأعمال علمية لتنقيته ولا شك أن الدولة العالمية سيكون لها القدرة والقول الفصل في جميع الموارد الضرورية لوقف الأخطار والأضرار وتوسعة موارد الانتاج وإبدال منع الأسلحة والمواد المدمرة بالمواد المنتجة من معدنية ونباتية وحيوانية وتحسينها وكل ما مرّ لا يمكن أن يقوم به قواد الشرق والغرب لسلوكهم المنحرف وانطباعهم وتطبعهم بعيداً عن الفضيلة بل نحن بحاجة إلى حكماء مديرين إنسانيين بلغوا أوجاً من العلم والثقافة الأخلاقية المعنوية

السامية ، جلّ همهم النفع العام وتقواهـا من الرقيب المحـاسب الذي واقف لا يحيد عن نواياهم وأقوالهم وأفعالهم والتي مدّ بهـا العقل السليم وحـرك به الضميـر والـوجـدان النقي وهـو الأحـد الصمـد المبـدع المهيمن ذو الكمـال المطلق . .

٧) التقوى وهي : الاعتراف بالعدالة الإلّهية ونواميسه القـائمة واحتـرام مـا وهب الله الإنسان من عقل وحكمة وقدرة فكرية وتمييـز بين الخير والشـر والركون دوماً إلى الفضيلة ونهج مزاياها وصفاتها المحبوبة والموصـولة بـالخير للنفس والجامعة البشـرية ، من اتبـاع المسالـك الموصلة لسمـو الأخلاق من تـواضع وكـرم وسخاء نفس مـادي ومعنوي ، وإسـداء المعونـة للنفس والغير والبر والإحسان وحب الالفة والصدق والوفاء والنبـل والشرف ، والجـد وحب العلم والعلماء والعمل والعـاملين وبث الفضيلة وطلب الخير وتـرسيخ الإرادة دوماً لوحي العقل والابتعاد عن الرذيلة وعن كل مـا يمس بكرم وشـرف وسمو الإنسـانية والنفس والغيـر من دنيئة وسيئـة وكل مـا فيه ضـرر مـادي ومعنـوي والابتعاد عن الجهل والجُهّال ، والكسل والحسـد والجشع والحيلة والكـذب والفحشـاء والتجاوز ، والتعـدي والتكبر والتجاوز وكل خسة وكل ما فيه فـرقة ودناءة والابتعاد عن سوء الظن والمعـاملة دوماً باليقين،وحذار الشـك أخص الفـاسد والـوهم المخذل ، والجبن ونبـذ الخرافـات والموهـومات المـاجنـة وحذاراً كل الحذر من النفاق والمنافقين والركـون للأخيـار والابتعاد عن الشـر والأشرار . .

٨) الإحساس دوماً بالمسؤولية تجاه النفس والغير من أفراد ومجتمعات وأحياء وغير أحياء ، وأخص تجاه البارىء المصور الحكيم الناظر المحـاسب العادل على حد قوله (ص) : كلكم راعٍ وكل مسؤول عن رعيته .

وقوله (ص) : أُعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك ، لأن الله يـأمر بـالعدل والبـر والإحسان وكـل ما هـو خيـر وحسن وينهى عن الفحشـاء والمنكر والظلم والتجاوز وكل شر وقبيح ، فهو مصدر الخيـر والكمال والـرحمة والرأفة ويحبُّ عباده الأخيار ويراقب أعمالهم فيما بينهم دنيا وآخـرة ، ويعطي

كل ذي حق حقه في الخير والشر ، ويحب مكارم الأخلاق واتباع نواميسه الطبيعية والاجتماعية ، ويحب العقل والعقلاء والحكمة والحكماء ، والعلم والعلماء ، والآمرين بالمعروف والعاملين به والناهين عن المنكر والمنتهين المتبعدين عنه ، والمسؤولية والإحساس بها تجاه النفس والأولاد والآباء والمربين والمعلمين والعلماء والحكماء تجاه البشر ، كبيرهم وصغيرهم أفراداً وجماعات . هذه المسؤولية والفكر والقول والعمل بها من أقوى الروابط الاجتماعية والإنسانية ، وأعظمها المسؤولية تجاه الخالق الناظر . المحاسب والمجازي دنيا وآخرة وهذا الشعور وهذه العقيدة خير السبل لجلب السعادة للفرد والمجتمع حيث يجعل كل فرد يحاسب نفسه ويسلك سلوكاً متوازناً . تلك يجب أن تكون أصلاً الدولة العالمية المثلى ومديرها وأعضائها وأفرادها وجماعاتها ، حرصاً على سلامهم وسلامتهم وسعادتهم ونجاتهم من المهالك ، وهذا ما لم تجده عند أحد من رجال الجبهتين الغربية والشرقية وإن بدت عند البعض لساناً . .

٩) على الدولة والأفراد والجماعات دوماً انتخاب الأحسن في كل شيء من نية وقول وعمل وأسسٍ وأنظمة وأدوات وسلوك ومسالك، ومعاشر وأصدقاء وأكل وشرب ومركب ومسكن وكل شيء ، ولماذا لا يكون ذلك وهو ما يوافق المنطق السليم والعلم والحكمة ومسالك الخير ، شرط أن لا يكون الفرد منافقاً فيضع الشيء في غير موضعه ويصيِّر الرديء حسناً والعدل ظلماً والظلم عدلاً ويغيِّر ويبدل حسب هواه ، هذا الفرد هو الخطر على نفسه وغيره ويلزم الحذر منه ، وعلى الدولة التحاشي من إدخال هذه العناصر في إدارتها وتطهير الجهاز الحكومي من كل منافق دجال فاسد ناقص معوج السلوك ومحاولة تعديله وتلطيفه وتحذير الأبرياء من معاشرته ومجالسته حتى يعود عن غيه . وكما يجب علينا الابتعاد عن الأوباء والموبوئين والتجنب عن موبوئي الروح والنفس إذ إن ضررهم أشد من الأمراض البدنية على الفرد والمجتمع . هؤلاء يفقدون حس المسؤولية تجاه أنفسهم وغيرهم ويحبون تدنيس غيرهم ، وجرِّهم إلى الحضيض . وهم علّة العلل في تدهور العالم إلى ما هو عليه من الخصام والنزاع والمظالم باسم الحرية وحقوق البشر .

١٠) رعاية التناسب وعدالة التناسب وتقويم كل بما يسديه من نفع وعمل ، وما يحمله من علم وفن وحكمة وما يشع منه من نور وخير وأبعاد ذلك فيشمل به فرداً أو جماعات ، ومتراً أو أمتاراً ، فالشمعة والمصباح والقمر والشمس والحيوان والإنسان وهذا الإنسان وما يفيضه من مقدار الخير لفرد أو جماعة ولساعة أو يوم أو سنة أو دهر أو دهور من خير وشر وفي الخير . ونوع العلم ودرجة أقاضه العالم فهناك فرق وبون شاسع بين حجيرة الجلد والكلية والكبد والقلب والحواس ، وحجيرة المخ في البدن الإنساني إذ به نعرف مقامه الشامخ بما حَفَّته الطبيعة من حواجز طبيعية ضعيفة أو متينة ومدته من غذاء مختلف النوع ، وهناك الفرق بين الفرد العامل العادل والمهندس والطبيب والتاجر والفقيه والخبير المتخصص وطالب الخير وطالب الشر وآثار كل منهم ولذا ترى الجامعة الإنسانية تفرق بينهم على قدر نفعهم وضررهم وجهدهم وعلمهم وتقواهم ، وهناك فرق حتى بين الصنف الواحد من أطباء وأساتذة ومهندسين وكيماويين ، وفيهم الحكماء والفلاسفة المرموقون كأفلاطون وابن سيناء والفارابي والأطباء المرموقون كبقراط وجالينوس وابن سينا والرازي واشور ، وهناك أديسون مخترع الكهرباء ، وأنشتايين مكتشف الذرة ومن وضع العقاقير الشافية للأمراض والأدوات المحركة والراديو والتلفزيون والمحركات والطيارات والأقمار الصناعية والأشعات المختلفة والمخترعات والمبتكرات التي قربت البعيد وسهلت العسير وفيهم واضع القنبلة الذرية وملقيها على هيروشيما ، فهناك تناسب في أفراد المجتمع وتقدير لكل حسب عقله وجهده وعمله وابتكاره المفيد وبالعكس الضار فهذا التناسب موجود عملاً ويلزم تقويمه ووضع تناسب ودرجة له بين الأفراد والمجتمعات تقديراً للعقول والخدمات والجهود كي يكون عبرة وجزاءً يقتدي به المقتدون ولم يكن ذلك التناسب دنيوياً بل هناك العقيدة الدينية والتي جاءت في القرآن في آية من سورة الإسراء : قوله تعالىٰ : **﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾**.

فالتمييز فيه تقدير وفيه احترام وحفظ للمركز العلمي والحكمة والحلم

والتقوى والصفات الإنسانية الرفيعة ، ودرجة أثرها على المجتمع الحي والحضارة والمدنية والثقافة ومد البشرية بالخير والسعادة وانتشالها فرداً وجماعة من الرذائل من النكبة ، من التعاسة بأنواعها المادية والمعنوية ، تلك التي ذكرنا بعض الأصول والأسس التي يجب أن تتحلى بها الدولة العالمية المثلى وقيادتها بل وتشمل الأفراد والمجتمعات ومن الأصول ما ذكرناها في الأصول الاجتماعية في قانوننا الأساسي كأصول فطرية طبيعية وخلقية إنسانية دينية .

المقالة التاسعة

ما يلزم إصلاحه

لا بد لنا من سبر العلل المسببة للمظالم ، وهضم الحقوق ، والخصام قبيل ذكر أسس الإصلاح فيها : —

الحريات المفقودة والمزيفة :

أيترك الفرد والجماعات أحراراً في أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم يفعلون ما يشاؤون دون قيد وشرط ، مهما كانت ومتى وأين كانت ، سواء أكانت نتائج تلك الحريات شراً للفرد أو للجماعة أم كانت خيراً للفاعل وشراً لغيره أم العكس كانت وبالاً عليه وخيراً لغيره ، باعتبار أن المنع يورث الحرص باعتبار أن المرء حريص على ما منع وعند منعه يتضرر نفسياً وروحياً ويكون عنده داء نفسي يعود عليه وعلى المجتمع بالضرر . لذا يلزم اطلاق هذا الميل الغريزي دون تردد ودون تفكير واستجابة هذه الرغبة الجامحة رغم ما يترتب عليها من نتائج ، ونحن نعلم أن الميول والغرائز بعضها ضرورية وفطرية لا بد من عملها كغريزة الجوع والعطش لما تدعو الضرورة لإدامة الحياة والبقاء ، والغريزة الجنسية وضرورة حفظ بقاء النسل ، وهذا ما يحكم بضرورته العقل وبعد يقرر ضرورة استجابة هذا الميل استجابة لا تنقص أو تزيد عن حد الاعتدال كأن لا يقل عن الضرورة المطلوبة فيورث ضعفاً للجسم الحي ويجعله عرضة للأوباء المادية والمعنوية مرتبك الجسم والعقل إذ العقل السليم في الجسم السليم ، ولا يزيد عن الحد المطلوب فيورث فيه أمراض التخمة ، ولا تقل عن الأولى من الضرر فيوقع الجسم الحي في

أعراض مرضية تضر به وبمستقبله ونسله ، ومثل هذه الغريزة الغريزة الجنسية والتقارب الجنسي لحفظ النوع وما أودعته الفطرة من الميل الجنسي والاتصال الجنسي وهذا كالأول ما نقص عن حد الاعتدال خلف أمراضاً نفسية وروحية مضرة للفرد والجماعة وما زاد عن حد الاعتدال أورث عللاً وأدواء مضرة مضعفة وكلاً النقص والزيادة قد تؤدي إلى الحياة الشقية وأضرار بالفرد ونسله قد تقضي عليه أو تتركه عليلاً .

وكل غريزة أخرى من حب المال وحب الجاه وحب الظهور وحب التمتع بالغرائز الأخرى ، لكل منها حد للاعتدال إن نقصت أو زادت أدت إلى أضرار مادية ومعنوية للفرد والمجتمع ، وما ينطبق على الفرد ينطبق على الجماعة من الاستفادة المعتدلة وضرورة مراعاة تلك وان نقصها وزيادتها تسبب العلل الاجتماعية والفردية وهناك موارد أخرى برهنت عليها التجربة أنها ليست ضرورية أو لازمة للفرد ولا يشعر الفرد أو الجماعة بالحاجة إليها إلاّ بعد الاعتياد عليها من أكل وشرب وعمل ، كاستعمال المواد الكحولية والمخدرات والمواد التي إن كرر استعمالها الفرد خلقت فيه روح التكرار والإدمان وبالوقت الذي تعطيه لذة مؤقتة تقيم فيه عادة تخل بحكومة الجسم وتضرّ بها وبالنسل البشري ، وتشوه سلوك الأجهزة الطبيعية ، وهذا الضرر لا يقف على الفرد بل يتعداه إلى أفراد عائلته ونسله والأطراف المجاورة والمجتمع الذي يقيم فيه ولكل منها آثار قد تكون موحشة ومبرمة كالإدمان على الهيروبين والكوكايين والكحول والتدخين الذي أثبت العلم ضرره ، ومثلها الاعتياد على القمار ، تلك هي أعمال فردية ومنها جماعية كالاعتياد على تكوين تلك المدمرات وأدوات الحرب والتجاوز وأمثالها والقيام بتكثيرها ونشرها واحتكارها بغية إشباع غرائز مادية حتى لتؤدي لاضرار فردية وجماعية من قتل وفتك وفجور ومنها روح المقامرة وهي غريزة بشرية ، وهذه إما نافعة ككشف الموارد المجهولة من مجهولات الأرض والسماء بقصد توسيع علمي وهي مستحسنة وأخرى بقصد الاستعمار وبسط النفوذ الاقتصادي والاستعماري والحط من نشاط وإرادة وقدرة وحياة الآخرين ، وبث الفتن والشقاق والنفاق بل وخلق عقائد ومذاهب ونعرات قومية وفردية لبث بذور

الفساد وإشعال نار الحروب واتخاذ قاعدة فرق تسد كما فعلته الدول المستعمرة ، ومنها إطلاق يد الشركات الصناعية لصناعة ما هو مضر من مواد كيماوية وأسلحة مدمرة وإقامة أسواق لبيعها أينما شاءت رغم أنف الشعوب ، بإقامة حروب اصطناعية ووضع بؤر إنتانية مثيرة لتلك المشاحنات وعدم إعطاء المجال لاندمال ذلك الجرح مثل خلق إسرائيل في الشرق الأوسط وخلق المنافسات ودوام النزاع دون سبب ومغزى معلوم وهو إضعاف الجبهتين أو الجبهات المتخاصمة وعندها شراء مواردها وكنوزها الطبيعية بأبخس الأسعار وتحميلها شراء أسلحتها المدمرة بأغلى الأثمان لمحض الفتك الواحد بالآخر ، وترك ذلك بيد الانتهازيين المغرضين من زعماء خلقتهم رغم أنف الشعوب وخربت بهم كل مثقف ومهذب يريد الإصلاح ، وتابعت تشريد هؤلاء ، بكمِّ أفواههم واتهامهم بشتى أساليب الدعايات لتشويه سمعتهم وقتل معنوياتهم وحجزهم صامتين خانعين في قعر دارهم أو أعماق السجون أو قتلهم وتشريدهم وتخلية ديارهم لسلبها كيفما شاؤوا .

فالحريات كما مرّ يجب أن لا تكون مطلقة وحد كلما يضر منها بالفرد والجماعة وأن تحدد بحدود إلاَّ فيما عاد بالنفع على الفرد والجماعة لا بالعكس ، كإطلاق حريات الجماعات والشركات المخربة المولدة والمصدرة والناشرة لأقبح أنواع المخدرات والأسلحة والمشروبات وبثها بشتىٰ أنواع الأساليب في داخل البلاد وخارجها وتشويق الأفراد من استعمالها حتى في المدارس والمحلات الثقافية من مراكز الدولة والمجالس والمنتزهات وإدخالها ونقلها في شتىٰ أقطار العالم بشتىٰ أنواع وأساليب مروعة وفردية ، وأما الأسلحة فقل عنها ولا حرج فهي مشاعة إلى جانب المواد المخدرة في مختلف ولايات الدول الراقية مثل أمريكا وتسبب أحرج المواقف المزرية والمخزية لسلوك الشعب هناك ، تلك التي يجب أن تحد حداً باتاً ومثلها الأسلحة المصدرة من أمريكا ودول أوروبا إلى شتىٰ دول العالم الثالث، كما مرّ بعد خلق الفتن وإقامة الحروب لبيعها بيد عملائها بأغلى الأثمان ولا يهمهم قتل الأبرياء ووصمهم بشتىٰ أنواع المنكرات الموصمة بالشرف ، دون موجب إلاَّ ما خلقها ذلك المستعمر الغادر ونشره . إن الحريات على

اختلافها الفردية والجماعية ، تلك كانت في الدول الرأسمالية وأخص التالية التي قالت بتحرير الأقطار من أيادي الاستعمار وعلى أثره جاءت باستعمار جديد على تلك الشاكلة من إطلاق يد الحريات لبيع الأسلحة والمخدرات وموارد القمار وما شابه ذلك ، بالدعاية والدعاية في داخل بلادها ولم يهمها استهتار الشعب وتدهوره الأخلاقي في المدارس والمجتمعات وحاضره وماضيه وفي البلدان الخارجة بنفس السبل مضافة لها الضغط على الشعوب وخلق حكومات مستهترة مُزرية بأفراد الشعب وخلق فتن ومجازر وتطاحن لعقائد وأقطار خلقتها وانقسام الشعب لأحزاب اصطنعتها وعلى يد انتهازيين لا تهمهم الخلق السامية والسلوك الاجتماعي العادل، والاستجابة لكل ما يهم المستعمر لمحض بقائها على دست الحكم واسترضاء أهوائها المادية النجسة الرذيلة كما تراه جارياً اليوم في جميع الحكومات الرأسمالية وحكومات العالم الثالث . .

أما الحريات في الدول الشيوعية فتكاد تكون معدومة البتة سيان الحسنة منها والسيئة ، فهي في الوقت أقل استهتاراً لقلة الدعايات المبتذلة من قبل الشركات المغرية لاستعمال المشروبات والمخدرات ومقرات الخلاعة والقمار وما شاكل تلك المفسدة بدنياً وعقلياً، فردياً واجتماعياً ، نعم هي إلى جنب ذلك ، ورغم أنها جاءت عوناً للأفراد لوقف ومنع هضم حقوق غالبية الشعوب وأياديها العاملة على يد الأقلية الرأسمالية المستغلة لكفاحهم وثمرات أعمالهم ، أصبحت هي أشد نكالاً واستبداداً وظلماً للأيادي العاملة والعمال والزراع الكادحين ، إذ في الحين الذي سلبتهم نتاج كفاحهم وأعمالهم وكدهم وجعلته ملكاً للدولة، أعطتهم من نتاج ذلك العمل أقل من القليل الذي تترحم عليهم به الرأسمالية في البلاد الرأسمالية ، وأضافت أن سلبتهم الأمور التالية :

١) حق شراء أملاك ومستغلات .

٢) حق تغيير وتبديل مهنتهم .

٣) وحق الشكوى والاعتراض من السلوك الصارم الظالم لهم بشتى أنواع العقوبات الصارمة .

٤) وحق النقل والانتقال إلى بلاد يختارونها هرباً من القسر .

٥) وسلبت منهم كل الحريات التي تبعث في الفرد روح الابتكار والتقدم في الحياة لكسب جهوده المادية والمعنوية ، بل أصبح الفرد في هذه الدول كآلة بيد دولته عليه الرضوخ لخططها التي تضعها الزمرة الحاكمة وحسب وكل ثمرات كفاحه وإبداعه تكاد تكون مسلوبة منه إلاّ النذر اليسير ، والحقيقة أن كلا الجبهتين الرأسمالية والشيوعية أفرادها لم تتبع في اعطاء الحريات للأفراد والجماعات لمصالح غالبية أفراد الشعب باتباع أصول عادلة منطقية يسعد بها المجتمع بأفراده وجماعاته ، كلتاهما خارجتان عن موازين المنطق والسلوك الفطري والطبيعي المتزن خارجة عن العدالة الاجتماعية ، فما هو إذن الطريق القويم لمنح الحريات؟ .

الواقع الذي لا مراء فيه هو أن يكون الفرد حراً في أفكاره وأعماله وأقواله في كل ما يفيد به نفسه وغيره وأن يحدد بكل ما يضر به نفسه وغيره ، وأن تكون كل تلك مبنية في ذات المجتمع أخلاقياً وأن تكون المصالح لا تخلو من مصالح تعاونية ، على حد سيرة حجيرات البدن الواحد في سلوكها الدائب المفيد لنفسها ولمجتمعها القائم في البدن الإنساني الخالي من الأنانية الفردية والجماعية بل هي المصالح المشتركة وأن يقف الكل كصف واحد لكسب المنافع ودرء الأضرار الواردة من الداخل والخارج والعمل كصف واحد لبذل الجهود إلى حياة أكثر سعادة وأبعد تعاسة وخطراً ، وهذا ما يدلي به العقل السليم والأديان السماوية الحقة .

نذير التطور التاريخي في العصر الحاضر بالدمار البشري :

نظرة فاحصة للتطور التاريخي للعالم عن كافة موارده الاجتماعية وبما فيها من سياسة واقتصاد وثقافة وعلوم وتجارب ونواميس وما تتجاذبه من أغراض وميول بين العواطف والعقول والمراحل التي مرّ بها من خير وشر ، وبالتالي ما توصل إليه إلى هذا الحين من تفوق علمي إلى نواحٍ بناءة ومخربة ، مما رفع مكانة هذا القرن الأخير من شمول الثقافات والعلوم

السمعية والبصرية والمبتكرات والمخترعات التي أدرك بها البشر ما لم يدركه آباؤه وأجداده من كشف الفضاء والبحار وسرعة التنقل أينما شاء ولا زال مجداً لكشف أسرار الكون الغير المتناهي وما أثارته مخترعاته في مجال الدفاع والهجوم أخص تلك التي أصبحت أضرارها ان وقعت واقعة حرب عالمية ثالثة أنها لا تبقي ولا تذر من الفضاء المبرم على الخصمين وتجاوزه إلى الأطراف المعتدلة ، بل وعلى البشرية جمعاء وجر الحياة القائمة اليوم على الكرة الأرضية لا على الإنسان وحسب بل على كل ذي حياة في البر والبحر والأرض والسماء إلى الفناء تلك التي أدركها الجميع ، من سيد ومسود ، وعالم وجاهل وقريب وبعيد ، منذ انفجار أولى قنبلة في هيروشيما ونكازاكي بتاريخ ١٩٤٥/٨/٦ في اليابان ، وقامت على أثره صرخات العلماء المصلحين والحكماء والمخترعين والقادة القابضين على زمام الأمور من الشرق والغرب أمثال برتراندراسل وانشتاين ومن سايرهم من حكماء وفلاسفة وملهمين ومكتشفين ، وقواد أمثال قواد وزعماء الدول والجيوش ، للإهابة بالخصوم إلى الائتلاف ووقف سير هذه الأسلحة المدمرة وثائرة الأحقاد والمنافسات وصد الأنانيات والميول والاتجاهات الطائشة التي لا تحمل طيها إلاَّ الضرر والشقاء لكافة الأطراف المتنازعة وغير المتنازعة . وكم ذهبت منذ أبعد العصور صرخات الأنبياء والرسل والحكماء والعقلاء والعلماء الداعين إلى العدالة الاجتماعية وتطبيق الأسس الإنسانية ، الداعين لاتباع المنطق السليم والابتعاد عن الأغراض والشهوات النفسية والميول والعواطف سدى .

وقد ولى القديم الذي كان ينزل النقمة والبلاء على إحدى الجهات المتخاصمة فحسب وجاء الدور الذي يشمل البلاء كافة المعمورة دون رعاية جهة واحدة وعلى هذا الأساس اهتم رجال الإنسانية الداعون والحكماء اليقظون للإهابة بالعالم أخص من بيدهم الحل والربط للالفة وقمع هذا الشر الشامل الذي لا يبقي ولا يذر ودون أن يلتمس أي طرف ربحاً ونجاحاً ونصراً بل الجميع واثقون كل الثقة من أن الكارثة تعم الأخضر واليابس وأن القنابل الذرية والهيدروجينية والكوبلت والأسلحة المدمرة الأخرى بعد افنائها

المباشر للمتخاصمين فناءً تاماً ، وتعذيباً دائماً فأثرها أدهى وأمر من أمراض قاحلة وسموم قاتلة لا ينجو منها حتى القائمون في المصحات والمستشفيات وشعب الهلال الأحمر ورجالات الطب ورجال الانقاذ ، ولا تبقي طعاماً وماءً وهواءً صالحاً إلّا شملته سمومها ، وها إني أعرض نتفاً ممّا عممه الأفراد والجماعات من أقوال ، وأهابوا من حصول مخاطر بعد انفجار أول قنبلة ذرية وما أعقبته من انفجارات قنابل بعد بضع سنوات تفوقها ٢٥٠٠ مرة قوة للتدمير ، وما استمر العلماء المخربون على ابتكارهم من أقمار تحمل البشر والقنابل المدمرة من ذرية وهيدروجينية وكوبالت وصواريخ ذات رؤوس نووية عابرة للقارات وغواصات تمخر البحار والمحيطات تحمل أهول المدمرات الموجهة في لحظات إلى خصومها .

وكل يوم يأتون بابتكار جديد أعظم وأدهى تخريباً ويتنافسون ويتنابزون بابتكاراتٍ أدهى وأمر ، وجاء اليوم دور جديد لتصميمات أشعة ليزر واستخدامها وإلى منظمات الكامبيوتر للدقة في المحاسبات وسرعة في التصميم والتنفيذ. وعلى أثر إحساس العلماء على اختلاف طبقاتهم من علماء الذرة وعلماء السياسة والاجتماع وعلم النفس وغيرهم بدأوا بتشكيل منظمات وجمعيات ونقابات للدفاع عن حقوق البشر عامة وإصلاح ما أوجدته هذه الأسلحة المدمرة من الرعب وما قد تأتي أنباء طائشة وأوامر خاطئة بشرية أو آلية ، يقوم بها أحد الخصوم بغية كسب الغلبة والبدء بالهجوم كما حصلت[1] مثل هذه الأخطاء وكادت تقوم القيامة والتدمير لولا جهة مدبّرة

---

(١) أقول لأول مرة قامت منظمة من سبعة من علماء الذرة بطلب للحكومة الأمريكية تطلب منها وضع رقابة عالمية ذات صلاحية تسيطر على أسرار الذرة لحدها من الخطر وسمي هذا بـ (تقرير فرانك Frank Report) سلم هذا التقرير بتاريخ تموز سنة ١٩٤٥ لوزير الحرب الأمريكية ، وبه عبروا أن البحث عن الذرة يؤدي إلى أهول ما يمكن أن يحدثه مدمِّر ، وطالما أن أمريكا هي المبتكر الأول فلتسدّ هذا الباب قبل الوصول إليه من قبل دولة أخرى بيد لم يجد الطلب أذناً صاغية ، وصدقت حدسات المتنبئين أن بعد أربعة سنين كشفت عنه روسية واستمرت في إنتاجه وقد قام أعظم علماء الذرة مثل انشتاين =

= ونلسن بوهر Nlels Bohr الذي يلي انشتاين في علم الذرة بتحذير الدول وحثهم على ختم هـذا السر ووقف مفعـوله وأظهـرت السنين صدق نبـوءاتهم ، وقد أنشـأ علماء الـذرة بعده مجلة شهرية باسم علماء الذرة The Bulletin of Atonic Scientists . هذه النشرة تضع محاذير الذرة وتنشرها للعالم صحيحة أكيدة .

ونطق العلامة برتـراند راسـل الحائـز على جائـزة نوبـل وهو بـريطاني قـدم بتاريـخ ١٩٤٥/١١/٢٨ نطقاً في مجلس العموم البريـطاني في ص ٣٤ من كتابـه : « هل للبشـر من مستقبل ؟» (Les Man a Future) ، قال فيه :

« سادتي أتحدى مقامكم حذراً ممزوجاً بالاستحياء لعلتين ، الأولى ان لي الفخر أن أجد الفرصة للمرة الأولى لالقاء كلمتي بمحضر سادتي . والثانية بعد سماعي حديثكم يوم أمس وهـذا اليوم أجيب أن من سبقني في البيـان يبزُّني عشـرة أضعاف في علم السيـاسـة وعشـرين ضعفاً في التجـربة وأصـولاً فـإن عـرض أي مـوضـوع من قبلي ربمـا عـاد على سذاجتي . والآن فموضـوعي الذي أرجـو بحثه بـالغ الأهميـة وقد أهـاب بفكرتي لـدرجة عظمي حتى لأحس أن لم أدل به سوف لا يقر لي قرار . قصدي القنبلة الذرية وأثـرها في السياسة .

أرجو بإدلاء بضعة موارد فنية يعرفهـا الجميع . أولاهـا أن القنبلة الذريـة تطوي أول أدوارها ومن المسلم أنها في المستقبل القريب ستتضاعف قوتها التخريبية ولسوف تتضاءل وتقل نفقاتها ، إن هذين الأمرين حسب رأيـي من الموارد المسلمـة ، والأمر الآخـر الذي عرضه الأستـاذ اليفانت Oliphant يمكن تلويث الأرض بـذرات الراديـواكتيو الـذي يقضي على كل ذي حياة لا الإنسان وحسب ، ومهمة أخرى ربما تـرتبط بمستقبل أبعـد . كما لا يخفى على سادتي، إطلاق القوة النووية من جهة نظرية لهـا طريقان ، إحـداها مـا تحقق اليوم بسبب تفتيت النـوى للغازات الأثقل وتبـديلها بغـازات أخف . والطريقـة الثانيـة لمّا تتحقق بعد بيد زمان تحقيقها سيـأتي . وهي من تركيب ذرات الهـدروجين للحصول على ذرات أثقـل ، ذرة الهليوم وربمـا مبدئيـاً ذرة الأزوت . إن تحقق ذلك ستنـطلق قوة زائـدة جداً أضعاف ما يحصل اليوم من ذر انفجار ذرات الأورانيوم ، لم نشاهـد لليوم مثيـل ذلك في الطبيعة، والمعتقد وجود ذلـك في النجوم والشمس من الـطاقات الحـرارية . بـانفجار القنبلة الذرية اليوم تحصل من الحرارة ما يساوي من الحرارة في داخـل الشمس على هذا =

....

= من الممكن عملياً إيجاد مضاعف ما يحصل من القوة للقنبلة الذرية ذلك لو أمكن لأحد استخدام فلزي أثقل بإضافة ذرات الهيدروجين . إذا استدام التمدن العلمي هذا سيتحقق عملياً إلاّ إذا سبب تمدننا انهدامه ، لا نريد تعيين الموضوع لبضعة سنين وحسب بيد تعيينه على حساب نوع البشر . مشكلتنا بسيطة : أيمكن إدامة الحياة لجامعة علمية؟ أم لا يدلها وانها توجد مواردا لانهدامها ، ورغم أن الموضوع بسيط فهو حيوي في الحين . لا أحسب أهمية الامكانات الشيطانية المكنونة حول الاستفادة عن القوة الذرية يمكن المبالغة ، هناك عند العبور من كنيسة سن بل Stralf متحف بريطاني وبنايتين للمجلسين النيابي والأعيان وغيرها من آثار تمدننا أرى تلك في مخيلتي بصورة انقاض تتخللها مكدسات من أجسام الناس، لا فرار من مواجهة ذلك، احتمال وقوع أمثال تلك الفجائع لا تخص المدن والأقطار بل تهدد وتعم العالم المتمدن إلاّ إذا اتفق البشر على وقف الحرب، ولا يفيد العمل على تقليل الحرب. يلزم قطع دابر الحرب الكبرى وإلاّ فالكارثة المارة مؤكدة .

ومنع الحرب بتاتاً مشكل . ولا أريد أن أحاسب من يريد الدخول في هذا المجال وأنا واثق أني عاجز عن ذلك ، بيد أحس أن على البشر حل مشكلة هذا بأي تقدير وإلاّ فسينعدم نوع البشر، ومن يدري وربما كانت سعادة السيادات الأخرى بعد قطع دابرنا يكون أكمل . وإن تستبعد موافقتنا على ذلك ، برأيي علينا الوصول إلى حل.

الجميع يعلم أن المشكلة الأولى أن نتوصل لطريق المعاونة مع روسيا . ولم أر موفقيه أكثر مما حصل عليه رئيس وزرائنا في ذلك العهد في واشنطن ، ولم يكن له توفيقاً أكثر من ذلك ، ولم أكن من أولئك المعتقدين الذين يرون وضع اجزاء البناء الذري بلا شرط في اختيار روسيا ، إذ بنظري أن تكون هناك شروط ، غير أن ما أعرضه أن تكون هذه الشروط من النوع الذي يسهِّل التعاون الدولي . وعلى روسيا أن لا تدخل في هذا الأمر أي هدف وطني كما علينا وعلى الأمريكان أن لا نطلب امتياز يخصنا .

بيد إذا تقرر أن نضع هذا السر تحت نظرهم علينا أن نعمل ذلك على مبنى تمايلهم للمعاونة . وإذا أقمنا عملنا على الأساس المذكور فالصحيح أن نعلمهم بجزئيات بناء الذرة . طبعاً الأكثر لأن هذا السر لا يدوم اخفاؤه، وخلال بضعة سنين ستكون لهم قنابل لا تقل عن القنابل الأمريكية الحاضرة ، ولذا إن حصلت لنا موفقية في هذه المعاملة فهو =

. . . .

= لأمد قصير، كما تعلمون أن العلمــاء المساهمين في هـذا العمل يحملون جميعـاً الرغبـة التامة أن تفشى طريقتهم . أنا لم أوافق طبق الدلائل المارة بجميع مـا يرتؤون ، بيـد أرى أن من الممكن جعل هذا وسيلة لإقرار التعاون الصحيحي بيننـا والروس، أنـا أؤيد روحـاً وقلبـاً آراء وزير الخـارجية، لا أعتقـد أن كسب ثقة الـروس تنحصر بهـذا بأن نـظهر ميلنـا بالتعاون ، وبنظري أن نصر على ما فيه منافعنـا الحيـة . بنظري إصـرارنا يجلب التعـاون الحقيقي مما لو تركنا ذلك للرجاء والتذرع لمعاضدتهم لنا ، أنا أوافق لحن وزير الخارجية تماماً .

علينا أن نكون راغبين ولا أحسب ذلك واهياً ان نجلب موافقة روسيـا في هذا الأمـر إن الاستفادة من هذا السلاح في الحرب يؤدي لانهـدام الأخرى بمقـدار ما يسبب لنـا من الانهدام . . نأمل أن نجلب نظرهم ان في ذلك تكمن منافـع البشر لا المنفعـة التي تفصل الأقـطار عن بعضها . لا أتـردد حقيقة أن هـذا الأمر إن وضـع بأسلوب مقنـع مـع الـروس سيجدون أن بلوغ ذلك ليس بـالأمر العسيـر ، وان لهم الفهم التام لإدراك ذلـك مع العلم أن هذا الأمر لا ينتمي لرقابة أو سياسة . كما هو سائد أن هناك سـوء ظن ، إن سوء الـظن هذا إنما يزول بالصـداقة الكـاملة والصدق المحض. يلزم أن يقـال لهم: إن هذه مسـائل حياتية لنا وفي الأمور الأخرى نود صميمياً أن تصروا أنتم أيضـاً على مسائلكم الحيـاتية ، عوض أن يكون كل واحد باحثاً عن منفعتـه الخاصـة فإن هـذه الطريقـة لا تفيد أي واحـد منا. دعونا نسلك طريقاً يضمن كلانا.

أعتقد أن ما ذكرت إن جرى مع الروس صريحاً تمـاماً وبعيـداً عن السبل السيـاسية سيدركون ذلك بـدرجـة إدراكنا له. وعلى أقل تقدير أنا لي هذا الأمل، وبرأيـي بالامكان كسب المعونة من المثقفين في هذا المجال، إنهم هم قلقين، وهم معذبو الـوجدان ممـا عملوه، ويعلمون ان لم يكن لهم بد سوى صنع هذه القنبلة بيد لم يكـونوا مسـرورين من عملهم هذا. فإذا أمكن أن نحول لهم وظيفة ليقللوا مما يهدد البشر في الكمين سيكونـون ممتنين . أعتقد أنهم أكثر قـدرة لإقناع الـروس أكثر من الـذين هم في هذا المجـال وأرى أنهم أجدر بالحديث مع علماء الروس وربما بهذه الوسيلة الوصـول لربط التعـاون الخالي من الغـل والغش وفتح البـاب، أرى لا تزال فـرصة، في الحـال الحاضـر إذ لا زال تعب الحرب ملماً بأجسام البشر، وإذا تصورنـا خلال العشـر السنين القادمـة تقوم حـرب كبرى سوف لا نكون قد أصبنا بحسن الظن هذا . عليه لنا فرصة لتـرسيخ التفـاهم . بنظري من=

. . . .

= المشكلات التي للآن لم نصل إليها أن الروس دوماً هكـذا يعملون والظاهـر أن لهم الحق إذ كل حل فيه تصادف المنافع حل الروس في احـداها وحـل الآخرين في الجهـة الثانيـة المقابلة ، في المنازعات المعروفة ثلاث أو خمسة دول عظمى يحسون ذلك ، الروس في طـرف واثنين أو أربعة في طـرف آخر، عنـدما يحس النـاس بهذا ، أتصـور أن عليكم تقابلوهم بظرافة ، ولا يحسبوا أنهم ينقادون للأكثرية حينمـا يحسون بـالوحـدة. بلا شـك يلزم في السنين المقبلة بذل مهارة وحكمة أكثر لترسيخ المؤهـلات والتعاون الـدولي. غير طريق الحل الموجود اليوم أمام العـالم القائـل بأن عصبـة الأمم المتحدة هي التي يلزم أن تكون مكمن الأسرار لا أجد حلاً آخر، وبنظري لا يمكن الثقة الكافية بهذه المؤسسـة. إذ على أي حـال في الحال الحـاضر ليس لهـذه المؤسسة الـدولية القـدرة العسكريـة القادرة للوقوف أمام الدول القوية، وبالتالي كل دولة تملك القنبلة الذرية لها الامكـانية في مقـابلة الدول الكبرى، وللوقت التي لم تحصل لرابطة الأمم المتحدة القدرة لا نرى الأمان سائداً في العالم .

لا أحسب منع استعمال أو منع صنع القنابل الذرية يكفي بسطرها على الـورق ، إذ ليس لـديكم القدرة الـلازمة لإجـراء الاتفاقيـة إذا كنتم حقاً تفكـرون في الحرب، جـائـزة الطرف الذي يراعي مثل هذه الاتفاقية أشد وحشية من مجازاة طرف ينقضها، لـذا لا أفكر أن لهذه المقررات المسـطورة على الورق قيمـة علمية ، في المـرحلة الأولى يجب كسب التمايل لغرض النظارة الدولية على هذه الأسلحة ، وحينمـا حصل ذلـك سهل ايجـاد هيئة للمـراقبة ، وبـالإضافـة حيث تستقر مثـل هذه الهيئـة ، فهيئة الأمم المتحـدة القويـة وهي مكمن الأسرار الذرية . عندئذٍ مؤسسة بمثل هذه الصفات تضمن دوام وبقاء نفسهـا. هذه المؤسسـة حقيقة تحـول دون وقوع حـروب كبيرة ، وضـع لهـا نـظام وقـوانين سيـاسيـة ، وبإمكاننا أن نكون حقاً واثقين أن الحرب زالت من ساحات العام، طبعـاً انجاز هـذا الأمر مشكل جداً . إلاَّ أنه عمل لا بد لنا من إنجازه . إما أن تـزول الحروب من عـالم الوجـود واما لا ترى من بقية السيف إلاَّ وهـم تائهون في الفلوات والصحارى وخلو من علوم اليـوم ومعارفه حيث فقـدوا القدرة على صنـع مثل هـذه الأسلحة المـدمرة ، وقد تبرأوا من كـل الآداب والسنن المتمدنة . إن هذا الأمريعتبر فاجعة عظمى الذي أرى أن يتدبره كل الدول المتمدنة ويعالجوه قبل أن تفلت من أيديهم ، على أي حال أتمنى من الصميم ذلك».

غلب عليها العقل وإذا ما تلقتها من الرادار من الحملة الذرية إنما كانت أسراب من الطيور البحرية مهاجرة ، مرّت كأسراب ، ورغم أن الولايات المتحدة نجحت بتسليم واخضاع اليابان لها بعد إلقاء القنابل الذرية بيد حاولت الإصغاء لبعض ما يدليه جماعة العلماء والمثقفين مثل طرح باروخ Baruch Plan سنة ١٩٤٦ وهو يرى تشكيل مرجع دولي خاص يختص بتتبع تكامل ما يعود للذرة ويحوّل لها استخراج وتنمية أحجار الأورانيوم والتوريوم وتمتاز بمالكية ذلك وتنحصر بها التأسيسات الضرورية للاستفادة من القوى الذرية ، ولم يكن هذا الطرح مقبولاً من روسيا ، إذ كان ستالين مغروراً بالنصر ، وترى روسيا نفوذ القدرات المخاصمة الغير الشيوعية لها.

ولم تكن أمريكا وهي الحاملة لهذا السر أي القنبلة الذرية مجدة لذلك الطرح حتى كانت سنة ١٩٤٩ شهر آب فظهر أن الروس هم الآخرون يعرفون هذا السر وأوجدوا القنبلة الذرية وجادون أن يسبقوا الأمريكان في هذا السباق ، بل جد الطرفان للكشف عن أسلحة أشد فتكاً مما ألقاه الأمريكان على هيروشيما ولم يمض ردح من الزمن حتى اكتشفت أمريكا وروسيا القنبلة الهيدروجينية التي تفوق بقوة تخريبها القنبلة الأولى بـ ٢٥٠٠ ضعفاً وتبلغ القوة الحاصلة من انفجارها من ١٥ إلى ٢٥ مليون ت.ن.ت. T.N.T. وقد ظهر أن مفعول القنبلة الهيدروجينية التي فجرها الأمريكان سنة ١٩٥٤ مارس من حيث القوة أكثر بكثير ممّا كانوا يحدسون ، وإذا كانت القنبلة الذرية الأولى تقضي على من ألقيت عليه وتدمر تلك المدينة وحسب دون أن تلاحق القرى البعيدة والمدن الأخرى المجاورة فإن هذه الأخيرة عدا ما تدمره من مقر الحدث فإنها بإيجادها السواديوأكيتو الغبار الذري تلاحق بأضرارها أينما هطل ذلك في مجرى الرياح وتساقط ذلك الغبار حيث يسمم الأرض والهواء والماء ويسبب الأمراض المهلكة أخص السرطانية وأمراض الدم ويدرك الأجنة وراثياً فيشوههم ويغيرهم إلى معتوهين ومشوهين . حتى قال سنة ١٩٥٨ وزير الدفاع الأمريكي حين قدم تقريره العسكري . إنه إذا وقعت حرب بين الشرق والغرب ودخلت الأسلحة الذرية فيها فسيقضي ذلك على

١٦٠ مليون أمريكي ومائتي مليون روسي مضافاً إلى ذلك إعدام جميع أوروبا الغربية بما فيها بريطانيا .

وطبعاً قبلها سنة ١٩٥٢ مارس سئل اللواء جمس كاوين رئيس دائرة التحقيقات التجسسية الأمريكية ، سئل من قبل مجلس الأعيان الأمريكان سأله السناتور Daff إذا هاجمنا روسيا هجوماً ذرياً جوياً وكانت الريح شرقية باتجاه الروس فكم سيكون الاتلاف؟ وبعد البحث قال : من الممكن أن يهلك من كل طرف عدة مئات ملايين ولا شك أن لهبوب الريح أثر مهم على هلاك أشد لمن تهب عليه بيد لا يخفاك قد يستمر الموت حتى على الجزر اليابانية والفيليبين وإذا هبّت الريح عكساً فلا شك وأن الضحايا في أوروبا والغرب أشد .

أقول : وإذا كانت الحروب شمال خط الاستواء فإن شمال الكرة أشد خطراً من جنوبها بكثير إلاَّ إذا اتجهت من الشمال للجنوب. وقد أثبت الفحص الطبي أن التجارب النووية البعيدة التي أجريت للآن أولدت ذرات الراديواكيتو التي دخلت الأجسام وسوف يكون تأثيرها وراثياً على الأجنة في النسل القادم غير ما تحدثه من أنواع السرطان أخص العظمي وفساد الدم . وهذه لا تعد مهمة بالنسبة لقيام حرب ذرية كبرى .

إن هناك أموراً مهمة في الحروب الذرية القادمة منها هبوب الرياح وجهة هبوبها ، ومنها البادىء بالهجوم .

وأقول : مما لا شك فيه أن جهة هبوب الرياح مؤثرة لحمل الضرر على الخصم ، وأن البادىء أسرع لإحداث التلف بالخصم بيد لا ننسى الأجهزة الرادارية والمحاسبات الالكترونية والأقمار الصناعية والقنابل الصاروخية البعيدة المدىٰ كلها في لحظة تلقى على الخصم في الموقع المناسب فإذا كان مهب الريح شرقية بدأت غواصات روسيا وأوروبا من غرب بريطانيا وفرنسا واسبانيا وشملت بذلك أوروبا كلها وأبادتها .

وبالعكس فلا أرى هبوب الريح مجدياً وقد اتخذت التدابير

المعاكسة ولا البدء مجدياً مع وجود الآلات الحاسبة وسرعة الحركة والرقابة سوى لفتك وتدمير أشد وأقبح ، ومما لا شك فيه أن المتخاصمين سيهلك الواحد الآخر ولا ترى كالعهود الغابرة فائزاً بل كلا الخصمين خاسران خائبان منكوبان مدمران ، بل سيشمل الأقطار المحايدة التي لا ناقة لها في الحرب ولا جمل بل وهي الكارهة لها ولمثيرينها المجحفين المعتدين عليها باسم الحرية .

٥ ـ السلوك البشري : لا ترى فرداً أو قبيلة أو إمارة أو دولة متجاوزة إلّا وألقت اللائمة على خصمها إن كان يناسبها بالقوة وأما الأضعف فويل له من توجيه شتى المعايب ، وويل للمظلوم المقهور منذ أقدم العصور إلى هذا اليوم حتى قامت فيها شتى ومختلف الدعايات بالإذاعات المختلفة من صحف وراديو وتلفزيون ومختلف المكائد والأساليب .

وما أكثر الأمثال التي يمكن أن يثبت ذلك ، وويل للدولة الضعيفة من القوية إن اقتضت مصالحها من التجاوز وهذه المصالح اليوم أكثرها اقتصادية وبأساليب سياسية واجتماعية وأدبية وحربية ، قال : راسل في كتابه المار الذكر لو اقتضت مصلحت بريطانيا لتدمير وقهر الهند أو جنوب افريقيا لما أبت من ذلك ، وقال : إن أمريكا تقيم المحطات الذرية في إنكلترا ولا تسمح لأي فرد إنكليزي لتفتيشها أو الاطلاع عليها وفي مقام آخر يستعرض الخطر هذه المحطات على إنكلترا فيما لو قامت حرب ذرية انك لا ترى خلال ساعة أو ساعتين أثراً للحياة في بريطانيا العظمى ، ثم ينعي آثارها العظيمة التي لم يبق من أمرها إلّا وحولها أشلاء الموتى المصابين . لو قامت الحرب الذرية الكبرى ، فيا ترى لو لم تقم تلك المحطات الذرية الأمريكية واطمأنت روسيا من عدم وجود تلك أكانت تقوم بتدمير ذلك الشعب المتمدن العريق وتمحيه من الوجود فعلام تقع هذه اللائمة ، وهل تعتبر أمريكا صديقة للشعب البريطاني والشعوب الأوروبية التي دمرها الخصم الروسي بعد أن أعلن وأنذر أنه لا بد له من الدفاع والهجوم لما تقوم بها أمريكا من المؤسسات الذرية في أوروبا ، فأية صديقة هذه لشعوب أوروبا .

أكانت تحسب أمريكا أن ذلك هزلٌ وأنها مجردة من الحقيقة وهي تقوم بتلك الجهود والنفقات العظيمة التي كانت تستطيع بنفقاتها أن تجلب سعادة هذه الشعوب الصديقة وتتقي خطر الخصوم لو قامت بأعمال تدل على حسن النية والعدالة الاجتماعية البشرية .

ماذا تقول أمريكا في حربها والقائها القنابل الأولى على هيروشيما ونيازاكي؟، وإن كانت ذات عذر فما عذرها في حروب كوريا وهذه الأخرى إن خلقت لها عذراً فما عذرها في حروب فيتنام التي أقامت بها مجازر لا تنسى على أبنائها والشعب الفيتنامي ثم وبعد الفضيحة تركتها على تلك الشاكلة ولنعرض صفحاً عن ذلك وربما كان لها عذر أنها أخطأت فما قولها بإقامة الفتن والمجازر في الشرق الأوسط بين من والاها من الشعوب وسمح لها بأعز ما لديها من الثروة النفطية تكتال منها ما تشاء وأن تقيم بها من عشرات الألوف من خبرائها العسكريين تلك هي صديقتها إيران وتحكم عليها بالإنقلاب وتم توريطها بالحرب المدمرة مع جارتها الغنية وكلا الشعبين لا يرتضيان الحرب ، أو كلاهما يحملان نفس العقيدة وتربطهما أواصر عريقة منذ القدم .

وخلق بؤرة انتانية في فلسطين باسم مساعدة شعب مضطهد هم اليهود . وهل أن ايجاد اليهود في فلسطين كان يقصد سعادة اليهود الذين كانوا سعداء في أكثر شعوب العالم سعادة اقتصادية فمثلاً العراق هذا البلد الغني بثروته المعدنية والزراعية كان فيه من اليهود ١٢٠ ـ ١٥٠ ألف يهودي كانوا هم سادته الاقتصاديون بيدهم الحل والفصل في الأمور التجارية والاقتصادية ويتنعمون بأحسن ما تتنعم به أقلية في أي قطر وكانت المصارف وأهم المؤسسات التجارية والاقتصادية تقف عن العمل البتة في عطلهم الصغيرة والكبيرة هؤلاء كمثل اجبروا قهراً أو غروراً والقيت بينهم وبين أبناء وطنهم الذين عاشوا معاً متعاونين متكاتفين وهانئين القيت بينهم الفتن العقائدية باسم فلسطين ليتركوا وطنهم العزيز مرغمين للهجرة إلى فلسطين كرهاً باسم الوطن الموعود فارتحلوا وهناك يعيشون كمشردين مقهورين

وعيونهم تذرف الدموع لما تركوه وبعد هنيئة وبعد فوات الأوان علموا أنها كانت خديعة لكنه فات الأوان وما أُريد بهم خير ولم تكن اليهود ذلك شأنها في العراق بل أينما حلّوا وسكنوا كانوا على قلتهم قد أبدوا الجدارة لأن يعيشوا عيشة كريمة وإن قهروا في بلد ما فما هو إلاّ لأنهم خُدعوا أو انحرفوا عن الطريقة المثلى ، فقد اكتسبتهم بريطانيا بعد أن وثقت من مهارتهم فكانوا أعوانها على كثير من الشعوب التي حلوا بها مواطنين كألمانيا فهم الذين تجسسوا على الشعب الألماني الذي يقيمون فيه كمواطنين في الحرب العالمية الأولى والثانية لصالح أعداء ألمانيا ، مما دعا لهتلر أن ينتقم منهم ذلك الانتقام المريع ، لقد غرّهم الطمع وهم أبناء عمومة العرب ومن نسل إبراهيم الخليل اتخذهم الاستعمار الأوروبي والأمريكي للحط من كرامة العرب وحط كرامتهم هم بعد أن أثار فيهم روح العقيدة والوطنية ، أما العقيدة فهم الذين قتلوا اليسوع وطاردوا دينه فكانوا ألد أعداء المسيحية فكيف أصبحوا اليوم أصدقاء؟ أليست هي مصالح سياسية واقتصادية،ولا تهم أوروبا وأمريكا أن ترى المجازر قائمة بين اليهود والعرب وهم يقولون أينما أصابت فتح فخلقوا منهم بؤرة انتانية أثارت الأحقاد بينهم وبين العرب وربما حل يوم تركتهم وحدهم فيمزقهم العرب شر تمزيق وكان الأجدر بهم أن يكونوا أصدقاء العالم واخوة لتوحيد البشرية وخيره وسعادته .

تلك هي ما خلقتها الجاسوسيات البريطانية والأمريكية وقامت بها شركات الترست أخص شركات النفط وشركات الأسلحة وغيرها ، تلك التي استمرت بالاستعمار الجديد بخلق الفتن بين الشعوب الآمنة وخلق الحروب المحلية والفتك الواحدة بالأخرى أينما وجدت ثروة معدنية وأخص النفط وأينما حسبت هناك بصيص من الثروة لكسبها بتحميل الحروب وبيع الأسلحة قهراً فاقدة الصفات الإنسانية التي يأمر بها دينها المسيحي الوديع الموصي بالرأفة والمحبة والالفة والتعاون . وإذا كانوا هم أعداء الإسلام فما بالهم وخلق الفتن والشجار في أمريكا الوسطى والجنوبية وأفريقيا وجرّهم بشتىٰ الوسائل للانحطاط الاقتصادي والخلقي وخلق كل ما يؤدي إلى ضعفهم وإرباكهم شعوباً ودولاً لإمكان التسلط على مقدراتهم .

إن عمـل السيـاسيين في الـدول العـظمى في معـزل ، وفي خفـاء عن العامة الأكثرية والمثقفين ورجال الله الحاملين لروح ووصايا سيدنـا المسيح ، أولئك منزهـون عن الظلم والاجحـاف بينما أشـد الكل قسـوة وجوراً وقسـاوة أولئـك المنافقـون المتظاهـرون بالصـلاح والخافين عن النـاس الحقـائق هم رجال التجسس ، رجال المصالح الخاصة الاقتصادية الـذين يجرون نفـوذهم لكسب الثروة من أي وسيلة صالحة وطالحة وخير وشر ويليهم رجال السيـاسة المتـزعمون العـاملون للمصـالـح الأولى ومصـالـح أمثـالهم وكـل مـا يهمهم المحافظة على كبريائهم ومقـامهم ونفوذهم وويـل لهم من العصابـات الأولى ان أرادوا الصالح العام الذي يمس بمصالح ذوي الأعراض والأهواء من ذوي المطامع الاقتصادية الأولى والسياسية القابضة على أزمة الأمور ومنهم اللجـان السرية والجاسوسيات الهدامة من بائعي الأسلحـة والمخدرات والاحتكـاريين وأشبـاههم . أقطاب هؤلاء في أمـريكا وبعـدهـا أوروبـا من إنكلتـرا وفـرنسـا والمنقـادون والتابعـون لآثارهم ، أولئـك البؤرة للمفاسـد والمهـالـك وأعـداء العدالة الاجتماعية القابضون على شتى أنواع الدعايات من نشريات وصحف وراديو وتلفزيون وأقمار صناعية ، أقول عندمـا أتكلم ذلك فـإني أبرىء عـامة النـاس المحكومين من تلك الـدول التي سيـطرت عليهم الـدعـايـات داخـل بلادهم وخارجها التي تنزه أعمال زعمائها وربما كان الزعمـاء قد شعـروا وقد تورطوا في الحكم أنهم مسيرون من قبل الجمعيات السريـة وزعماء الهيئـات الاقتصادية ومن بيده مقاليد الجاسوسية العليا في البلاد ولا ترى الحقيقة بادية إلاَّ فلتات على لسان بعض الحكماء والكُتّاب أمثال برتراند راسـل البريـطاني وأمثاله في بريطانيا والأحرار من الدول الغربية في أوروبا وأمريكا وأمـا الدول الشيوعية فهم في كبت أعظم وإذا كان كُتّاب الغرب تشـوّه رسائلهم ثم تهمل فكتاب الشرق قلما تصل أنّاتهم وآهاتهم وصرخاتهم الداعية لـلإصلاح لأحـد امام ذلك الكبت العظيم من قبل الهيئـات الشيوعيـة المسيطرة في بـلادهم ، حقيقة مجهولـة جداً هـل أن البشر سيحكم بنفسـه على نفسه بـالفناء أم يبلغ الوعي درجة ينهض فيه رجال الإصلاح فيستنهضون العالم المغمور والتائه في المضلّلات والزخارف الخداعة والمأخوذ على عقله ومنطقه .

الحذر الحذر . . .

لقد قيل إن الحاجة أم الاختراع ، وأية حاجة ماسة أعظم مما يراه العقلاء من انجراف البشرية جمعاء إلى الدمار وأنه أية حرب إن قامت من أي جهة فهي ستؤدي إلى هلاك الخصمين والمحايدين بل وتقضي على البشرية جمعاء ، إني لأهيب بالعقلاء ، بل وأهيب بأولئك الانتهازيين وأهيب بكل قدرة منفذة ان الزمن الذي كان ينتصر فيه خصم على خصمه بالسيف والقوة مضى وهذا عهد جديد لا يجدي فيه إلاّ الحشمة والتقية والرضوخ إلى المنطق والنظر إلى العواقب المروعة ، وأقول أسرعوا بإنقاذ أنفسكم وأهليكم وإخوتكم والأحياء قاطبة من طلقة طائشة ، من جنون العواطف والميول الرعناء ، تصافحوا مصافحة الأخوة وانظروا إلى ما تبذلوه من النفقات في شتىٰ مجال التسلح والدعاية وغيرها لتروا أنها بل بعضها تكفي لسعادة النوع البشري قاطبة كما تهوون وترجون دون خصام ودون حروب وانها لتسد كل حاجة وتعين على تسديد كل ما تتمنوه من الحياة الرغيدة . ولا يتم كل ذلك أبداً إلاّ بتشكيل دولة عالمية واحدة ذات مصالح مشتركة يقودها رجل لا يقر بغير العدالة الاجتماعية لكافة طبقات البشر على حد سواء دونَ تمايل إلى جهة ما سوى قصد المساواة والحب والحنان والجد والصدق ، رجل عالم عادل جمع كل المؤهلات الصالحة لدولة الحق التي يرجوها الصالحون فيرفع قدر المتخصصين المصلحين ويضع كل فرد وكل شيء في محله له القدرة الملهمة على انتخاب الأصلح والأقدر والأتقى والأعلم لتوزيرهم وتأميرهم واستخدامهم للمصالح العامة لإقامة العدالة الاجتماعية وسوق البشرية إلى الطهارة ، إلى السعادة ، إلى الالفة ، إلى الأخوة ، للبصيرة النافذة ، لتنقية الحياة من الشرور والأشرار والتخلص منهم تخلصاً يليق بقدرته ومقامه هكذا ينتخب الأخيار من الأشرار كما يلتقط الطير ما يصلح له من الحبوب ويترك الفاسد العاطل الباطل ، بل وينهض بحزمه وبحنكته الحكيمة وقدرته العظيمة فيقصم الفساد والمعتدين والإلحاد والملحدين فيعصم البلاد ويغيث العباد .

المقالة العاشرة

علاَم هذا الخصام ومن يكسب الحرب؟

ما هي الغاية من الخصام؟ وما هي الغاية المتوخاة من التناحر والمناجزة والمبارزة والمنافسة ؟ أليس هو الاعتداد بالنفس لكسب السباق ، والبلوغ إلى هدف النصر ، والتغلب على الخصم ، ونيل الأحسن ، والظفر بالغنائم وبالتالي لإقامة حياة سعيدة مليئة بالنشاط والسؤدد والحياة الرغيدة؟!

فلنفكر ملياً أهل هناك بعد هذه الحرب الذرية المدمرة الضارية بأطنابها إلى هلاك الأطراف ، والتي لم يسبق لها مثيل من الويل والوبال على وجه البسيطة والتي لا يرجو أي طرف منها إلاّ الشر ودون أي خير ، فإذن أين العقول المميِّزة والآراء المدبرة وأي عواطف وغرور وكبرياء ، وأين الوعي الإنساني؟. . .

إن الذي يناجز غيره ربما كان له طمع مماثل أو يأمل بعد بذل النفس والنفيس أن يصيب بجهاده وجهده درجة من النصر واحدة أو أجزاء منه عشراً أو ١٠٠/١ أو ١٠٠٠/١ وهكذا نقلل هذا العدد فلا للنصر أثراً ونرى المتخاصمين في شر ماحق وبلاء ساحق وذلٍ خارق وجهل عائق وعيش خانق ليس هناك أي بصيص إلاّ وللشر مآله وأي أمل إلاّ أحبط بكل صوب وباله .

أنحن في أضغاث أحلام هادرة أم هواجس لمجانين متنافرة جانبنا كل منطق سليم وعقل حكيم . .

بتاريخ ١٩٥٥/٧/٥ قامت جماعة من أبرز العلماء الحائزين على

جوائز نوبل من كافة الأقطار اجتمعوا في جزيرة مانيو Mainau ووقعوا أخطاراً تحذيراً من الحرب الذرية وما تجره من تدمير العالم كله سواءً المتخاصمين أو غيرهم ويطلبون وقف الخصام والحرب إلى الأبد .

كما قدم دكتور فينوس يولنبك وهو شخصية معروفة لوضع أسس السلام قدم طرحاً لسكرتاريه الأمم المتحدة بتوقيع ٩٢٣٥ قدمه للسكرتير الدكتور هامر شولد لتوقيف التجارب النووية حالاً مع بيان مضراتها وأن يكون ذلك كفاتحة خاتمة قيام أي حرب بعدها لما بذلك خطر على البشرية وهكذا تلتها الجمعيات والطلبات على نفس الشاكلة وكلها ذهبت دون جدوى ، وهكذا قامت عروض من علماء الروس على نفس الشاكلة أمثال طرح البروفسور أ. و. توبجيف A. V. Topduiv وقد وقع المرحوم انشتاين إحدى العروض قبل وفاته لوقف التجارب ومنع استعمال القنابل الذرية .

ولقد ذهبت كل عروض وعرائض علماء الذرة وحكماء العالم وأولئك الحاملين لتواقيع الشرق حول مؤلفاتهم ذهبت كل عرائضهم وطلباتهم في سبيل وقف التجارب ومنع القنابل النووية هدراً .

أقول : إن الأساس الذي يقدمون به الطلب من وقف التجارب والموافقة من الدول المتخاصمة على ذلك كلها لا تركن إلى ركن قوي إذ لا يطمئن كل واحد منهم بالآخر ان امتنع هو امتنع خصمه لذا فكل منهم يرى في خصمه اللدود المعاند وعليه أن يزيد تجاربه ويوسع رقعة الدفاع والهجوم وتحسين هذه القنابل المدمرة والوسائل التي تحملها وترميها إلى أهدافها والخطر كلما تقدم الزمن يزداد سوءً ولهذا فلا أرى حلاً صالحاً إلاَّ إذا توحَّدت الجهود لإقامة حكومة عالمية ذات مصالح مشتركة وعدالة اجتماعية ، وعلى هذا يجب بذل الجهود لتأسيس تلك ووضع الشروط المناسبة والقيام بالتقريب كي ينتهي الخصام وتقوم حكومة عالمية واحدة كحكومة البدن الواحد على الكرة الأرضية عندها تنتهي كل المشاكل ، لا بد لهذه الدولة من رجالٍ يمتازون عن رجال العالم القديم والجديد بسلمهم وصلاحهم وتقواهم وعزمهم .

الحس بضرورة الإصلاح :

لهذه دوافع ومثيرات :

١) في مقدمتها التقوى أي الخلوص والطاعة لإقامة أوامر الله لأعمال الخير ونواهيه عن الانتهاء عن أعمال الشر .

٢) ويلي ذلك الحس بالحاجة وهنا الحس كحس المرء بالبرد ، وحسه بالجوع ، وحس الخوف ، وحس الغريزة الجنسية لكسب اللذة وانجاب الأولاد ، حس الغرور وميل السيطرة وإظهار النفس بالقدرة أي حب الظهور ، بالشجاعة البدنية أو العلمية أو المميزات الأخرى ، نزعة العقل ، نزعة النفس ، النزعة للتكامل والتدرج للأرقى بدافع حب العلم ، حب الجاه ، حب الجمال ، أو اجتناب ما يكره ، ولكل منها شروطها ومتى كانت جاهزة أمكن إدراك المرام وإلَّا لزم القيام بتجهيزها وتكميلها ومتى تهيَّأت الأسباب الطبيعية مثلاً من غيث ومناخ اخضرت الأرض بعد السقي وبزغت الشمس آنذاك علمنا أن البلابل المغردة سيعلو صوتها وتغريدها والحياة تتقدم من حسن إلى أحسن والعكس بالعكس ، وقد يساعد الإنسان على تهيئة ذلك بجهوده من زرع وسقي ومناخ مناسب وكل شيء ويكمل الشروط وهكذا تسير الخصائص المادية ومثلها المعنوية في الطبيعة وفي الجسم الإنساني ومثلها في الجامعة البشرية . هكذا تقوم أعضاء البدن الإنساني دوماً لبلوغ الأصلح بتدبير العقل لتسيير الغرائز والميول والعواطف لإقامة الحسن فالأحسن ودفع الفاسد والأفسد بالجد للتكامل ، وهذه الرابطة لها صلة بأصل وحدة الحياة ، من حب وبغض تلك التي تثير فيها روح الابتكار لبلوغ الأهداف، وإثارة الغريزة للميول كدفع الذكر للأنثى للتقارب والتلاقح ثم التوالد ومتى تحكم العقل حصلت نتائج صحيحة سالمة سعيدة والحس بضرورة الأصلح ، لبلوغ الأكمل والأحسن في جميع المجالات المادية والمعنوية متى كانت مقرونة بطاعة الله الأمر باتباع الأحسن والابتعاد عن الفاسد بروح يثق بعلم الله الباطن وانه واقف على السرائر ومحاسب لها حساباً لا تغادره صغيرة ولا كبيرة جاء بما يسعد نفسه والبشرية عامة بعيداً عن كل ما يوجب الظلم والخصام

والضغينة ويدفع دوما لروح الالفة والوئام والحب مقروناً بروح العفو وحسن الظن وكل ما يوجب السعادة العامة تلك هي التقوى التي تعنيها كتب الله وتدعو لها ويدعو لها العقل والحكماء .

إن الحس بالحاجة يختلف قوة وضعفاً ويدفع المرء للبحث بنفسه لتوقي المهالك واجتناب الرذائل واثبات المبتكرات والمخترعات لجلب السعادة ودفع الشقاء وتختلف أرواح البشر صغراً وعظمة وكلّما عظمت شمل فيضها مجالاً أوسع وامتد ظله ومنهله إلى ابعاد تتوسع بقدر ما تسمو به روحه وتزيد رحابتها بما أتاه الله من القدرة الفكرية والمعنوية ، فقد تقف هذه السعادة للفرد بنجاة نفسه فحسب أو تتجاوزها إلى أفراد عائلته وربما إلى قبيلته أو زادت حتى تشمل العالم وربما كانت لأمد سويعات أو أيّام أو سنين أو قرون أو امتدت مع عمر البشرية .

فالله سبحانه الخالق المبدع المسيطر الكامل الواقف على السرائر والذي شمل الأحياء والجماد وأعطاها الطرق للخير بهدايته وأراها السبل ووهبها العلم بسلوك الأصلح وله القدرة دوماً على الإبداع وإرسال المصلحين الذي وهب لهم من العقول المعنوية والقدرات المادية متى شاء ومتى توفرت الشروط الطبيعية التي أودعها بقدرته للنهوض أو مدّه بقدرة الابتكار لتهيئة ما يلزم لبلوغ أهداف الخير . وقد أودع فينا الشعور ببلوغ الحياة الأكمل وبث فينا روح النزوع إلى الأصلح والاجتناب من الأخطار المداهمة ، وكلما كان الخطر أعظم دفع بنا لروح الحس والجسد لردعه بالطرق الممكنة كما بعث فينا الروح الوثابة للتكامل وربما كان هذا الدافع لوقاية الشر من مستلزمات تلك الروح إلى التكامل .

واليوم من واجب كل فرد على حد كلمة النبي محمد (ص) «كلكم راعٍ وكل مسؤول عن رعيته» . فإن الواجب الإلّهي الذي فرضه على البشرية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع المستمر عن الحق وردع المنكرات ، والروح الحساسة من وقوع أعظم كارثة مهلكة للبشرية وعلى عظم هذه الكارثة فإن على زعماء البشرية الواقفين على ما بلغت له

المدمرات الحربية اليوم من الشدة وما يقحم به البشر نفسه لهدم كيانه بروح الغرور والأنانية ، هذه الروح التي استطاع بها المتخاصمان أن يتطاحنا فيندفع أحدهما تجاه الآخر وكل منهما يأمل النصر ، ولو اعتقد أي منهما بسوء العاقبة لما حرّك ساكناً ، بل حتى لأذعن لخصمه الأقوى العنيد ، أما اليوم فكل جهة وكل خصم وكل زعيم يجد الخيبة والكارثة العظمى عليه وعلى خصمه والعالم أجمع ، فأي جنون هذا الخصام . هذا والجميع الشرق والغرب وبما هناك من محايد يعلمون أن نفقات هذه المدمرات التي يبذل لها من النفقات ربما أقل من نصفها يكفي لسعادة العالم بأجمعه لو قامت حكومة عالمية واحدة .

ومن جهة أخرى الكل يعلم حق العلم السبيل الأصلح لوضع مناهج واحدة لحكومة عالمية واحدة ، وأنه لا يجدي أي توافق مع وجود خصام بين الشرق والغرب ، وأنه خير وسيلة لا التوافق على وقف المدمرات الحربية والحروب ، لا أبداً ، ولو أصبح الكل مفتشين الواحد على الآخر ، لا ، كلا ، لا يتم ذلك النصر العالمي سوى بالموافقة على وضع قوانين لحكومة عالمية عادلة واحدة يتساوى فيها الأفراد في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، الكل متعاونون متحابون ، الكل يعملون للكل كما تعمل حجيرات البدن الواحد وأجهزته لصالح البدن كلّه ، وينقلون الإيعازات صادقة صريحة سريعة أسرع من لمح البصر .



المقالة الحادية عشرة

ما ومن هو الأصلح للحكم ؟

الحكومات القائمة حتى اليوم إما كانت :

١ ــ حكومات دكتاتورية مطلقة كالتي مرت في العصور الغابرة في عصر في عهد الفراعنة وفي العراق في العهد البابلي والآشوري ، وفي عهد اليونان والرومان والأكاسرة ، تلك الحكومات القائمة على الحكم المطلق وما يرتئيه الملك دون رعاية المصلحة العامة وعلى هذه سادت العصور الغابرة وتقوم بها اليوم حكومات قامت على يد طغاة انتهازيين أو أوجدتها غايات استعمارية رغماً على أنف العامة من الشعب حكومة خلت من أي مجلس استشاري واقعي ودستور واقعي مكتوب ، وربما أوجد ذلك المجلس صورياً وكان أعضاؤه المنتخبون ليس من الشعب بل من قبل ذلك الدكتاتور المتنفذ .

٢ ــ حكومة دينية ذات دستور سماوي وذات كتاب جاء بها الرسل بدعوى من الإلّه الخالق الأحد الصمد ، وهذه لم تدم طويلاً حتى عادت دكتاتورية تتقمص الاسم الديني دون رسمه وأوامره ونواهيه .

٣ ــ الحكومات الدستورية القائمة على دستور مقنن من البشر لصالح العامة ذات مجالس تشريعية وتقنينية قامت تلك على أثر وعي شعبي عام وعلى أثر انقلابات داخلية فتقيدت تلك الحكومات بدساتير وقوانين وأنظمة كتبية وضعها البشر يسير عليها الحكام فاستمرت هذه الدساتير في أحوال مختلفة في شتى الحكومات منها ما سار عليها حكام البلاد سيراً للصالح

العام ومنها لم تتجاوز سوى كتابتها وظل الحكم بيد الملك والأمير يعمل ما يشاء .

وكان للنهضة الصناعية في القرون الأخيرة أثر بالغ في هذه الدساتير فبدل الحكم الدكتاتوري السياسي إلى دكتاتوري اقتصادي تتنعم به أقلية هم زعماء الشركات من شركات الترست الأمريكية والكارتر الأوروبية وهناك ظهرت الحكومات الرأسمالية وأصبح للشعب طبقة ثرية أقلية متزعمة بيدها الحل والفصل وطبقة أكثرية كادحة مظلومة تكد ويذهب أكثر جهودها للطبقة الأولى إلى جانب ذلك حكومات رأسمالية قوية يتحكم أقطابها الاقتصاديون من الشركات لا على العامة في الداخل فحسب بل حتى مدت أيديها على انتخابات المجالس في الداخل لتعين أنصارها الذين تضمن منافعهم ومدت أطرافها إلى الشعوب والدول الضعيفة لتتحكم بها أخص تلك التي لها ثروات معدنية وأهمها النفط لا لتسيطر على ثرواتها بل لتسيطر على رجال الحكم وتبتلع تلك الثروات بأزهد الأثمان وتحول لهم صادراتها وصنائعها ومن نتيجة ذلك لتبقى لها القدرة على تلك الشعوب وتسد أفواه رجال الإصلاح ومثقفي تلك الشعوب وتحملهم صادراتها بأغلى الأثمان كان لا بد لها من قمع وغل أي حركة إصلاحية والوقوف حجر عثرة لتوسعة ما يسد حاجاتها من موارد زراعية وصناعية وحيوانية وغيرها وتبقى تلك البلاد فقيرة من تلك النواحي وبحاجة لها فاستمرت بخلق الفتن والحروب في الداخل والخارج لتدمير عمرانها وتخريبها وتأخير مناهل الزراعة والتجارة والصناعة والمعارف والسياسة بها وزجها بالحروب الخارجية والداخلية وكمّ أفواه المصلحين والواعين بل والضغط عليهم لدرجة تشريدهم في بلادهم وزج شبابها بالحروب الطاحنة كما نجده اليوم في الشرقين الأوسط والأدنى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

وعلى أثر هذه الضغوط في البلاد الرأسمالية وعلى أثر استفحال الرأسمالية ، قام رجال الاقتصاد بوضع قوانين مناهضة للرأسمالية وظهر من جراء الظلم الفاحش على العمال والزراع في الحكومات الرأسمالية نظريات

تريد الحد من هذا الاستغلال فاختلفت الشيوعية وهي التطرف الفاحش ضد الرأسمالية ، إذ في الوقت الذي تسلب الرأسمالية جهود العمال لنفعها وأن الحكومة الرأسمالية تؤيد تلك الأقلية لهذا السلب ، وفي الوقت الذي يحق للرأسمالي استخدام الأيادي العاملة بأقل الأجور ، على حساب جمع ثرواتها وجهودها لمصالحها الخاصة وأن هذا الرأسمالي يستطيع امتلاك الموارد الحرة من أرض وحياة وحتى الغابات وسمك البحر لحساب أقلية لا يسد جشعها كل ذلك وأعمالها كله غصب وظلم في الداخل والخارج لمحض كسب القدرة المالية والنفوذ على اقتصاديات العالم .

فخلقت الحاجة النظرية الشيوعية التي أرادت القضاء على يد الرأسمالي قضاءً مبرماً ونهائياً فجعلت كل الثروات الطبيعية من أرض ومنابع عامة ومراكز صناعية وزراعية وتجارية مهمة كلها ملك للدولة وليس للفرد إلّا أن يمتلك حق كده بل ذهبت أبعد من ذلك وقامت مقام الرأسمالي بالتجاوز على العامل والزارع وسلب نتائج ذلك الكد ان حددت ما يعمل ويضع وان نتائج كد العامل يعود للدولة والدولة تعطيه دون اختيار منه قدراً معيناً والباقي يبقى في خزانة الدولة ، وسلبت من العامل حق الاختيار في العمل الذي يريده كما سلبت منه حق الاعتراض والتنقل وكثيراً من حرّياته الأخرى تحت كابوس من الخوف والإرهاق ، وجعلت الصحف والإذاعات كلها تحت سيطرة الدولة والفرد ما هو سوى آلة جرداء تعمل كما تأمره به القيادة للحزب الشيوعي وتحت كبت وضغط . وويل للأحرار من النقد وويل لأفراد الشعب من الاعتراض ، فلقد قضت الحكومة الشيوعية في سنينها الأولى بالموت على ١٩ مليون وسجن أكثر من خمسة ملايين وتشريد ما يساوي من المساجين لإرغام الشعب بالطاعة العمياء وتجريده من أي نقد ودفاع .

لقد كان الفرد في الحكم الرأسمالي مسلوباً على تلك الشاكلة وأصبح اليوم في الحكم الشيوعي أشد سلباً ورقيةً وتعاسة ، والحرب الباردة بين النظريتين قائمة على قدم وساق والمواد الحربية المدمرة في أشد مراحل التدمير والتخريب وقد أوجد الخصمان الرأسمالي والشيوعي وسائل تدميرية

دفاعية وهجومية كما مرّ تلك التي بإمكانها من تدمير مضاعفات الكرة الأرضية وإماتة أضعاف بل وعشرات أضعاف سكانها من الأحياء ، ومن المؤلم أن النفقات الباهظة المصروفة من المتخاصمين تكفي بعضها لسعادة الجبهتين ، بيد الغرور والكبرياء ، والغرائز سدت على العقول وآراء الحكماء الأحرار منافذ للنصح .

ومن المؤسف أن الخصوم واثقون أنه إن قامت حرب كبرى فلا منتصر من أي منهما وان الدمار والشقاء عام لا محالة ، وان الحرب ربما قامت لأقل طلقة طائشة أو خطإٍ لآلةٍ حاسبة ومصدر شيطاني ، وكل الوسائل التي يتوسلون إليها لوقف الخطر المحدق ناقصة غير كافية بل غير مجدية إذ لا تبعث على الثقة ، وفيها محل عظيم للشك وسوء الظن ، وليس هناك سوى سبيل واحد لطريق النجاة ذلك الطريق الذي لا محالة وانه يجلب ثقة الجميع ويقضي على المخاطر ويقمع الحروب والمخاصمات ويبعث للبشرية العصر الذهبي المليء بالسعادة والثقة والالفة فما هو ذلك السبيل يا ترى؟ .

كانت الرأسمالية قائمة على أسس غير طبيعية ومثلها الشيوعية كما مرّ ، فالأولى استغلت الأقليات حقوق الأكثرية الكادحة ووضعت لنفسها قوانين موضوعة باسم الحرية ، من حرية التملك وحرية العمل والحريات الأخرى وكل غاياتها من هذه الحريات إطلاق يد الأقليات الانتهازية في حرياتها للسلب والاعتداء على حريات الأكثرية في الداخل وحريات الشعوب الأخرى في الخارج وقد قبضت على وسائل الدعاية ومراكز السياسة من صحف ومجلات وتلفزيون وراديو وغيره لنشر كل ما هو لصالحها وكمت أفواه المحررين والكُتّاب في الحكومات الرأسمالية بشتى وسائل الاقناع أو الارهاب أو أية وسيلة تدرك بها مقاصدها على العامة من الأشغال واللهو واللعب ، وكل ما يصرف عنهم الأنظار . وأما الشيوعية فكم الأصوات بشتى أنواع وسائل الشدة والرهبة وسلب الحريات مطلقاً كما مرّ من قبل .

وما ذكرناه أعلاه عن سلوك الشرق والغرب يتجلى في كليهما هو إنما ضياع الحقوق المادية والمعنوية لغالبية أبناء البشر المسيرين تحت نفوذ هذه

الحكومات القائمة ، وخلاصة الأمر هو ضياع ما مرّ من حرياتهم في القول والعمل ، ضياع نتائج كدهم وتدبيرهم وابلاؤهم أو شقاؤهم ، بالجهل الاجتماعي والفقر والمرض وسوقهم إلى قوانين ورسوم موضوعة ونظريات ثبت خسرانها ، وبعدها عن قوانين الفطرة والطبيعة والعقل السليم ، تلك التي كانت أهم موارد الشقاء والبلاء وإذا استطاعت جهود البشر أن تستعيد كثيراً من حقوق كانت مضاعة وتصارع الحكومات والسلطات وتهبّ مكافحة بيد كلما جاءت بنصر عاد الانتهازيون للغلبة وجاؤوا بنظريات أمثال الحريات المتحرفة في الرأسمالية المجحفة بحقوق الأيدي العاملة الكادحة ، وتلتها النظريات الشيوعية القامعة لكسب حقوق الأيادي العاملة الكادحة وإذا بها أهم سالب لها وأشدها سلباً حتى للحقوق المعنوية من خسران الشعوب من حرية النقد والاعتراض واختيار ما يعمل ويقول وبالتالي ظهر بطلان سيرة كلا الجهتين الرأسمالية والشيوعية .

واليوم كلا المتخاصمين القائمين على تلك النظريات الباطلة عملاً والمسببة لشقاء شعوبهما وشقاء العالم الثالث الغير المنحاز وجرها لمعارك متهلكة لا ينجو منها أحد أي جر العالم الحي للفناء بلا أدنى شك ، ذلك لإصرارهم على أمور خاسرة ، فهلّا كان من الأصلح ترك تلك النظريات المرهقة والعود للسلوك الفطري الطبيعي لإقامة حريات مفيدة بنيل المنفعة الفردية والجماعية وخالية من إيصال الضرر إلى الأغيار وتوفيق الجد بالمعاونة والاخوة والرفق والبر والإحسان ونشر بذور المحبة ، أي قيام الحرية البدنية والفكرية ، حرية العمل في التجارة والصناعة والدراسة والكتابة والنقل والانتقال والنشر ومهما يهواه الفرد والجماعة على شريطة أن لا يسلب حقاً للنفس والغير ويسلب الراحة والسعادة بشتى طرقها ودون مَس بكرامة أو جنية وأي حق مادي أو معنوي للغير ، وأن نسير مطبقين أسس القوانين الطبيعية الأقرب لنا وأهمها ما ذكرته الاستنارة من سلوك الحجيرات في البدن الإنساني وسلوك الأجهزة وقيامها كحكومة البدن الواحد من التعاون والسهر للقيام على نفعه وصد ضرّه بصورة منظمة دائمة للفرد والجماعة .

أعود لأكرر ما هي علل الخصام العالمي ؟ وما السبيل لعلاجها؟ والوقاية من الحرب المدمرة ولا بد من معرفة الحقيقة والداء المتأصل للوقاية والكفاح!

وهل علة الخصام اختلاف النظريات لإدارة الحياة البشرية الصالحة؟ أم هي اختلاف الميول وتضاربها ؟ أم هي الأنانيات والغرور للأقليات الفردية والجماعية وغريزة حب الظهور والقبض على دست الحكم ؟ أم أن السياسة الانتهازية لبعض الأفراد والجماعات تقتضي من إقامة هذه الفروق وخلق وإرسال النعرات العقائدية والقومية والعصبيات الطائفية والدولية؟ أم هناك علل نفسية للبشر تقوده دوماً للمخاصمات وهي من مستلزمات حياته لا يستطيع العيش بدونها ، أصحيح أن هناك أفراداً لا يروق لهم الهدوء ، لا يروق لهم أن يجدون بشراً يعيش وادعاً آمناً ويجد في قرارة نفسه إشعال الفتن وخلق البغضاء وتعكير المياه وصفو عيش الآخرين بقصد الصيد في الماء العكر ، لا أشك أن البشر فيه كل الصنوف المختلفة فيه الذئب والأفعى وفيه العقرب وفيه الهزار وفيه النحل المشكل للعسل وفيه من كل الطبقات ذات الخير وذات الشر بيد أين هي العقول المدبرة أمام هذه الغرائز المدمرة تارة والمعمرة أخرى ، كيف يتغلب الطيش والرعونة إلى هذا الحد فيترك هذا البشر هذا الإنسان الذي يرى ويعلم بحقائق الأمور من الخير والشر فيستهويه طريق الشر على الخير .

إن الذي لديه العقل السليم والحكمة والتدبير ويتأمل في سلوك هذه الدول العظمى وسياساتها تجاه أبناء جلدتها من البشر هذا السلوك الصادح بالخير والمثير للشر ، القائل بحقوق البشر والقائم على سلب تلك الحقوق أي منطق هذا أو أية غاية يريدها إن نظرة صغيرة إلى الأعمال القائمة بين الهند في الداخل والهند وباكستان ، إلى الشرق الأوسط ودوله من إيران والعراق وأمراء الخليج ولبنان وسوريا والأردن والسعودية والارتباك في شتى أنحاء العالم الدول العظمى والصغرى ، الهاز لأركانها والتطاحن القائم وما خلقته السياسة الغربية من الفتن الدائمة والقلاقل القائمة ، وهضم الحقوق

وسفك دماء الأبرياء واغتصاب أموال الخليج بما فيه من دول وأمراء وإقامة المجازر وسلب أعز ثرواتها وأموالها وتحويل الأسلحة لها بأضعاف الأسعار ووضع المراقبين العسكريين وأهم الأدوات الحربية في السعودية التي كانت في أمان وليست ذات حاجة لكل ذلك وتشريد المثقفين والأحرار أو زجهم في السجون بعد الفتك بهم من القتل والتعذيب دون ذنب اقترفوه .

وتسلط الأيادي الانتهازية على الشعوب في هذه الدول دون أن تجد شعوبها رحمة أو عطفاً أو ملاذاً تشتكي إليه ، كل هذه قائمة ليلاً ونهاراً بعلم وعمل من هذه الدول وشركاتها المسلطة على رقاب البشر والصادحة بأعلى صوتها أنها تتابع تثبيت حقوق البشر ومساعدة الضعفاء .

إن الحياة المادية القائمة عليها الشركات والجماعات السياسية والاقتصادية في العالم الرأسمالي ، وما تدسه الدول الشيوعية لبث أغراضها وزعزعة كيان خصومها ، هي الأخرى الباعثة لهذه الويلات في العالم ، إن فقد المعنوية وفقد الروح الإنسانية والأخلاق الكريمة لصد الاعتداء والخصومة وفقدان روح الإلفة والمحبة وإدخال السعادة على ذوي الاحساس والشعور ، وقمع مصادر الفساد تلك التي صدحت بها رسل الله وكتبه المنزلة الحاملة للمعنويات ، ومنها الآية القرآنية : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ . والأخرى : ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** ﴾ . الواقع الذي لا مراء فيه ان كل تلك المظالم والفساد إنما ينبعث عن قلوب وأفكار غير إنسانية ملحدة كافرة بالمبادىء الحقة وروح الإنسانية والإحسان المنكرة للحق ويوم الحساب ، المنكرة لله المبدع الخالق المقاصص الواقف على السراء والضراء والذي لا تعزب عنه صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها .

فعلل الخصام ما هي إلاَّ علل مادية تثيرها غرائز حب المال والجاه وطلب النفس ، الأنانيات والغرور ، لكثيرها أغراض خاصة لسلب حقوق الآخرين بأية وسيلة ارضاءً وإشباعاً لجشعٍ وطمعٍ وغصب صريح باسم الحرية وحقوق الإنسان فهي بعرفها وما تعمله يمثل الحرية وحقوق البشر ومن

امتنع أو عارض أو اشتكى أو قاوم أو فرَّ كان المانع الجائر المتجاوز ، هذا هو عرف السياسات القائمة ، ولا يمكن تغيير الوضع ووقف الحروب والمخاصمات ما دام الحل والفصل بأيدي الزمرة الأولى من الانتهازيين الماديين ، وليس لنا أي أمل للإصلاح وطلب ذلك من ذئابٍ كاسرةٍ وحوشٍ متظافرة ، إذ كيف نطلب العدالة والرحمة ممن يفقدها و « فاقد الشيء لا يعطيه » .

فالبشر لا يصلح إلاَّ بصلاح زعيمه ، فالناس على دين ملوكهم ، وما دامت هناك أقليات بيدها الحل والربط وهي بؤر الفساد وجب قمعها أولاً وانتخاب من يصلح للإمارة والحكم . بيد أية إمارة وحكم؟ نعم ذهب الماضي بأدواته وأسلحته التي كانت الحروب تقضي على خصم وينتصر الآخر فيبني كيفما يريده ، أما اليوم فإن وقعت حرب فهي تدمر العالم بما فيه الخصمين ، فإذن إننا اليوم في عهد جديد ، وهو حقاً جديد بأجهزته التي قربت السمع والبصر وقربت المسافات وبأسلحته التي إن استعملت في الحرب دمرت الكل ، فإذن علينا تدبير الأمر ونحن أمام أمر واقع لا سبيل لنا غير التسليم ، وهذا التسليم هو الطريق الوحيد للنجاة من الدمار والسعادة من الشقاء والحياة من الموت والعدالة الاجتماعية والمساواة البشرية ، من الظلم والقساوة والاجحاف والاعتداء .

علينا اتخاذ سبيل طبيعي وأسس فطرية وسلوك إلّهي يحمل روح التعاون والبر والإحسان ، روح التقوى والعقيدة بعظمة الله المسيطر الواقف على أدنى الحسنات والسيئات والمجازي لها والآمر بالخير والناهي عن الشر ، نحن اليوم في حياة جديدة لم يسبق مثيلها ، إما عناد وإصرار على نظريات فاسخة وقواعد وقوانين موضوعة وضعها البشر لأغراضه وقد دلّت لليوم على فسادها . أو اتباع قوانين نظرية طبيعية أوجدها الله الواحد الأحد الصمد وهي ثابتة قائمة قد مرّ ذكرها في كتابي الحكومة العالمية المثلى ، ومرّت في كتابي القانون الأساسي تلك التي حكم الله بها كل موجود من جماد وأحياء ، قوانين ونواميس لا يجوز تغييرها والتلاعب بها ، وما نراه من

الحروب والخصام والتدهور وعدم الانسجام وما نراه من الشقاء والدمار إنما هو لمخالفتنا لتلك النواميس الكونية ولا سبيل لنا إن شئنا الحياة الرغيدة إلاّ باتباعها ، وما اتّبعها إلاّ المتقون الذين اتبعوا أوامر الله في نواميسه وتجنبوا نواهيه .

ولا بد لنا من مصلح رباني جمع الله فيه كل الطاقات والخصال الحكيمة المدبرة . واتباع قوانين يُراعى فيه ربّ العمل والعامل ، والفرد والجماعة ، والسائد والمسود ، حقوق الله حقوقاً طبيعية فطرية بين كافة الأطراف تشملها العدالة والمروءة والمساواة ، والإخلاص والأمانة في العمل ، وبذل المجهود ونظرة الرحمة الإنسانية ، فالإنسان أخو الإنسان وكفوئه وأن يراعي فيه جميع الأطراف العدالة والانصاف والتعاون لسد خلة الفرد والمجتمع والدأب المتواصل للنفع العام والخاص ودفع الضرر العام والخاص كواجب لا يحمل المنّة شأننا شأن حجيرات البدن الواحد وأجهزته من قيام كل منها لخدمة نفسه والمجموع ، رؤية لا يدخل بحسابها الكسل والتقاعس ، ولا المنّة والغرور ، ولا أية خصلة تعود عليها وعلى الباقين من نوعها بالضرر ، والمصلح المنتظر هو سيد الكل وخادمهم الراعي الأمين المجد الأفقه والأروع القدوة الصالحة الذي يحفه الصالحون ، والقاضي على الفساد وارباب الفساد ، تلك هي أسس المصلح في دولته ، وتلك هي سنن الله وقوانينه الطبيعية الفطرية في خلقه من خالفها شقي ، ومن اتبعها سعد وقد حان زمان تطبيقها على يد المصلح المنتظر .

كيف نحظى بالمصلح المنتظر ؟ أهو رسول إلّهي؟ أو هو نخبة البشر؟ ينتخبه الأقوياء ؟ ينتخبه العلماء والحكماء؟ تنتخبه الأكثرية العامة؟ أينهض متى توفرت فيه الشروط الطبيعية والروحية والزمنية ؟ هل نستطيع إدراك تلك النواميس والشروط بحواسنا وإدراكنا؟ وهل لإرادة البشر دخالة لتعجيله واستنهاضه؟ أله طاقة وعلم وتجربة تتميز عن طاقتنا وتجربتنا؟ وبنية فوق بنيتنا؟ لنتحرى عظماء البشر من حكماء وعلماء وأنبياء ورسل ، ولنتحرىٰ

بعض حكومات الحشرات وأنظمتها ، ما هي ميزة أميرة النحلة والنملة ، والأرضة ؛ ولله في خلقه شؤون .

أيجوز أن يتزعم العالم وينجيه من ورطته أحد هؤلاء الزعماء القائمين على الدول الكبرى والصغرى؟ نعم أم لا؟ ولماذا؟ .

كيف نهض وتقدم محمد وهو الأمي اليتيم؟ من بين تلك السلالات الضعيفة الغارقة في الجهل والتعصبات الجاهلية المتوسلة بالأوثان والأصنام ، المتنابزة المنغمسة بالمفاسد والأوباء الاجتماعية والعقائدية المجهولة ، الفاقدة لمصادر العيش التي شحت عليها الأرض والسماء حتى لا يطمع بها طامع ولا يحسب لها من جيرانها الأقوياء من أكاسرة وقياصرة حساباً ، فيتقدم بتلك الفلول المتطاحنة والعقول المتشاحنة فيؤلف منها القوى البدنية والمعنوية وحدة فيدك بها الشرق والغرب ، واليوم نحن البشر بحاجة إلى نصير يفعل فعلته وعسى أن تكون بشارته صادقة في حفيده وما ذلك على الله بعسير .

وعجل الله بخروجه ، فيأتي به وقد واتتنا الشروط وتوافرت العلامات وهذا الحسُّ بالحاجة الملحة ، وإننا لمنتظرون وكلنا أمانٍ وآمال ، فأرنا اللهم ربَّنا الطلعة الحميدة والغرة المجيدة ، وأصلح اللهم شأن هذا البشر المتناحر التائه بالغي والضلالات ، والمتلبس بالنفاق والخدع والجامع للمظالم والبدع ، فعبادك اللهم بيد الطغمة المتجبرة والعصبة المتكبرة بين الخوف من الدمار والهلاك والرجاء بالنجاة والفكاك ، مما تلم بهم من قلاقلٍ وفتن مربكة ومذابح ومجازر مهلكة ، لا يقر لهم قرار ولا يجدون سبيلاً للخلاص والفرار ، فعجل اللهم نجاتهم وأسعد حياتهم بآية من آياتك وفرج من خيرك وبركاتك .

نعم : وبعد تلك الكلمة أعلاه وما ذكرته في كلماتي الماضية من توفر الشروط العلمية والزمنية وتلهف البشر وحسّه لناجٍ ، لمنقذ ينتشلهم من أيادي طغمة تدفعهم غرائزهم وعواطفهم بعيداً عن الحكمة والمنطق السليم

كأطفال طائين أو أمناء عابثين ورغم وضوح العواقب المشينة الفادحة والموات السحيقة الواضحة والمصير الجهنمي المبيد والخراب المهين الشديد ، هذه الطغمة العابثة بمقدرات الشعوب رغم انفها والمستهترة بحقوق البشر التي تتغزل بها وتتظاهر منافقة بالدفاع عنها وهي بأعمالها ألد خصوم هذا البشر المهضوم حقه بأيديها والمسلوب رزقه في ناديها. هذه الطغمة الفاقدة لحنان الأب الرؤوف وحكمة القائد العطوف ، كالوحوش المكشرة عن أنيابها التي يحسبها الأغبياء ابتساماً ، والمتقنعة بقناع الأبرياء الذي يعدها البلهاء احتشاماً ، أنهم خالون وفارغون من أية خلق كريمة وعدالة حكيمة وأدب وإحساس بالبر والإحساس بروح الإنسانية التي نادى بها روح الله سيدنا اليسوع ، المدعون انهم يسلكون سبيله ويدينون بدينه في إنجيله ، فهم فاقدو روح الدين والعدالة وفاقد الشيء لا يعطيه .

نعم إننا ننتظر تطبيق أوامر تلك الصفوة لنحذو خطاهم خطوة فخطوة . مما أمر به أولو العزم من البشر وبشروا به أخص سيدنا إبراهيم وصفوة الرسل من ذريته ، أخص منهم موسى وعيسى وخاتمهم محمد (ص) ، الحاملون لمشعل الحرية والإنسانية والخلق السامي ، والدعوة إلى مسالك السعادة والأخوة والمحبة والبر والإحسان .

وإن لم تكن أوامرهم سارية بالدعوة لليوم فعلى خليفتهم بما يحمله من علم باطن من السلوك الصارم مع القساة الجبابرة والانتهازيين ، ومن يتحين الفرص من هؤلاء المردة لقطع دابرهم ودابر كل فاسدٍ مفسدٍ وفساد بما ألهمه الله من علم وأخص ما أمره الله به من هذا الطمع ولا تستطيع أن تقول ذلك وتستدل به على ما سار عليه الأنبياء والرسل أخص من أصبحت بيده أزمة الأمور مثل محمد (ص) فلم نجده يقضي على من تظاهر بالإسلام عمّن أبطن النفاق والشرك من أمثال أبي سفيان ومعاوية وأمثال أولئك الذين كان لهم علم بما يحملون من بغض وحسد وكراهية للإسلام ، وما فعله آل أمية أخص معاوية بخيار الصحابة وما فعله مروان وآل مروان بهم وهناك ما يدل على علم محمد بذلك . فلماذا لم يستأصل شأفتهم هم ومن عارض الإسلام

وأدخل وأخرج من أحاديث نبوية كاذبة سببت التفرقة في المذاهب في الدين الواحد ، كل تلك تجعل للمعترض الحق في النقد ، بيد هناك أمور في القرآن عن مصاحبة سيدنا موسى كليم الله وهو من أعاظم الرسل ومن أولي العزم ويطلب مصاحبة الخضر ليقف على بعض أعماله ويتعهد بعدم الاعتراض عليه ، ورغم ذلك حينما يجد من الخضر ثقب السفينة التي أقلتهم ، وإقامة الجدار لمن أبوا أن يضيفوهم وقتل الغلام ، تلك الأعمال الدالة على سلوك غير منطقي فبين له العلل إن أراد مفارقته وبالتالي قال له انه كان مأموراً من قبل الله ولم يفعله من نفسه .

ونحن لا نشك أننا بحاجة إلى قمع دابر الفساد والمفسدين وإلى قوة باطنة وخارقة من الله ومدبرة في المصلح المنتظر به تتظافر الشروط والقوى لإقامة الحكومة العالمية المثلى على وجه هذه الأرض ، نحن بحاجة لمصلح أعطاه الله ما لم يعط غيره من علم باطن وتدبير لتحكيم أسس شريعة الله ، وإقامة دولة حق أساسها العدل والانصاف والبر والمحبة والإحسان والرأفة ، مقرونة بالعلم الباطن وأوامر الله الخفية ، دولة الأخيار المصلحين ونكالاً للطغات الطالحين دولة تقيم بها أصول قوانين الله ونواميسه الطبيعية الفطرية مشفوعة بروح العدالة والاعتدال ، هذا الاعتدال شرط من تجنب الافراط والتفريط والزيادة والنقصان في استجابة الميول الغريزية . فمثلاً كالاعتدال في الأكل دون زيادة أو نقصان أو في كلاهما يحصل الضرر وقبله الزيادة والنقصان في الأحوال الجنسية إذ في الزيادة يورث الضعف ، والنقصان يورث أمراضاً روحية ، والاعتدال هو الأصل وهناك آيات قرآنية في الأمر : **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾** ، وقوله تعالىٰ ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ ، وأمثال ذلك ، وقول الإمام محمد الباقر عليه السلام في وصيته لابنه جعفر الصادق عليه السلام : يا بني خذ الحسنة من بين السيئتين ، فما نقص سيئة وما زاد سيئة . وقول رسول الله محمد (ص) لعلي : يا علي هلك فيك اثنان : محب مغالٍ ومبغض مقالٍ ، مثل من بالغ به وغالى فيه وقال إنه الرب كما فعل قبله النصارى في

يسوع المسيح أو من حقره وأوجب سبه ولعنه في عهد معاوية وخلافة الأمويين ، فالعدالة يليها الاعتدال من الشروط التي تلزم في المصلح المنتظر ، كما تلزمه التقوى وهو أن يكون الله دوماً محسوباً نصب عينيه رقيباً له يحاسبه في الصغيرة والكبيرة في أوامره ونواهيه ، وأن يشعر في قرارة نفسه بالمسؤولية التي قالها محمد (ص) : كلكم راعٍ وكل مسؤول عن رعيته وللمصلح أعظم مسؤولية أمام ما يحمله من السيطرة والقوة والإدارة وما هي بحاجة له من حكمة وعلم وتقوى تلك هي أسس المصلح في دولته . .

مدير محطة الإذاعة العربية في واشنطن المبجل :

إني أحد المستمعين لإذاعتكم العربية كل يوم . . . .

وكنتم أذعتم يوم ١٩٨٥/١١/٤ خبراً عن قرب اجتماع الرئيسين الأمريكي والسوفيتي بغية الوصول إلى تخفيف حدة التوتر والحد من الأسلحة المدمرة وربما الوصول إلى سلام شامل . وطلبتم رأي المستمعين حول ذلك .

وإذ كنت مهتماً كل الاهتمام لسلام العالم . وقد بدأت إحدى موسوعاتي منذ أكثر من ٢٥ سنة في ثلاث أجزاء باسم :

١ ـ الحكومة العالمية المثلى .
٢ ـ القانون الأساسي لهذه الحكومة .
٣ ـ المصلح المنتظر بنظر أهل الأديان والآراء .

والكتاب الأخير جمع أحد عشرة مقالة أكملته بالمقالة الثانية عشر للجواب على سؤالكم . أرجو بحض منكم بالقبول والنشر ولكم مني مزيد الشكر والامتنان .

جواد جعفر الخليل
قاضي متقاعد ومحامي سابق

وأخيراً أعلن لمقامكم أني سأستمر على الكتابة وهناك نظريات لنجاح ما عرضته أعلاه والوصول إلى توحيد العالم البشري واستتباب الأمن والسلام ، وأنا مستعد لتقديم المقالات السالفة والتالية حسب طلبكم وبانتظار طلبكم .

المقالة الثانية عشرة

جواب إذاعة محطة أمريكا بالعربية
من واشنطن بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٥

في التاريخ أعلاه أذاعت محطة إذاعة واشنطن في الساعة الخامسة بعد الظهر أن الرئيسين الأمريكي والروسي سيجتمعان للبحث حول تحديد وتحقيق القوى الذرية فما رأي المستمع الكريم عن نتيجة ذلك الاجتماع؟

أقول : لا شك أن حادث اكتشاف القنبلة الذرية بلغ من الأهمية بمكان لم يحدثه أي حادث سابق أخص وأنه اكتشف من لدن خصمين مختلفين في العقيدة ، وثبتت أضراره التدميرية ثبوتاً قاطعاً ، وتسابق الشرق والغرب في أسلحته التدميرية حتى أعلن الدكتور كولد فالدهايم قبل سنين في دور زعامته لهيئة الأمم المتحدة أن المتخاصمين قد أحضروا مليوناً من القنابل الذرية ، تلك التي تكفي للقضاء على أمثال الكرة الأرضية . وقد أعلنت اللجان والمؤتمرات العلمية ، ورجال الإصلاح عن سوء العاقبة من الحرب القادمة وأنها متى بدأت من أي جانب ، فسوف تقضي لا على البشرية فحسب بل على كافة الأحياء في البر والبحر والهواء ، ولا تترك لها منتصراً بل الكل حكام مبار لهذا أتقدم مجيباً على سؤال الإذاعة بما يلي :

١ ــ من يمثله الرئيسان؟.
٢ ــ حدود صلاحيتهما السياسية.
٣ ــ حدود صلاحيتهما العلمية والمنطقية.
٤ ــ حدود اتجاههما الإصلاحي العالمي .

٥ ــ اتجاه العالم الدولي.
٦ ــ إحساس الغالبية .
٧ ــ إحساس القلة ذات العلم والحكمة .
٨ ــ هل يدرك بهذا الاجتماع إصلاح ونجاح تام .
٩ ــ ما هو سبيل النجاح؟ .
١٠ ــ هل اكتملت الشروط للوحدة؟ .

١ ــ من يمثله الرئيسان الأمريكي والروسي؟ أهما يمثلان دولتيهما؟ أي الدولة الأمريكية والدولة الروسية؟ أم يمثل كل منهما حزبيهما ؟ أيمثلان شعبيهما ؟ أم يمثلان جبهتيهما ؟ أي الجبهة الغربية بما فيها من دول رأسمالية والجبهة الشرقية بما فيها من دول شيوعية ، وعندها يوجه سؤال لو صح ذلك ، فمن يمثل الجبهة الثالثة المحايدة؟ وهل الجواب على كل سؤال يمنح كل واحد منهما القدرة السياسية والشرعية حقاً على متابعة المقررات؟ هذا وكل رئيس يعرف أن طرفه ليس له ذلك التخويل وتلك الصلاحية المطلقة للبت المفروض على الباقين وهناك من يعتبر ويعتد برأيه وربما كان هذا الرأي أصلح لولا ما يحمله الرئيس العربي أو الشرقي من الاعتداد الخاص بنفسه وممثليه الذين انتخبوه للزعامة وحسب وان أضرّ بغيرهم مادياً أو معنوياً .

٢ ــ حدود صلاحيتهما السياسية؟ أي لأي حد سياسي قد خُوِّل كل رئيس للمفاوضات والبث في الأمور عن جبهته المارة أعلاه ، وهذا الفرض سوف يطبق تطبيقاً تفرضه السياسة الرأسمالية التي سنشرح نواقصها التي يجب تعديلها ، ومثلها ما تفرضه السياسة الشيوعية وما تحمله من انحرافات يلزم تعديلها . تلك التي ثبتت أخطاؤها النظرية في التطبيق والجارية بحكم القهر والغلبة .

٣ ــ حدود صلاحيتهما العلمية والمنطقية؟ وهي الأقرب للشرعية والثقة لقربها من العدالة الاجتماعية والفطرية الطبيعية البعيدة عن القوى القهرية المجردة ، فالصلاحية العلمية المنطقية تقوم على أسس ثابتة متينة في حكم

القانون الطبيعي المستحكم الذي يفرض اتباعه العقلاء والمجربون والذي يعطي نتائج مفيدة للفرد والمجتمع والذي خلا من أي غرض خاص وعواقب وخيمة ، وعلى هذا هل يحمل الرئيسان مثل هذه الصلاحية والبث فيها للصالح العام دون رعاية صلاحية خاصة ؟ لا أرى أو يراه غيري في هذه واقعية صادقة . . .

٤ ــ حدود اتجاههما الإصلاحي الذاتي؟ إن الموضوع بالغ من الأهمية لدرجة قصوى ، مما يفرض بل ويحتم أن يحمل كل من الرئيسين من القدرة الذاتية الشخصية من حكمة وعلم وإرادة وتشخيص وبصيرة لحل المعضلات العامة والخاصة ، حلاً يوصله للنتيجة المتوخاة من الإصلاح العام والأهداف القريبة والبعيدة ، وهدم بؤرات الفساد والمفسدين وإقامة الصلاح والفضيلة العامة المؤدية لسلام البشرية من العواقب المشينة ، وشوقه إلى الوئام والسلام والحياة الأفضل والأسعد .

فالروح والقدرة الذاتية تختلف في الأفراد ، فمنها ذات طاقة ضعيفة لدرجة تقف مكبلة الأيدي من تسيير نفسها ، وتحتاج لمن يسيرها ، وثانية لها القدرة الذاتية لتشخيص مصالحها ، وتتقدم هذه القدرات لإدارة العائلة والعشيرة ، والقدرة الإدارية لجموع أو مجموعات بشرية كقبيلة أو مدينة أو إمارة كبيرة ، وربما لدولة صغيرة أو كبيرة ، ومنها التي لها قابلية طبيعية لإدارة أمور سياسية وأخرى اقتصادية وأخرى لشؤون اجتماعية كما هناك من القابلية لإتقان أمور رياضية ، وأخرى لاتقان أمور فيزيكية أو كيماوية ، وهكذا في شتى سبل الحياة . وأعظمها من كانت فيه اللياقة للمجموع وأكملها بالعلم والتجربة ، وهناك ذاك الأخلاق السامية والمتمايزة بالحلم وضبط النفس وبعد النظر ومسايرة الأمور واللياقة الفائقة ، لوضع كل شيء مادي ومعنوي في موضعه ، وأعظمها من كان دوماً فطرياً ومنطقياً يراعي المصالح العامة ويتبصر بالعواقب والنتائج ، ويحمل روح النبل والإيثار الإنساني ويميز الخير من الشر ويتبع الفضيلة دون أن تتغلب عليه العواطف والميول والغرائز المشينة ، ونظرته الثاقبة تقوم على العدالة الاجتماعية ، وهناك النفوس القاهرة ،

والشريرة والانتهازية الخاصة ، وذات الأغراض والمنافقة ، وتعرف كل منها من أعمالها ونتائج أعمالها وسلوكها والرجال مخابر لا مناظر ، إذ ربما كان المنظر جميلاً بيد المخبر وبيلاً ، وهكذا اللياقة الذاتية إذا اقترنت بالعلم والتجربة كانت قد كملت فيها المؤهلات الخاصة في كل موضوع ، وعلينا دوماً وضع الشيء في موضعه إن شئنا الإصلاح ، وإلاّ كان العمل مُخرباً ، فليس من اللياقة وضع رجل الميكانيك مهما بلغ من الخبرة في مكان الطبيب أو المزارع أو رجل الاقتصاد أو مدبراً لمختبر كيماوي أو فيزيكي ، محاسباً رياضياً أو ما شابه إذ وضع كل من ذكرنا في محل الآخر ، إن وضع الشيء في غير موضعه قد يؤدي إلى التأخر والتدهور كترميم عضو في البدن بعضو آخر مهما بلغ مقامه في الأهمية كترميم الكلية أو الكبد بالقلب وعضو السمع بالبصر وما شاكله .

٥ ــ اتجاه العالم الدولي؟ قلت العالم الدولي من الدول الغربية والدول الشرقية والجبهة الثالثة لدول العالم الثالث واتجاه نظرتها بالنسبة لمفاوضات ومقررات الزعيمين ودرجة ثقتها بهما إذ كل واحدة تهمها مصالحها الخاصة قبل العامة ، وحتى ما تهتم به أقطاب كل شعب في الدولة قد لا ترتضيه الأكثرية الشعبية حتى في الداخل ، وتختلف أحزابها بالنسبة لرمي كلٍ من منهاج الزعيمين وترى في مسيرتها كتابعة ارغاماً قد يكون هناك ما هو أجدر للبحث فيه وأجدر في تقريره وانتهاجه ، وبصورة أوضح هناك مصالح خاصة للأحزاب السياسية للولايات المتحدة ، وهناك مصالح خاصة لشركات الترست الأمريكية العظمى ، وهناك مصالح داخلية للولايات ، ودونها المصالح العامة للشعوب الأمريكية التي ربما اتجهت أهدافها بصورة معاكسة للأخرى ومثلها الاتجاهات الخاصة للأحزاب الشيوعية في الداخل والخارج ، وما تحمله نفس الشعوب هذه من التباين والتضارب في الداخل والخارج وأثر كل منها في المصلحة العالمية وتوجيهها من النظرات الخاصة إلى العامة ورعاية العدالة الاجتماعية بحد سواء لأفراد البشر .

٦ ــ إحساس الغالبية؟ يا ترى نظرة الزعيمين وأهدافهما لأي حد تتفق

مع المصالح العامة والأكثرية الغالبة ، وما هو إحساس الأغلبية من مجموع الدول والدويلات والأفراد والجماعات ، ونحن نرى بأم أعيننا أن سلوك الدول العظمى للآن إنما تراعى بها المصالح للأقلية المتنفذة دون رعاية الأقل طاقة وقدرة ، ولطالما ذهبت مصالح الأكثرية حتى في الدول العظمى هدراً لطيش أو غايات خاصة ناهيك ما تتلقاه الدول والشعوب الأخرى من إجحاف ومظالم بعيدة عن العدالة الاجتماعية والانصاف وللبصير الواقف على ما تثيره المصالح الخاصة في الدول الرأسمالية والشيوعية في شُعوبها طوراً باسم الحريات وطوراً باسم حقوق البشر وبأسماء مشوهة كم نجده من التجاوزات والتعديات وسلب الحريات ونشر الفتن وإقامة الحروب والمفاسد في الداخل والخارج مما لا يخفى على المدقق البصير . . .

فالعالم الدولي لا يخلو من اتجاهات ثلاث : ١) الرأسمالية. ٢) الشيوعية. ٣) العالم الثالث . والأولان هما بؤرة شقاء العالم ! ورب متعجب في هذا القول وكيف ذلك : وعلى سبيل المثال أقول : على حد المثل المعروف : خير الأمور أوسطها .

أو ما قاله حكيم يوصي به ابنه[1] يا بني خذ الحسنة من بين السيئتين ، إذ دوماً حد الاعتدال في غريزة الجوع هو حد الاعتدال الوسط فما قل أورث الضعف وما زاد أورث التخمة وتعقبها الأمراض . ومثلها الانفاق فالتبذير سيئة والتقتير سيئة وخيرها الوسط ، ومثلها الغريزة الجنسية : من أمسك عنها أُصيب بمرض الهستري وهي سيئة ومن أفرط بالأمور الجنسية أصيب بالنورستانيا وضعف الأعصاب وما تولده من المساوىء ، وهكذا في شتى شؤون الحياة وشتى الاستفادات من الغرائز الأخرى .

أقول : إن الرأسمالية أطنبت بالحريات وحقوق الفرد والجماعات وأفرطت فيها حتى بعدت عن حد الاعتدال وزلت عن أصول الحرية والحقوق فهي سمحت للصبيان والشباب والرجال والنساء بالحريات ، مطلقة

(١) ما أوصى به الإمام محمد الباقر حفيد الحسين (ع) لابنه جعفر الصادق (ع) .

لهم ما شاؤوا دون مراعاة أخلاق وصحة وأدب واقتصاد ورعاية للآباء والمربين والمعلمين ، فتركتهم يتناولون المشروبات الكحولية والمواد المخدرة ويقيمون الحفلات المزرية بالأخلاق ويزجون أنفسهم في نوادي القمار ويرتادون كل أنواع الموارد الجنسية دون حساب عواقبها فيقعون في الاعتياد على المخدرات والاستهتار بالآباء والمعلمين ، والاتصال الجنسي المؤدي للأمراض الجنسية من جهة ، وإلى الحمل والاسقاط وترك أطفال يكونون عبئاً على الدولة وسلوك الشباب والشابات سلوكاً لا يكفل لهما الحياة الزوجية الشريفة هذا إلى الاعتياد على المسكرات والمخدرات وما تؤدي به من سلوك في الحياة غير شريف وأحياناً مزرية وأخرى مهلكة ومنها بيع وشراء وحمل الأسلحة التي طالما سببت قتل أفراد بريئين .

وحريات أخرى اقتصادية في المصانع والمتاجر والمزارع والمعامل والامتلاك والتجارة التي يقع فيه الأفراد ضحية للأقلية الجشعة وخلق صنوف من أجهزة القمار والألعاب التي يقضي فيها زمناً ضاراً غير مجد ولا نافع سوى ما يضحيه من وقته وماله ويعود فاقداً قواه وماله ، وغاضباً على المجتمع وما يؤدي ذلك من سوء الأخلاق والسلوك وبالتالي الشقاء للفرد والمجتمع . وباسم الحرية ما يتاجر به الأفراد والشركات ، ويشيع ويبث من أنواع الأسلحة والمواد المخدرة تلك التي تقوم به شركات المخدرات وشركات الأسلحة وشركات النفط وغيرها ، فالمخدرات تفرض من طرق الحيلة والمكر والدعاية وشتى الطرق الأخرى لما فيها من فوائد اقتصادية رغم أضرارها وشرّها وقد أصبحت وبالاً على الفرد والمجتمع في الداخل والخارج . . .

وأما الأسلحة فهي الأخرى وما تجره الحريات الماضية على الاستهتار ، وهذه التي تباع دون رعاية على الأفراد في الداخل وتفرض على الشعوب الآمنة في الخارج بإلقاء الفتن والنفاق والشقاق بين الطوائف والمذاهب والعقائد والدول لإقامة الحروب والمنازعات وتكفينا نظرة في الشرق والغرب بل توجه إلى إسرائيل ولبنان والعراق وإيران لترى ما فرض

عليهـا من ذلـك وكيف ألقيت الفتن وقـامت الحـروب وذهبت مئـات الألـوف ضحايا دون غاية وجـدوى ، ودون قصد سـوى لسلب أموالهـا وإزهاق أرواح خيرة شبابها وقتل وتشريد خيرة رجالاتها وإلقاء الرعب على جيرانهـا من دول الخليج لشراء أعظم طاقات الأسلحة وبـذل مواردهـا النفطيـة الثمينة بـأبخس الأثمان في سبيل غـايات مصـالح هـذه الشركـات النفطيـة ومختلف الأسلحة دون جدوى ، وشعوبها وشعوب العالم الثالث بحاجة لمختلف العـون المالي والعلمي والأدبي والصحي .

تلك هي بعض الحـريات في الـدول الـرأسمـاليـة المتـظاهـرة بـالعلم والأدب والصادحة بحقوق البشر . هـذا الحق المهضوم بـأياديهـا ونواديهـا ، وهي المـالكة لأنـواع الـدعـايات العالمية وتَصِمُ كـل من قـاومهـا بـالخـروج والإرهاب ، وبما تجريها من الجنايات العظمى دون حساب .

وأما الشيوعية فهي الأخرى التي وردت الميـدان بإصـلاح حال العـامل المتـدهور في الـدول الرأسمـالية والمغلوب على أمـره بيـد الأقليـة من ذوي رؤوس الأموال والشركات الصناعيـة والزراعيـة والتجاريـة تلك التي تستخدم العمال وتستحوذ على نتـاج أعمالهم ودون أن تسـدد لهم سوى الجـزء اليسير من نتيجة كدّهم مرغمة إياهم بقبول ذلك .

هذه النظرية الشيوعية التي جاء بها كارل ماكس ومن سار على خطاه ، وكـل قصدهـا ترميم مـا لحق بالعـامل من جيف ومـا لحقـه من سلب حـريـة وحق ، هـذه الشيـوعيـة هي الأخـرى جـاءت على الـطرق الأخـرى المسيئة لسلب الحقوق والحريـات ، جاءت بعصـبـة قبضوا على زمـام الحكم بالقـوة وسلبـوا كل أفـراد الشعـب من حقـوقه في الأجـرة وأرغمـوه على العمـل في المعامل والمزارع والمتاجر وغيرها وسلبوا كل نتاج عمله سـوى النذر اليسيـر وحرموه من حق في اختيار العمل ومدة العمل وابـدال العمل والتملك للنقـل والانتقال والقول والكتابة والنشر والانتقاد والتظلم بل تركوه آلة مسلوبة الحرية والحقوق يسيرونه كيف شاؤوا .

تلك أفراد الرأسمالية وهذه ضدها الشيوعية ، تلك الرأسمالية الجالبة لشقاء البشر باسم الحرية والحقوق المستهجنة وهذه الشيوعية السالبة للحريات والحقوق الطبيعية والمكتسبة .

ولم تبق الرأسمالية على حالها بل تقدمت نحو الشيوعية بالضرائب الكبيرة ووضعت ضماناً اجتماعياً للفرد بيد تركت ذلك الافراط المشين أعلاه في الحريات وظلت تعين شركات الأسلحة والنفط وغيرها الغاصبة والسالبة لحقوق البشر بصورة مروعة .

وتقدمت الشيوعية تشاطرها القسمة بنفس الطرق من بيع الأسلحة وإثارة الأهوال والخطوب في العالم ، وكل منهما يعرف حق اليقين الأعمال المزرية حيثما ينسبها لغيره وبيده وسائل الدعاية والنشر وويل لمن خاصمها من الأفراد والجماعات حتى توصمه بأنكر الأعمال وأقبحها .

٦ ــ حساب الغالبية؟ لا أبداً الغالبية إما في غفلة وانشغال أو جهل مطبق ، أو مأخوذون بالدعايات ، أو شغلهم العوز والمحن أخص في العالم الثالث ، ما مأخوذ على أمرهم رغم علمهم . . .

٧ ــ إحساس القلة ذات العلم والحكمة! وهم أشد الجميع شقاءً ، حيث تذهب صرخاتهم هباءً في واد ، أو لما تستكمل الشروط لإنجاح دعوتهم ونشر إصلاحهم ، ولا بد لهم يوماً تستكمل الشروط وقد قبل إذا ضاق الأمر اتسع ، والحاجة أم الاختراع . وهم تحت كبت الإذاعات والاهمال من الدول الكبرى . ولا بد من يوم تتجمع الشروط وتظهر الحاجة للمصلح المنتظر الذي ترنو لطلعته الجموع المغلوبة على أمرها ليهزم به الفساد والمفسدين ، ولا بد من يوم تندحر به الرذيلة وتسود الفضيلة وتقوم حكومة الحق والعدل ، وتفوز القلة الفذة الحكيمة على المنافقين الانتهازيين الحاكمين . .

٨ ــ هل يدرك الرئيسان بهذا الاجتماع إصلاحاً ونجاحاً ؟ . .

ترى مما مر هل يحمل الرئيسان الصلاحيات والمميزات المؤهلة لمثل

هذا الإصلاح من عدة جهات مرّ وذكرناها ، من المؤهلات الذاتية الطبيعية والعلمية والخلقية والأخلاقية ، وهل هما إذا قطعا أمراً سيتحقق السلام بصورة دائمة وعامة ، وهل انهما يحملان من حسن الظن الواحد للآخر للجزم على خلع سلام جزئي أو كلي ؟ وكيف يثبت الواحد للآخر وللأطراف المشرفة على سيرة الرئيسين على صحة ذلك ؟ نعم إن ما قام به كلاهما للآن في داخل دولتيهما وخارجها من المصالح العامة والخلق الرفيعة لم تبرهن على تلك الثقة ، وإن توافق فبشروط تبقى وهلة وجيزة ثم تنقضها أغراض وعوامل قائمة إذ هناك تعديات ومظالم ، تجري ولا زالت من طرق هذه الدولتين وفي عهد هذين الزعيمين أعمال مخالفة ومناقضة لقوانين الأمم المتحدة والخلق الرفيعة والعدالة الاجتماعية ، منها ما يجري في أفغانستان وكمبودجيا وما يجري في الشرق الأوسط بين الدولتين المسلمتين المتجاورتين بتحريض وتمويل من الغرب والشرق وما يجري في فلسطين ولبنان ، وما تدعُ لها دول الخليج دعاً لشراء أسلحة واتباع سبل تهدر بها أموالها ، وتسلب منابعها البترولية بشتى الطرق بين الخوف والهلع ، تلك التي إن كان للرئيسين يد مصلحة إنسانية وإحساس بحقوق البشر ورعاية عاطفة بشرية لعادت الحياة إلى مجاريها ولما أُقيمت المجازر في الدول الشقيقة المتجاورة دون هدف واقعي ولما قامت الحروب المصطنعة ، وقد تكلم الزعيمان قبيل اجتماعهما بأنهما مستعدان للمفاوضة والأعمال الإصلاحية وتعميم الثقافة بين البلدين ومبادلة الموارد الرياضية والثقافية بيد ما أحلى الكلمة الأخيرة التي فاه بها الرئيس « ريكن » بعد خطبته المنمَّقة بأنه سيعمل كل ما يزيد التقارب مما مرّ ذكره بين الشرق والغرب بيد يجب أن لا نذهب بعيداً في التفاؤل . .

أقول : هل يمكن التفاؤل بالتقارب والمصالح الخاصة هي الطاغية ، والنوايا وسوء الظن لا يمكن أبداً الإعراض عنها ولا يمكن أبداً التغاضي وعدم الحذر وهناك الأقليات المتخالفة المسيطرة على دست الحكم . بل لا زال على دست الحكم نفس الحكام ذوي الآراء المتناقضة عن بعضها والنظريات المتخالفة والنوايا المتباعدة .

إن بذور الإصلاح يجب أن تنشر وتعمم من نفوس جبلت على الفضيلة من غير الكتلتين ، يجب أن تصدر من كتلة لا تفرق بين أفراد البشر أو لا تحرمه من حقوقه العادلة من قمع الفساد ونشر الفضيلة وسيان عندها كل واحد من أفراد البشر ولا يفرق ويميز ويرفع كفة الواحد على الآخر سوى الروح الإنسانية ومكارم الأخلاق والعلم المقرون بالفضيلة والإحساس بالعاطفة إلى هذا النوع على حد سواء وأن يقوم الايثار والمحبة والحكمة مقام الأنانية والطيش والعداء ، وعليه لا سبيل في هذا الاجتماع إلى سلام يعم البشرية طالما من وراءه أغراض متباينة ومصالح خاصة .

٩ ـ ما هو سبيل النجاح؟ .

إن للسلام والفضيلة والعدل الاجتماعي وإدراك المساواة أصولاً وأسساً ورجالاً يتميزون عن رجالات الشرق والغرب ويقصدون إلى هدف واحد وعقيدة واحدة فطرية طبيعية وقواعد وقوانين فطرية طبيعية مقرونة بالعلم والخلق الفاضلة النزيهة بيد أفراد حسبوا خدمتهم وظيفة إنسانية مجدون حكماء مريدون جادون يتميزون بالإيثار مثاليون بعيدون عن المنّة والأنانية ، بل هي كالوظيفة الذاتية التي يقوم بها المخ المشرف على أعمال البدن الإنساني المختلفة وبأجهزة البدن وأعماله والمؤتلف والمتعاون الواحد للآخر بدأبه ومعاونته لنفسه وغيره على حد سواء ، يرسل الإيعازات صادقة أمينة ويتلقاها من مصادرها بصدق وأمانة ويسير ككتلة واحدة لخدمة هذا البدن الإنساني .

وبالتالي يجب أن تقوم في العالم على هذه الكرة الأرضية دولة عالمية مثلى واحدة على شاكلة الجسم الإنساني بقوانينه الفطرية الطبيعية والتعاون والجد والدأب للعمل كل في اختصاصه وأخذه نصيبه العدل ، وأن تكون الخدمة والدفاع والهجوم وظيفة عامة ، وأن يتساوى أفراده في الأفراح والأحزان ، إن أصيب طرف صغير أو كبير في أقصى أطراف البدن يهب البدن بما لديه من حول وطول لإنقاذه وإصلاحه ولا يهدأ إلاّ بعود السلام والأمان لذلك العضو هكذا يجب إقامة حكومة عالمية مثلى ، والمشرفون

على إدارتها ومصالحها لهم مقام المخ المحاط لصونه بأشد أنواع الصيانة ، وهو حائز على قوة تصله الأخبار صادقة ويوحيها صادقة ويمدّه الجميع بما يحتاج ويجد الجميع بما يلزم كوظيفة يقوم بها هو وكل عضو صغير أو كبير تحت إشرافه بإخلاص في كل لحظة .

١٠ ـ هل اكتملت الشروط لقيام هذه الدولة العالمية المثلى؟ . اليوم كل الشروط جاهزة وما مر زمن سبق هذا العصر اجتمعت فيه شروط قيام دولة عالمية مثلى مثل هذا العهد . ونحن إذ نشبّه هذه الدولة بدولة البدن الواحد الذي يضم بلايين الحجيرات المختلفة في خدماتها ومئات بل آلاف الأجهزة القائمة الدائبة في العمل والمتعاونة فيما بينها ، في الخدمة والإحساس والإسعاف والدفاع والهجوم والأفراح والأتراح ، وسد الاحتياجات المادية والمعنوية رغم قيام كل منها بعمل يخصها دون سواها وعدم إمكان ترميم العين إلاّ بالعين والسن إلاّ بالسنّ فهي متعاونة ولكل مميزاته الذاتية ، وتصلها الإيعازات والأنباء بلحظة وتصدر منها للأطراف بلحظة ، متقاربة في الماديات والمعنويات صادقة وسريعة بالأنباء وعلى عدة وعدد وجاهزة لصد الأعداء وترميم الخراب وإرسال الاحتياجات . هذه المميزات ضرورية للحكومة العالمية المثلى ، وهذه المميزات والصفات لم يتم قيامها على وجه الأرض ولم تتهيأ للمجموعة البشرية من قبل ، أما اليوم فقد تقربت الأفراد البشرية وجماعاته بالسمع والبشر وسرعة الامدادات وترميم الخراب وتعميم المعارف والعلم والحالة الاجتماعية من العلم والعمل ، وما اكتشفت من الأجهزة السلكية واللاسلكية ، وأجهزة الحمل والنقل البري والبحري والجو بما تملكه من سرعة وطاقة وحافظة الكامبيوتر وغيرها ، تلك التي قرب الإحساس والشعور والإلفة وضم الأفراد والجماعات لبعضهم ، وتعميم الوعي بكل وسائل الدعاية الصالحة بما تضمه من أدوات وإمكانيات وإمكان ضمان الفرد والجماعة وضمان حقوقه وحرياته النافعة وقصم الضارة وتعميم السلام والسلامة ، والوئام والسعادة ، والحياة الاجتماعية العادلة والتساوي بالحقوق والاحتياجات وحد كل ما يضر بالفرد والجماعة مادة ومعنى . .

نعم اليوم كل شيء جاهز ، واليـوم وحده يشعـر الأفـراد والجماعـات بالحاجة لتوحيد العقيدة واللغة ولا يتم ذلك إلّا بحكومة عـالمية مـوحدة ذات هـدف واحد ، بهـا تنهى المنازعـات البشريـة على اختـلافهـا من عقـائـديـة وطائفية ، جنسية ولونية ، وغيرها ، والكل يشعر كم بهذه الوحدة من ضـرورة وكم بها من خصم لأنواع الرذائل والفساد وضم لأنواع الفضيلة والرشاد . .

والحـاجة أُم الاختـراع لقيـام الـزمـرة الصـالحـة المشكلة مقـام المـخ المهيمن على جسم هـذه الحكومـة العالميـة تحت نفوذ سلطان عـادل يقصم مفاسد الشـرق والغرب ويـوجه الجميـع إلى المقام الأسمى والحيـاة الأفضل وقد برهنت التجارب أن هناك في هذه الخلقة معاجزاً ونبوغاً وان الشـروط إذا اكتملت ، والإحساسات إذا توحدت ، وأدرك الجميع وأجمعوا على الضرورة والحاجة سيجـود الناموس الأعظم بحل هذه المعضلة ويسهل الإسعاف ويتم العـلاج وإننا لمنتـظرون بما تنبـأ به الأنبيـاء المـرسلون ودعـا إليـه ووعـد بـه الحكماء الصالحون من قيام الحكومة الصـالحة على يـد الزمـرة الصالحـة ، كما جاء في الكتب السماوية كالزبـور والقرآن الكـريم : **﴿ إن الأرض يرثهـا عبادي الصالحون ﴾ والعاقبة للمتقين . . ﴾** .

المقالة الثالثة عشرة

الحكومة العالمية المثلى
هي السبيل الأمثل لسلام البشرية وسعادتها

كيف نحقق تلك الوحدة؟ كيف نحقق الوحدة ودونها العقائد السياسية ، والدينية والجنسية واللون ، واللغة ، والعادات المختلفة وغيرها ودونها الغرائز ، كالأنانيات وغريزة حب المال والجاه وحب السيطرة والمنابزات والحرص والجشع والشره والنفاق ، ودونها المنافقون والانتهازيون والمغرضون ، ودونها السياسات المختلفة الفردية والجماعية والحب والبغض والحسد وسوء الظن وحب الانتقام وحب النفس ودونها كثير وكثير من المزايا والصفات المتجاوزة حد الاعتدال حتى تصبح سيئة ، أو القاصرة عن حد الاعتدال مثل البخل والجبن والكسل والجهل وما شاكل حتى تصبح هي الأخرى سيئة .

فكيف نحقق الوحدة ونبدأ بتقاربنا في العقيدة؟ بالتربية والتعليم الصالحين ، ونهج أصول العدالة الاجتماعية والخلق السامي ، ونبذ الخصال والمساوىء أعلاه، وحس الرحمة والإلفة واعتناق مبادىء الأخلاق السامية وفي مقدمتها التآخي والإيثار والصفح والبر والإحسان وإبدال العداء بالمودة والمنابزات بالملاطفات والتباعد بالتقارب ، والحس بوحدة الخالق المبدع المهيمن الواقف على السراء والضراء ، بوحدة الوجود ، بوحدة الخلقة الإنسانية من أصل ونوع وعناصر وأجزاء واحدة من ماديات ومعنويات واحدة ، الحس بضرورة وحدة النظر والسمع والذوق وبقية المزايا والصفات

الإنسانية وغيرها ووحدة العقل ودلالته على الخير والشر والفضيلة والرذيلة وتعليم فاتباع سبل الفطرة الطبيعية كسيرة الحجيرات وأعضاء البدن الإنساني .

كل تلك الإحساسات خير مثار لتأمين الوحدة وإقامة دولة عالمية مثلى أساسها العدل الاجتماعي ، والبحث في الطرق الموصلة للم الشعث وجمع الشمل ، والوقاية من متسببات الفرقة والتباعد والخصام والعداء بل وأرقى من ذلك إبدال سوء الظن بحسن الظن والكبرياء بالتواضع والشراسة والصرامة بحسن الخلق ولين العريكة ، والجشع والطمع بالسخاء والإيثار ، والخوف والجبن والتردد بالاستقامة والثبات والجد والإرادة ، والوقيعة بالآخرين بالبر والإحسان .

ولو دققنا وبحثنا عن مسببات التفرقة والعداء وشرحناها على بساط البحث تلك التي جرت الويلات والشقاء لكافة البشر وتعمقنا في عللها لتأكدنا جميعاً القوي والضعيف والسيد والمسود والغني والفقير والعالم والجاهل ، إنما هو الخروج عن الاعتدال والصراط المستقيم وبالتالي الخروج على المنطق السليم إذ باتباع الفضيلة ونهج سبل الخير توصلنا دوماً للسلام والسلامة وراحة البال والإلفة والمحبة والمودة والصداقة ، وبالتالي السعادة وعكسها اتباع سبل الشر والرذيلة مهما حققنا بها من الماديات ، فهي بالتالي توصلنا إلى عذاب النفس والشقاق والنفاق والخوف والحذر وسوء الظن والعداء والخصام وتعب النفس وعذاب الروح .

وعلى هذا الأساس نعود لنشرح حسنات وسيئات كل من الرأسمالية والشيوعية والغاية المتوخاة منها وخروجها عن مسلك العدالة مسلك الفضيلة وثم تباعد كل عقيدة ومسلك عن الآخر ثم التناحر والخصام حتى بلغ السيل الزبى والمستقبل الموحش وخطر الحرب المدمرة ، والوقاية هنا خير من العلاج ، والعلاج مما حصل ليس له سوى درب واحد لا غير يلزم ولوجه ، وولوجه سهل ممتنع فما هي الغاية من هذه الإنحرافات والمخاصمات والجميع إنما يطلبون العدل والرفاه الاجتماعي وضمان سعادة البشر

وحسب . . ويأبى كل فريق الخضوع والرضوخ للقول الفصل والاتجاه إلى ما فيه نجاته ونجاة غيره وسعادته وسعادة غيره . .

العود للتقارب كوقاية وكمقدمة للوحدة :

مرّ وذكرنا مزايا ومساوىء وحسنات وسيئات كل من العقيدة الرأسمالية والعقيدة الشيوعية وكيف أفرطت الرأسمالية في الحريات حتى أصبحت بعد حسناتها في بؤرة السيئات ، وكيف خنقت الشيوعية الحريات حتى زجت نفسها في المساوىء وضياع الحقوق الفردية والجماعية وكلاهما يقصدان الحفاظ على حقوق البشرية بَيْدَ كلتاهما زلّتا عن الحقيقة عن نقطة مفترق الطرق إلى قطبين متخالفين وظلاً يسيران متخالفين ومتباعدين على مرور الزمان وتزداد خصومتهما ووسائل الدمار حتى بلغا ما هما عليه الآن بينما يهدفان البلوغ إلى إسعاد الفرد والمجتمع ، بيد ويا للأسف رغم إحساسهما بالزلة لم يعودا لتصحيح الأخطاء والتقارب وجمع الشمل تحت لواء واحد وأصول طبيعية واحدة تلك التي هي أسس الإلفة والوفاق وبالاتجاه للوحدة : وكيف ذلك؟

نبدأ أولاً بذكر نقط الخلاف وتشخيص العلل .

نعم بالعودة إلى حد الاعتدال في الجبهتين الغربية والشرقية لتأمين حقوق الفرد والجماعة المسلوبة ، للأصول الطبيعية الفطرية .

فالإنسان حيوان متمايز عن بقية الحيوانات بعقله النامي وغرائزه وعواطفه الغير الثابتة والخارجة عن حدود الاعتدال كما مرّ ، إذ ترى ثبوت تلك في الحيوانات على مستوى واحد دون أن تتدرج إلاّ تلك التي دربها الإنسان وبعث بها قوى مكتسبة كتدريبه للكلب وبعض الحيوانات الضارية والطيور وجرها للتعايش السلمي معها ، أو مع بعض الحيوانات الأخرى ومنها التي استعملها في السيرك وحدائق الحيوان ومثلها النباتات ، بيد كل منها تعود لحالاتها الطبيعية الفطرية متى أهملت ولم تتدرج مثل الإنسان إلى الحضارة والمدنية ، وحتى تلك التي لها حياة منظمة ومنسّقة من الحشرات كالأرضة والنملة والنحلة رغم مزاياها المعاشية والاجتماعية والطبيعية منذ

آلاف السنين بل ملايين السنين لم نجدها تتقدم وتبني مجتمعاً أرقى وحضارة ، ومدنية أسمى مما هي عليه على طول القرون والأزمان. ويخالفها الإنسان الذي امتاز بنشاطه الفكري من قوى العقل والقوى الروحية والعواطف والميول والغرائز تلك التي بغتت به لتغيير مناهج وسبل ومسالك هذه الحياة وتطورها آخذة به اتجاهاته العقلية من جهة ، وغرائزه من جهة أخرى، إلى مختلف الجهات ومتناقضات في الحياة ، فتارة إلى سمو المعنى والحكمة ونزاهة النفس والفضيلة والسعادة ، وأخرى إلى إشباع رغبات بأية وسيلة وهدف دون إصغاء لحكمة العقل وخروجه عن ميزان الاعتدال إلى الهوة السحيقة والرذائل، ومنها إلى شقائه ذاتاً أو شقاء من يحيط به الأقرب فالأقرب حتى يعم الأفراد والجماعات بل ويتجاوزها للأجيال القادمة ، ويسيِّره طيشه وهواه للاعراض عن المنطق السليم لذاته وغيره ، وهذا ما نراه متفشياً في المجموعة البشرية وقد خلق من الحياة الطبيعية الحرة السعيدة التي كان بإمكانه أن يدرك بما لديه من قوى معنوية آفاق السعادة والهناء ، وإذا به في النكبة والشقاء ومختلف الويلات والنكبات ، لهذا اليوم الذي وصل به علمه لاكتشاف الأسلحة المدمرة وإلى وضع عقائد نظرية أو رقابة للخصام والعداء ، تلك التي يأباها المنطق السليم تلك كانت في مسالك الرأسمالية وانحرافاتها عن مجال العدالة الاجتماعية باسم الحريات والحقوق البشرية .

أما الشيوعية : التي قامت نظرياتها على دعم حقوق الأكثرية العاملة المغصوبة ، والحد من استهتار الأقليات من ذوي رؤوس الأموال واستهتارهم وغصبهم لحقوق العامة من العمال والزراع وقطع دابر القسوة والظلم والاجحاف التي يصيب الفرد والجماعات ويسلبهم نتاج أعمالهم ، وبقصد إعادة الحريات والحقوق المسلوبة وبقصد نشر الرفاه والسعادة الفردية والجماعية واطلاق سراح هؤلاء الأكثر من قيود وأكبال الأقلية المجحفة لحياة أقر لعيونهم وأوسع مجالاً لهنائهم فقد وضعوا لذلك مراحل ، في أولها مضايقات للعامة حتى يكمل إشرافهم وتعم أنظمتهم ويأمنون من أضدادهم بهذه الوعود يصلون العصر الذهبي والضمان الاقتصادي العام وإذا بهذه

العصابات هي الأخرى وضعت أسساً وقيوداً وأكبالاً أشد وأقسى على العامة والخاصة وضيقوا على كافة الحريات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فتجاوزوا غضب الرأسمالية واستهتارها ببعض الحقوق إلى هضم للأفراد والجماعات هضماً لم يكن بالحسبان وقيوداً على كافة أبدانهم ونفوسهم وأرواحهم وسلباً وخناقاً على حركاتهم وسكناتهم وأموالهم وأعمالهم وأفكارهم وخنقاً لأنفاسهم وآهاتهم وصراخهم ومرت السنون وعشرات السنين منذ ١٩١٧ لليوم والحرج يزداد وما يجب أن يصرف على سعادة الأفراد والمجتمعات يبذل للأسلحة المدمرة وتغلبت عصابات على دست الحكم وسارت مسير عصابات الرأسمالية في الخارج لإلقاء الفتن والشغب والاستحواذ على القبائل والإمارات والممالك بالدعايات الفارغة والشعوب وباسم الحريات المسلوبة ونشرت سمومها وباعت أسلحتها منافسة الرأسمالية في الخارج وزادت الطين بلة والجراحات آلاماً وهي بعد سبعين سنة والافراد والجماعات البشرية مكبلة بالقيود والاصفاد ومسلوبة الحقوق والحريات مستمرة بطيشها رغم ما تجده في الحيف والظلم في العالم الرأسمالي ورغم كل المنكرات فهذه الرأسمالية هي أحسن حالاً منها وأقر عيناً .

وكلاهما الرأسمالية والشيوعية لما تتنبه إلى الحقيقة التي ترزح بها البشرية من أدوائها التي هي بؤرتها ، وأن ما يرجى من الشيوعية والرأسمالية إنما هو الاتجاه المتباعد بينها عوض التقارب ووقف كل ما يضر بالفرد والجماعة تحت اشراف أفراد قلائل حكماء وأطباء اجتماعيين لا زالت تذهب صرخاتهم ونصائحهم هباء من كتّاب وعلماء نفس وعدول من ذوي الرأي الصائب والحكماء .

تلك كانت نقط الخلاف وتشخيص العلل وما بعدها سوى أصول الوقاية والعلاج .

أصول الوقاية والعلاج : تلك التي توصلنا للوحدة فالوقاية يقصد بها الحد من التورط ممّا يخشى من الانجراف إلى مسببات الحرب المدمرة ،

وبما هيأ لها من الأسلحة المدمرة وتوجيه الخبرات والابتكارات إلى الجهات المصدرة والموفقة لهذا الانجراف والانحراف وتوجيه الخطى من النوايا والأقوال والأفعال المسببة للخلاف والخصام للسلام والوئام وإبدال الجهود الراقية لتهيئة الأجهزة الرامية للتحطيم والتهديم ، إلى الإصلاح والترميم والنفع العميم ، وقطع دابر الفساد والمفسدين . . .

المصالح والأهداف المشتركة : قلنا المصالح والأهداف المشتركة لنقطع دابر الأهداف المشتركة في المفاسد كأهداف الغرب لإقامة المناورات الخادعة ، وسلوك الطرق المشينة وتهيئة المخربات والمدمرات الوقيعة بالشرق ومثلها الشرق من الجد للوقيعة بالغرب ، ولو بذل كل منها بعض ما يبذله لأمثال هذه النوايا والأفعال الرذيلة لإقامة الفضيلة مقامها ، ولو نظر الفريقان أو الفرق المتناحرة في أصول الحياة ووحدة الخلقة والمميزات والصفات لهذا البشر الحامل للمؤهلات والمشاعر والجوارح والأعضاء المتناسبة المتناسقة المتشابهة ، إلى هذا البشر المنحدر من أصل واحد والقائم من المبدأ إلى النهاية إلى غايات واحدة من السلوك والرامي إلى هدف واحد هو الحياة الرغيدة، وإقامة الأخوة والإلفة والمحبة وكلٍّ عوض الجد لتحطيم أخيه واضرام نار العداء والخصام وما يصيبه هو وأبناء جلدته من النكبات لو عدّل أفكاره وسار سيرة طبيعية كحجيرات البدن الإنساني للتعاون والتعايش السلمي ، وتسديد الواحد للآخر ، لو بدل الخطة كَم كان سعيداً ، والآن للتقرب إلى الوحدة وتشكيل دولة عالمية واحدة ، تعالوا يا أبناء الشرق والغرب ، يا أبناء البشر ، إلى القول الفصل لنزيل بعزم خطط المحتكرين والمغرضين الدنسين في جبهات الاقتصاد ، والسياسة والاجتماع ، من أحزاب سياسية وتكتلات اقتصادية واجتماعية من السياسات الكاذبة المنافقة الداعية لحقوق البشر والمتنكرة البشرية والظالمة لها ، وإلى الجمعيات والشركات المتعاملة بالمخدرات والأسلحة والمصالح الاقتصادية التي تبذل لأغراض أقلية تقضّ مضاجع البشرية جمعاء وتزج الأفراد والجموع للخصام والحروب ، وإلى تلك القابضة على وسائل الدعاية والنشر

الكـاذبة المنـافقة ، تعـالوا لتبـديل هـذه المناهـج مبدئيـاً في الجبهتين ، ولا نحرض هذه على تلك إلاّ بقصد المصلحة العامة والنفع العام البشري ، وان نحمل روح الإلفة والوفاق والبر والرحمة والحب والمرحمة للقريب والبعيد ، تعالوا لإحـلال هذه المعـايشة نشـرها متسـاوية صـادقة لكـافة الأفـراد والأمم البشـرية ، وبعـدها تـوحيد العقيـدة الصالحـة بـالله الخـالق البـاري المهيمن الـرحمٰن الرَّحيم ، وأن تكـون العدالـة الاجتمـاعيـة التي تحملهـا الحكـومـة العالمية كحكومة بدننا مقياساً نسيـر عليه من التعـاون والإلفة وإيصـال الخير ودفع الشر وحذف وقمع كل ما يضر بالنفس والـغيـر باسم الحقـوق البشريـة والحريات ، ومتى بلغنا هذه المـرحلة فقد قـربنا جميـع الأضداد من الشـرق إلى الغـرب ويلغنا بـالشيوعيـة التي تنتظر السيـطرة والخـلاص من خصـومهـا لوضع الضمان الاجتماعي القائل : « لكل فرد مـا يحتاج » وإطـلاق حريـات الأفـراد الماديـة والمعنويـة من حريـة العمـل والمسكن والتجـارة والصنـاعـة والـزراعة والتعليم والكتـابة والنشـر وتوحيـد العقيدة والـرأي والسلوك واللغـة والنقل والانتقال وتعميم الترفيه والتعليم الصحيحين المعتدلين اللذين يُراد بهـما تدريب الأطفال والشباب والرجال والنساء على سلوك معتدل خال من الإفراط المؤدي للطيش والاستهتار أو الكسل والخمول تربية ، وعلماً يعرف الأفراد أن هنـاك واجبات ورعـاية منـطقية بينهم وبين مـربيهم من آباء وأمهـات ومعلمين ومربين اجتماعيين من حكمـاء وكُتّاب وأن هنـاك واجبات متقـابلة بينهم وبين كافة الطبقات من الاجتماع القريب والبعيـد وأن هناك واجبـات أخلاقيـة يلزم رعـايتها في شتى الشؤون الاجتمـاعية والاقتصـاديـة والسيـاسيـة ، وأن هنـاك نواميس طبيعية وقوانين إدارية وشرعية تجاه النفس والغير يلزم مراعاتها ، وأن البشر كل يلزمه خدمة ومعاونة الآخر خـدمة وظيفيـة كخدمـة حجيرات البـدن الإنساني الواحد للأخرى من دانيه وعـاليه فـرضاً اجتمـاعياً دائبـاً خدمـة تعود نتائجها المفيدة لا للحجيرة وحسب بل لكافة حجيرات وأجهزة البدن الـواحد وأن ما يصيبه من علة وألم يصيبها حتى تعود وتستعيد سلامتها . .

وهيهـات أن يسود القـرار والاستقرار البـدن وطـرف من أطـرافـه يحس

بالعوز ويشعر بالألم أو الكد أو الجوع والمضايقة من عامل داخلي أو خارجي حتى أعادته لحالة الحر السوي وترى البدن كله متكافلاً من أقصاه لأقصاه في السراء والضراء والأفراح والأتراح والراحة والتعب والصحة والمرض تكافلاً وظيفياً وطبيعياً وفطرياً بما يصدر من الايعازات المستمرة من الجزء أو الأجزاء للكل وعكسها من الكل للجزء من الحجيرة والأعضاء لمراكز الحس في المخ وتعميم هذه للتأهب والمساعدة ورفع الضرر والتأهب للدفاع والترميم ولا يعود قرار البدن حتى عودة الحالة الطبيعية المتعادلة للمركز المتأثر أو الداعي للعون ، وكل ما يجري إنما هو وظيفة طبيعية خالية من المنة ، هكذا تجب الحياة الاجتماعية بين البشر وأن يحس كل فرد بما يحسه الفرد الآخر مهما تباعدت الشقة ، وأن يكون هذا الإحساس والتأهب للعون وسد الخلة وظيفة طبيعية مهما اختلفت الوظيفة أو نوع العمل ومركز الفرد طبق العمل والوظيفة في الجسم الإنساني ، والواقع أن الحياة البشرية يجب أن تقام على أساس التعاون والصميمية دون أن يكون في المجتمع الإنساني الذي نراه اليوم من اغتنام المغانم والأرباح لحساب زمرة أقلية لا على حساب الأكثرية سواء في داخل الدول أو الشعوب أو خارجها، وغصب دول أو شركات أو عصابات بشتى الوسائل المجحفة ، وسائل الحياة المادية من تجارة وصناعة وزراعة وغيرها ووسائل الحياة المعنوية من سياسية واجتماعية واحتكار وسائل الدعاية والحكم والسيطرة ، أقلية بزعمها على حساب هوية القول والعمل بها وقهر الأكثرية استخفافاً أو إرهاباً أو خديعة أو إرغاماً على حياةِ القسوة ، الحياة المجحفة الغير العادلة وغير المتكافئة وتجر بذلك التعاسة والكراهية والحياة البعيدة عن المساواة الطبيعية المفروضة ، وهذه الأقليات المتجاوزة بسلوكها الاقتصادي والاجتماعي المجحف ، أما وانها فقدت حس العاطفة البشرية وحملت منطقاً منحرفاً أو لا تشعر بالحقيقة وفي كلا الحالتين فهي غير كاملة الهناء والسعادة . . .

كلا وألف كلا ، إن الهناء والسعادة الواقعية هي القائمة على القناعة في أداء الواجب والحسن بالإرشاد وإدخال السرور على النفس من طريق

الأخلاق السامية والبر والإحسان للآخرين ، وما يتلقاه منهم من حب وتكريم والحق أن سيد القوم إنما هو خادمهم والسَّادُ لعوزهم المادي والمعنوي والسَّاعي في الخير والفضيلة على حد ما جاء في القرآن المجيد : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره** ﴾ ، والبلاغة الربانية في الآية : ﴿ **ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها** ﴾ .

لقد بنى أفلاطون جمهوريته على أساس خلقي عظيم حينما بحث عن الحكومة وعن الزعيم الذي يتقلد الحكم في حكومته ، فانتخب أعظم الفلاسفة علماً وعملاً وتجربة وحكمة كما قسم الحكومات وبين خيرها وشرها ، وقد أجاد في الكثير منها ، بيد ظلَّ مغلوباً أمام أمر واحد لم يدرك له علاجاً ومخرجاً وهو تغلب وانقلاب عسكري يقوم به انتهازي عسكري ، ويطيح بدولة الحكماء والفلاسفة وإعادة الحكم بيد غير أهله ، وهذا اقض مضجعه .

هذا الأمر حتى حسب إقناع الشعب في دولته من طرق نفسية وروحية ولم تواته الفرص لوضع ما يمنع مثل هذا الانقلاب القائم على الغرائز البشرية ، تلك التي اعتقد إمكان الامتناع من قيام مثل ذلك الانقلاب من طرق روحية ونفسية وعقيدة تلهم النفوس للكف عن مثل ذلك ، وربما لم يتوصل إلى ما جاء به الأنبياء ودعوا إليه من إثبات العقيدة الدينية بالله الواحد الصمد الخالق المصور المبدع القائم والمحاسب على الحسنات والسيئات تلك التي بشّر وأنذر بها الأنبياء ، لاطاعة الله وأولي الأمر والأتقياء للفضيلة ، والامتناع عن الرذيلة ، والإيمان بمراقبة الله للسلوك البشري وبلوغ المؤمنين المتقين لأوامر الله ونواهيه فيما يجلب لهم خير الدنيا والآخرة .

هذا وإن سلكوا الحق والصراط المستقيم وكان العدل والعفو ديدنهم والبر والإحسان معدنهم ، ذلك الإيمان المالك لقلوبهم والمبني على العقل الصائب والمنطق السليم ونواميس الفطرة والباعث لسعادة الفرد والجماعة ، حيثما يدعوهم إلى موارد الصلاح والسداد ويردعهم عن الضلال والفساد ،

ذلك الإيمان الراسخ والعقيدة الثابتة التي تبعث بهم بقوة الإرادة لانتخاب الأحسن وتحمل الجهود وبذل المجهود وتحطيم القيود ، وبذلك الإيمان تستأصل بؤرة الفساد وبه تعمم وتشاد مناهج السداد والدواء .

أقول : وللوحدة البشرية ، وترسيخ أصول الحكومة العالمية تلزم الموافقة على كل دولة شرقية وغربية لوضع حدٍ للمحتكرين والمفسدين الذين اتخذوا اسم الحرية درعاً في الدول الرأسمالية لبلوغ مآربهم الدنية ومقاصدهم وجشعهم .

أعيب الدين من الخبيثين وربما حق للأكثرية ذلك إذا ما تطرقنا للمذاهب والأديان المختلفة وما قامت به من الخرافات والأغراض الخاصة أو المباني المزرية وهذه الأديان التي فرقت البشر وعقائدهم وحطت من عزائمهم وفرّقت بين أذواقهم ، بيد يجب أن لا ننسى العقل السليم والمنطق الحكيم ولا نطلق العيوب ونجحف بالحقوق ونخل بالموازين إلاّ على أساس متين يحكم به العقلاء والحكماء على حد قول الحكيم :

حدّث العاقل بما لا يليق ، فإن صدّق فلا عقل له ، وحدّثه بما يليق ، فإن كذّب فلا عقل له .

إذ هناك بين العقائد والآراء المارة الذكر موارد سخيفة وأخرى حكيمة وهي لا تختلف عن آراء الحكماء وعلماء النفس والفكر والكُتّاب ، وعلى حد القول المأثور: الكلام صفة المتكلم والعمل صفة العامل . وهناك العقائد والأديان التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون والحكماء والعقلاء من العلماء والمتبحرون والأذكياء المفكرون بأنها جمعت أصول العدالة الاجتماعية وأسس النواميس الطبيعية ولاءمت البشرية في سلوكه وسيرته لحفظ موازينه ومقاييسه في كافة شؤونه المعنوية والمادية الصائبة وإدراك الحياة السعيدة والحياة الاجتماعية الرغيدة لما حوته من أصول تهذيبية واقتصادية وسياسية وما تحتاجه من إسداء العون والإيثار والإلفة والمحبة والتعايش السلمي ، والبر والإحسان ، والعفو والتواضع والشعور والإحساس المشترك بسد الخلة

والعوز والحاجة للغير القائمة على المثل العليا والأخلاق الفاضلة، تلك التي هي من حجيرات الحياة الإنسانية والقائمة عليها دولة البدن الإنساني بين حجيراته وأجهزته الباطنية المارة الذكر ، وهذا الدين القائم على تلك الأصول والإيمان فيه مناهج الخير المطلق والحياة السعيدة . .

والحق إننا بحاجة إلى انقلاب كبير لتغيير هذا السلوك البشري الخارج على الأصول الفطرية وأسس الاعتدال تلك التي اعتاد عليها خلال كل هذه الدهور والقرون المتوالية . . .



المقالة الرابعة عشرة

الإنقلاب الأكمل

البشر بحاجة إلى انقلاب عظيم لبناء حياته على العدالة والكرامة والمساواة والخلق السامي، والسلوك المبني على العلم والمنطق، واختيار الأحسن دوماً وكل ما يسوقنا إلى الوحدة والاتحاد والإلفة والتعاون، والحب والبر والإحسان، والسلوك الأفضل والأرقى ويردعنا عن مهاوي الشر والكراهية، والتشتت والغرور والأنانية والتجاوز والخصام، والظلم والاعتداء وما فيه إضرار للنفس والغير، نحن بحاجة إلى :

١) إلى دين وعقيدة فيه الصفات المارة، دين يحرضنا على الجد وبذل الجهد لبلوغ الكمال وجمال النفس ويردعنا عن كل قبيح، دين وعقيدة تجتمع فيهما الحسنات ويخلوان من السيئات لبناء مجتمع نقي من الشوائب والأمراض المادية والمعنوية مجتمع يسير في حركاته وخطاه للنفع العام دؤوب في جدّه وإرادته، غير متقاعس أو متكاسل في نهجه، الثقة وحسن الظن تزيده همة ونخوة إلى النجاح والسلام والسلامة وتسوقه دوماً بإرادة تنبع من يقين وإيمان قد ملك النفس للنزعة الصادقة إلى الحق والتسامح والصفاء، والبر والإحسان وكسب الثقة من الآخرين مما يسديه كل فرد لغيره من خدمة نوعية أخلاقية إنسانية نابعة من روح تكن الإخلاص والوداد لبني نوعه بشهامة ونبل وتصميم وعزم، وأن تكون تلك في حسّه وشعوره وظيفة تملك نفسه وتلهم روحه : انقلاب على نظريات الشرق المجحفة الهاضمة لحقوق الفرد والجماعات وحرياتهم المادية والمعنوية، انقلاب

على قمع النظريات الشيوعية التي ثبت أنها كبلت الأبدان والأفكار، وانتزعت الحقوق والحريات وقيدت الأحرار والمفكرين وسلكت سبعين سنة ونيف سبيلاً بالطيش والضغط بقصد ردع بعض الاجحاف من أقليات على الأكثرية العاملة بتراضي وتعاقد عدوا فيه خروجاً على العدالة الاقتصادية رغم حرية العامل والمستهلك وباسم الرفاه واليسر، أججوها حرباً شعواء وآثاماً نكراء على نفس الأكثرية التي أرادوا نصرتها فغصبوا كل الحقوق المادية والمعنوية منها بقصد إعادة بعض الحق المهضوم والاجحاف المقصود هذه الشيوعية ولما تنتصر وقد ثبت أنها البلية المستنكرة والإرهاق الأكبر التي عبًت شعوبها في سجون نكراء وزنزانات جرداء ومحقت ما لها من مال وحيلة ورجاء إلى خيبة يائسة ونجاة من ورطتها بائسة، محرومة من كل ما منحها الله لعباده من النعم أن تملك أو تقول أو تفعل حتى التظلم والاستجداء أو الهرب في أجواء الأرض والسماء .

أما الرأسمالية فهي الأخرى باسم الحريات انهاك الأقلية للأكثرية، ونشر الاجحاف والفساد بالخداع والإرهاب .

حقاً ان الشيوعية لو فتحت يوماً أبوابها لشعوبها وسمح لها القول والعمل والتنقل والتملك ترى ماذا ترى وماذا تسمع، ومثلها الرأسمالية وهل ترى غير نشر الفساد والفتن والجور والمحن .

ولو قام اليوم الموعود عند أهل الأديان السماوية يوم القيامة، يوم الحساب، اليوم الذي يجازي على الخير والشر أمام الرَّب، الواقف على الصدق والحقيقة فماذا يقول الشيوعيون عن الشيوعية الذين ضيقوا الخناق على خلق الله، أو جيء بالجبهة الغربية وزعماء الدول الرأسمالية من سياسيين وزعماء وشركات المخدرات، وشركات الترست المستوردة الذهب الأسود، وشركات الترست المصدرة الأسلحة المدمرة، والعصابات المدمرة والباعثة على الفتن والحروب والعصابات المؤسسة للرجال الدكتاتوريين للزعامات المصطنعة القائمة على القتل والإرهاب والفتك بشعوبها لصالح المستعمرين . ترى إن جيء بأرباب الدعاية من النشر والقول وأولئك الذين

صيروا الحق باطلاً والباطل حقاً وكل مدلس ومنافق وظالم وحانق ، وجيء بالأبرياء المقتولين والمعذبين والمسلوبة أموالهم وحقوقهم وحرياتهم المادية والمعنوية ، وجيء بزعماء استبدوا فأجحفوا وتمادوا بالطغيان إشباعاً لأهوائهم وأذنابهم وأعوانهم ومحاموهم ، وجيء برجال الفكر والحكمة والرأي الذين ذهبت صرخاتهم هباء بل خنقوا أصواتهم وعذبوهم وشردوهم شر تعذيب وتشريد ، وربما عجز الظلم عن وصف ما جناه البشر على البشر عامداً مع سبق الإصرار وتمادي في الشر والرذيلة .

ترى لو قامت محاكم العدل والقصاص الإلهي الواقف على السراء والضراء كيف تكون الولولة والهمهمة من طغاة نادمين أذلاء شهدت عليهم أعضاؤهم. وأزكياء أجلاء حسنت سيرتهم، ترى هل خلق العالم عبثاً؟ وجاءت هذه العقول والخلقة المتناسقة صدفةً وتزول كحبابةٍ ، ويتساوى الصالح والطالح نهاية المطاف ، والظالم والمظلوم دون حساب ولا كتاب ، ولا ينكر أن هناك رأيين : رأي ملحد ينكر الله الخالق ، ورأي يقول بالخلقة الكونية بما تحويه من حيوان ونبات وجماد ، إنما هي من خلقة رب أبدي أزلي يحمل كل صفات الكمال خلق وأبدع وكوّن وقادر مهيمن لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يغادر صغيرة أو كبيرة إلاّ أحصاها ، ويجازي على الحسنة والسيئة فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ومن صفات كماله العدل ومن عدالته القصاص في الدنيا والآخرة ، وهو الذي أنشأ النشأة الأولى سينشىء النشأة الآخرة ويحيي الموتى ويجمعهم ليوم القيامة ويحاسبهم ويقاصصهم .

تلك نبذة مختصرة ، ونحن نسأل العقلاء بما يحكمون به وأي النظريات أحق أن تتبع منطقاً لسببين .

السبب الأول : أي النظريتين أقرب وأجل للذوق العقلي وأقرب للفهم وأقر للقلب .

السبب الثاني : أي النظريتين أنفع حالاً ومآلاً لنا نحن البشر ،

ونحن إذ نعمل ما نعمل في دولة ذات حكومة منتظمة ذات قوانين وأنظمة كيف نراعي قوانينها وأنظمتها في سلوكنا ونبتعد عن جميع المجالات التي فيها مؤاخذة ومسؤولية خلاف أو جنحة أو جناية كما نراعي المسؤوليات الاجتماعية في ماله مراقبةٌ وتماس اجتماعي بين الناس ونحذر أن لا تؤاخذ عليها ، ومتى أحس الكثير بعدم المراقبة والعيون ربما لم يقيد نفسه بالقانونين الدولي أو الاجتماعي وعمل ما يشعر بأنه أنفع له في الحال أو المآل وقد يكون ذلك مضراً له في الحال أو المآل أو مضراً بغيره أو الاجتماع وربما أدى به للقيام بتلك المخالفة لشعوره لمصلحة أو لذة آنية أو في المآل وانه أضر بالجامعة أو أفراد آخرين ، ومتى كان يشعر بالمراقبة والجزاء المسلم فهيهات اتيانه تلك الخطيئة إلاَّ إذا أجبر عليها أو فقد قسماً من مشاعره أو إرادته أو اشتبه وأخطأ .

وعلى هذا الأساس ان العقيدة وان الدين الذي يؤمن به من يؤمن بالله وهيمنته ، وقدرته وعدله وقصاصه ، وانه يعلم السر وأخفى ، وأنه أقرب للإنسان من حبل الوريد ، هذا الإيمان وهذا الدين الذي يأمر بالعدل والرحمة والبر والإحسان، والإيثار والعفو والأخلاق الفاضلة، وعدم الاعتداء على النفس والغير ويأمرنا بالفضيلة ويجازي عليها بالحسنة عشرة أمثالها وينهى عن السيئة ويقاصص عليها ولا يمكن أبداً أن تخفى عليه نية أو قول أو عمل . فأي رقيب وحارس هذا للفرد من وقوعه في الخطيئة ، نعم إن الإيمان الواقعي في هذا الدين من أهم الواجبات الاجتماعية ، والخلق السامي وخير حافز لمنع المساوىء والامتناع عن الخطايا ، إن هذا الدين وهذه العقيدة يجب أن يعتنقها البشر ويكونوا تحت لواء عقيدة واحدة تؤلف بينهم في السراء والضراء ، وتجلب لهم السلام والسلامة ، وتكون خير عون لجمع البشرية تحت لواء واحد ، ومن حسن الحظ أن هذا الدين هو دين أبينا آدم ، ورسلنا الداعين إليه من نوح وإبراهيم وكل الأنبياء المرسلين من سلالة سيدنا إبراهيم عليه وعليهم السلام والصلاة ، وترى في التوراة دعوات من الله على لسان موسى كليم الله ، والأناجيل من سيدنا عيسى روح الله وما أمر به ودعا إليه من أرقى العواطف والأخلاق الكريمة لجمع البشر إلى

السعادة ، وخاتمها القرآن المؤمن بما دعا إليه الأنبياء قبله ، وقوله في القرآن المجيد حين يخاطب به أهل الكتاب :

﴿ قل تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ .

وكيف دعا للوحدة وتأليف الكلمة بقوله : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم ﴾ .

وما جاء بخلقة الله وعظمته في الكتب السماوية وما جاءت في الكتب السماوية من التوراة والإنجيل والقرآن من أحسن البضائع والمسيرة الحسنة والمعاملة الفذة ، وهذا الدين يمتاز حقاً عن العقائد والأديان المنتشرة بين البشر والتي سببت التشتت والتفرقة والمخاصمات والتباين بينها وازاء المستعمرين الماديين في الطنبور نعمة واتخذوا الأديان وسيلة لبث الفرقة والفتن بينها لتضعيفهم والتغلب عليهم واستغلالهم لمقاصدهم ومنافعهم الخاصة ، بيد الدين المار ودين إبراهيم الخليل وأحفاده ، وهو دين الفطرة والطبيعة ودين الإلفة والمحبة والرحمة لتعميم السعادة بين البشر حيث لا يفرق بين مختلف البشر إذ ينسبهم لأب وأم فهم إخوة ﴿ وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فالأتقى هو الذي يتقي الله في حلاله وحرامه وأوامره ونواهيه وما أحلى سورة الحجرات في القرآن الكريم في جميع آياته أخص الآيات ١١ و١٢ و١٣ ، وفي الأخيرة حين يقول : ﴿ يا أيُّها النّاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم والله عليم خبير ﴾ ، فالناس أخوة وفي الحديث النبوي : يُلزم الفرد أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها .

وقول الإمام علي في عهده لمالك الأشتر حين يوصيه بالرعية في قوله : (والناس إما أخ لك في الدين أو شبيه لك في الخلق) .

والحديث النبوي المأثور لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله في

المسلم قوله : المسلم من سَلِمَ النَّاس من يده ولسانه ، وقوله : الدين المعاملة ، وفي أخرى الدين الأخلاق ، وقوله من لا عقل له لا دين له .
وترى في القانون الأساسي للحكومة العالمية المثلى لموسوعتنا وهو « الكتاب الثالث» الأسس الاجتماعية الراقية تلك التي جاء بها الدين لسعادة ورفاه البشر فالدين والعقيدة والإيمان بالله ورسله وكتبه ، وعدالته ويوم القيامة من أبدع وأروع الأسس لبناء الحكومة العالمية المثلى وأسس الوحدة البشرية والعدالة الاجتماعية ، وبالتالي السعادة والسلام والإلفة والمحبة . والعلم والأخلاق الكريمة والعقل السليم من أهم الأسس لاعتناق الدين المؤدي للفضيلة وبناء المجتمع السعيد .

ولا يشك بصير أننا بحاجة إلى انقلاب واقعي يخلصنا من الرأسمالية وافراطها ، بخروجها عن حدود الاعتدال إلى طريق موحش مقلق ومؤلم وموهن للبشرية ، بإطلاق الحريات وتسلّط الأقليات الطاغية لبث مقاصدها المجحفة بالكيد والخداع والإرهاب والإرعاب وجرها للمفاسد المادية والمعنوية .

ويخلصنا من النظريات الشيوعية تلك التي أصبحت كابوسا جاثماً على الأجسام والأرواح وباسم الخير تمثل الشر كله وباسم الإصلاح وإعادة الحقوق المسلوبة للأكثرية العاملة كانت السالبة الآثمة المرهقة والظالمة الجائرة المجحفة ، قيدت الأفراد والشعوب وعممت الرعب والإرهاب ونشرت بذور الفساد والفتن بدعاوى كاذبة ووعود باطلة[1] .

إننا بحاجة لإنقلاب يخلصنا من تلك النظريات الفاشلة ، والعود إلى أحضان الطبيعة وما تحمله من حريات وافرة حقيقية ، ونواميس فطرية

---

(١) أخرجت الاحصائيات كما ذكره المردوري أبو الرسل في أسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة ومعضلات الاقتصاد وحلها في الاسلام ص ٧٢ ، انه كان من نتيجة العنف الارهابي في مبدأ الشيوعية الروسية قتل ١٩ مليون في روسيا لتثبيت الشيوعية في الأيام الأولى والحكم على مليوني نسمة بعقوبات فادحة مختلفة ونفي من الناس نحو ٤ـ ٥ ملايين وألحق بها إلى اليوم أعظم وأعظم .



إننا بحاجـة لانقلاب يضـع رقابـة الله وحسابـه دوماً ودومـاً نصب أعيننا تلك الرقابة التي يلتزم بها العلماء المؤمنـون والخلص المتقون ورعـاية الحق والعدالة المقرونة بالعفو والبر والإحسان لنقلب السيئـة حسنة والكـراهية وداداً والتشتت والفرقة وحدة ومعاضدة ، والضمير والوجدان حكماً وعندهـا السلام والوئام والهناء والسعادة وبلوغ الحقيقة .

وأمـا ما تـوحدت عقـائدنـا وإيماننـا خالصـه نزيهـه للاتجـاه إلى الخير والابتعـاد عن الشر ومـا يضم ذلك من محـاسن واجتمعت الكلمة وتـوحـدت الأغراض واتبعنا السبيـل السوي الخـالي من الإهمال أو الخـروج العادي من الافـراط والاثباط ، تخلصنـا من مغريـات الغرب وإجحـافه ومثبـطات الشرق وأعرافه وأهدافه وكان قصدنا وعقيدتنـا وتفاهمنـا وأنظمتنـا ومفاهيمنـا وسلوكنا ونظرتنا للحياة واحدة واحدة لا سواها .

فليس بعدها أنانيات فـردية أو قبليـة أو طائفيـة أو عنصريـة أو لغويـة أو لـونيـة ذاك ويجمعنـا أب وأم وحس وشعـور لنفس الاحتياجـات من ضروريـة وغير ضرورية في الحال والمال والكل يشملنا حياة وممات ومآل متسـاوية قـد تساوينا بالسمع والبصر والذوق والحر والبرد والميول والغرائـز والأهداف، إذا دققنا في الاختلافات الفردية والجماعية في هذه الحياة ما كانت سوى اختلافهم عن هـذه العقيـدة المـوحـدة الـراميـة إلى الانخـراط إلى سمـو المعنى في اتبـاع الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة والاطاعة الخالصة لله الـواقف على أدق الغوايـا والأقـوال والأفعال والعـدل المقـاصص عليهـا، وانـه ينـطبق على البشـر في المخلفات والموافقات الآية القـرآنية: **﴿الأخـلاء يومئـذٍ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقـين ﴾** لأن المتقين بهدفهم الأسمى الواحد كلهم يرمون لإطـاعة الله في أوامره ونواهيه وان هذه الأوامر والنواهي القـائمة على نـواميس فطريـة طبيعية إنما يراد بها رفاه وخير البشر وسعادته فـالعلماء الأتقيـاء متحدون في العقيـدة والمبادىء فلا خـلاف بينهم وإنما الخـلاف في المنحرفين عن تلك الأصـول وهي اتبـاع نظريـات خاطئـة وقوانين وأنـظمة مـوضوعيـة وضعها المغـرضـون

لأغراض خاصة أو اعتبارات خاطئة لا تتفق مع المبادىء والنواميس الإلّهية الفطرية المنطقية والأخلاقية الكريمة ، فيتفق العلماء الأتقياء ويبقون متحدين وأخلاء صادقين وينحرف عنهم أولئك الأخلاء المغرضين أو الجهلاء الضالين أو المنافقين الذين يشوهون الحقائق ويضعون الحق مكان الباطل والباطل مكان الحق بعلم أو جهل بُغية تحقيق غاياتهم أو غايات من استحوذ عليهم بعيداً عن الحق والعدالة وبعيداً عن الإيمان بمبدأ الحق وبعيداً عن رقابة الله وطاعته وبعيداً عن مبادىء الضمير والوجدان والعقل السليم .

لعمري إن التعاسة التي يجنيها البشر على نفسه إنما هي ابتعاده عن الإيمان بوجود خالق مهيمن قدير محاسب ومراقب للصغيرة والكبيرة، والعبث بنفسه وغيره ، دون حذر وخوف، هذا الإنسان الذي لم يتعظ بالماضي والحاضر ولم يرعوي بالتجارب ويتبع ميوله وهواه الطائش دون وعي وحساب فيسلك السبل العاثرة الوعرة ودونه سبل الخير والرشاد هذا الإنسان المتطبع منذ العصور المتطاولة على ذلك السلوك والمعتاد على ما هو عليه اليوم والذي تلعب به ميوله وهواه وغرائزه الجامحة، هذا الإنسان الذي يقف أمام تلك الغرائز في أهوائه رغم تأنيب الضمير والوجدان مخالفاً توجهات العقل والخروج من دائرة الاعتدال ومناهج الحق والعدالة .

هذا الإنسان بحاجة ماسة لانقلاب من لدن فرد أو جهة توجهه بقدرة خاصة إرهاباً أو ترغيباً وتطميعاً، إلى النهج السالم النزيه بقيادة حكيمة من ذوي الأخلاق والاجتماع وتوجيههم وقاية وعلاجاً ودّعمهم إلى سبل الإصلاح ومعاهد التربية الصالحة وإبعادهم من المجتمع حذر افساده حتى يتم شفاؤهم أو تركهم في معاهد أو مستشفيات لكف وصد عادياتهم وتحسين سيرتهم تحسيناً يؤمن شرهم وعدوانهم أماناً قاطعاً ، ثم إدماجهم في جماعات بلغوا أوج الكمال لتعديل ما اعوج منهم ، هذا إلى سد حوائجهم إذ الحاجة أم الاختراع سواء للخير أم الشر ، وبعدها مراقبتهم مراقبة دقيقة حفظاً لهم وللمجتمع النامين فيه ، وقاية من الذلة والعثرة والعودة إلى المرض الخلقي

والانقياد مرة أخرى للانحدار إلى هوات الفساد ، هذه المراقبة ضرورية بصورة دائمة طالما للغرائز والأهواء سلطان دائم على بني الإنسان ، عصمة له بالتوجيه والنصيحة والإرشاد الذاتي بالتهذيب النفسي من كل سبل التربية المدرسية والاجتماعية والنوادي والاجتماعات الصالحة ومطالعة الكتب المهذبة ، والمحيط السالم بعيداً عن بؤرات الفساد على اختلافها الجنسي والاقتصادي والسياسي ، والأهواء والميول ، وحذار استحواذ الغرائز على سلامة العقل وحكمة النفس والإرادة المنبعثة من العلم والحكمة والتقوى برقابة حكيمة دقيقة مستمرة.

جمهورية أفلاطون :

تلك التي قدمتها وهي التي أشغلت بال أفلاطون لتنزيه جمهوريته وسلامتها واستمرار دولته القائمة تحت قيادة الفلاسفة في مسيرة سالمة ، وفي مأمن من الطغاة الانتهازيين أو العسكريين المحافظين على الأمن الداخلي والخارجي ، وجعل الشعب في وعي دائم دفاعاً عن انقلاب يعود به إلى الفساد ويهدم ما بناه ، والعود القهقرى ، لذا وجب السهر على الإيمان العام والاعتدال في المتعة واللذة وعدم الخروج عن هذا الاعتدال من استباحات اقتصادية وجشع وحرص فيها ، والاستهتار والاستباحات الجنسية والخروج عن الاعتدال في غريزة حب النفس وحب المال وحب السيطرة والظهور من طرق تؤدي بالانتهازيين للانقلاب والإيقاع بالغفل ، والحذر كل الحذر من أمثال هذه الغرائز والطمع والتطميع والشره ، والتجرىء على حق من حقوق الآخرين أو حق عام ، تلك يجب أن تراعي بأصول علمية وقائية وبدقة وسهر دائم والحذر كل الحذر من الخدعة والمكيدة التي قد يدبرها ذوي النفوس المنجرفة والمنافقة من تضعيف حكومة العدل والإطاحة بهما وعودها للشرور والاجحاف .

وبعد وضع أفلاطون أسس جمهوريته كان حريصاً كل الحرص على قيام تلك الجهمورية التي بنى أساسها على المباني العلمية الدقيقة وجعل الفلاسفة ركنها الركين لإدارتها وحيث كان واثقاً أن هناك عوامل ربما تطيح

بهذه الجمهورية أو تزلها عن مقاصدها ، احدها الجانب الاقتصادي والثاني العامل الجنسي وهما العاملان الأساسيان ، لذا بحث في التجارة الخارجية وأثرها على الأوضاع السياسية ومن جهة أخرى أراد إشباع أمراء وحكام جمهوريته من الجهتين الاقتصادية والجنسية لتفرغهم بالتفكير إلى العدالة الاجتماعية وإشباع ميولهم من الناحية الاقتصادية بتسديد إحتياجاتهم المادية من بيت المال . كما وضع بينهم المراكز الجنسية بشكل مشاع لسد هذه الرغبة وبنظره أنه سد باب التفكير والانشغال النفسي في هاتين الغريزتين اللتين قد تخلان بآرائهم وتشغلانها عن ضروريات الإدارة العامة. وكان فكره مضطرباً من غريزة حب الظهور وحب السلطة وخشية الانتهازيين الطامحين المندفعين بحكم تلك الغريزة التي قد تتغلب على عقولهم وحكمتهم، أخص منهم أمراء الشرطة والدرك والجيش أو أولئك الذين بإمكانهم استغلال العامة الجاهلة وإثارة ميولهم وأهوائهم وآرائهم تطميعاً أو ترهيباً للانقياد والثورة على أسيادهم وهو يرى أن الأكثرية العامة الجاهلة إذا استطاع الانتهازي الخطيب ، أو القائد المخادع من تحريك ميولهم وغرائزهم وأهوائهم للإغراء لإثارتها، واستطاع من هياجهم واندفاعهم، فمن العسير عندها إقناعهم وهم في حالة الهياج للإصغاء إلى المعقول والخضوع لأنه يرى إذا ثار الرعاع تحطمت أمامهم موازين العدالة وذهبت نصائح الحكماء وإرشاداتهم هدراً ، لذا كان يرى الأجدر له من تدبير نفسي للحد من هذا القيام بقناعة نفسية واقية وبعث عقائد في نفوسهم تكون تحذيراً لمثل هذا القيام ، وحتى لو كان ذلك العامل النفسي خرافياً ، وربما لم يخلد بفكره . نتائج الإيمان بالله ورسله وكتبه وأوامره ونواهيه بالطاعة لله ورسوله وأولي الأمر وأمثال هذه الأوامر والنواهي الواردة في التوراة والإنجيل وأخص القرآن ، ونسي دعوتهم لوحدة الخالق وهيمنته وحسابه ورقابته حول تلك الاطاعة في سلوك الفضيلة ونواهيه في الابتعاد عن الرذيلة والطيش ، وكيف جعل الكتاب والسنة مرشدين قائمين على تهذيب النفس ، وكيف أمر بالصلة الدائمة بين البشر وربه بالدعاء والصلاة اليومية ليغفر له زلاته ويهديه على سبل الخير وكسب مرضاته ، وحثه على الاجتماع في المساجد ومعاهد

الدين ، ينتقي الإرشاد وتعاوده نفسه أفكار الحكمة الإلّهية وعدم الخروج والجنوح للشغب ومتابعة الهوى .

كل هذه الزلات والانحرافات يمنعها الدين القويم ويأباها المؤمنون المتقون العالمون حقاً بأصول الدين والحكم الإلّهي وقوانينه الفطرية ، تلك التي لو ملكت النفوس والعقول لما انصاعت لنظريات باطلة من النظريات الرأسمالية الجامحة والغاصبة للحقوق الفردية والجماعية باسم الحرية ، والنظريات الغاصبة للحقوق والحريات الفردية والجماعية باسم استعادة الحقوق وهي ألد الغاصبين لها .

هذه الشيوعية التي قامت بأيدٍ انتهازية وعلى أسس هياج العامة الأكثرية الجاهلة ، كيف أودت بالمؤمنين وأجحفت وظلت مظالمها لا تنفك تترى وتعبث وما تركت حقاً ولا حرية إلّا سلبته ، تلك التي كان يخشاها أفلاطون على جمهوريته وتلك التي أنكرت قدرة الله وقوانينه الفطرية في عباده وتناهت في إنكار الله وقدرته وأنكرت على المؤمنين الموقنين بالله سلوكهم الطبيعي المنطقي .

الشيوعية تخالف نظريتها : قامت النظرية الشيوعية من لدن كتاب ، مثل ماركس ذلك الذي كان في بلاد رأسمالية صناعية وطغت فيها أقليات من الشركات الصناعية حيث حلت محل الأيدي العاملة وأجحفت بحقوق الأيادي العاملة واستغلتهم والمستهلكين في مجال صناعاتها ولم تقدم للعامل نتاج عمله العادل واستحوذت على أكثرية ما حصل من نتاج بكدهم وجهدهم ، مما أهاب ببعض الكُتّاب الاقتصاديين الاجتماعيين بوضع نظريات بقصد وضع حد لهذا السلب ، وغصب حقوق العمال والكادحين في مجال الصناعات الضخمة الحالة محل الأيادي الفردية ، وقد استغل هذه النظريات انتهازيون باسم إعادة حق وشرف العامل المحروم المسلوب حقه وحريته ، دعا إلى قيام حكومة شيوعية تحقق رغبات الأفراد والشعوب في المجال الصناعي والزراعي .

وعوض أن تقام في شعوب رأسمالية فقدت ذلك الحق تلك المهضومة المسلوبة مثل انكلترا وألمانيا وفرنسا وأمريكا قامت بها عصابات يرئسها انتهازيون طغاة يشعرون بالحرمان تحت نفوذ سلاطين مستبدين مثل قيصر روسيا ، وفي عهد اختلت فيه الموازين وانتشرت دعوات المصلحين لإنهاء الاستبداد فهبت هذه العصابات وعلى رأسها أمثال لينين المطارد والمتمرد على الدولة وفي خلال الحرب العالمية الأولى التي دكّت بكثير من العروش وامتدت الفتن للاطاحة بالامبراطورية الروسية المنافسة في المجال الاستعماري للدول الاستعمارية مثل انكلترا وفرنسا وألمانيا ، الدول الصناعية المنافسة لانكلترا في مجالاتها السياسية ، وفي هذه الحرب العالمية وجد لينين وعصبته الظروف السائغة للإطاحة بالامبراطورية الروسية وإقامة دولة تطالب بالحقوق المهضومة من قبل البلاط ، تلك حقوق الشعب وتخليصه من هذه الزمرة الحاكمة الغاصبة الجائرة ، وإقامة دولة تعطي للأكثرية العاملة العامة ما أضاعوه من حق مادي ومعنوي ، وإذا بهذه العصبية تزج بالأمة جمعاء في سجن جديد ، مغلق تحبس به أنفاسها وأبدانها وتضيّق عليها خناق العمل ، إلاّ ما ترتئيه هي وتعطيه من نتاج عمله ما يدر منه بالكاد وتمنعه من اختيار نوع العمل وكميته أو الاعتراض أو الامتناع أو النقل والانتقال ، والكتابة والنشر ، وتمنعه من حرية التملك ، زمرة تضع يدها على كافة الموارد الطبيعية والصناعية والتجارية والحرف والمكاسب ، وتتملك كل شيء وكل قدرة باسم الدولة . وإذا أراد الشعب الاعتراض فلم يجد سوى الفتك الذريع كما مر وأُعيد قهراً إلى الهزيمة بعد قتل ١٩ مليون نسمة وزج أكثر من مليونين في السجون مع تعذيب و٤ ـ ٥ ملايين منفيين حتى جاءت الحرب العالمية الثانية وكاد الشعب أن يتخلص حتى عاد استالين ذلك الطاغية وأقام المذابح والتنكيل بالمخالفين وأغلق الباب الحديدي على الشعب المقهور وهو محروم من أية حرية وحتى الخروج من النطاق الحديدي إلى بلاد الله ، وهكذا كانت الأكثرية الجاهلية بنظر أفلاطون هي علة العلل لإقامة مثل هذه الحكومات الدكتاتورية بيد الانتهازيين الملحدين .

واليوم أشد العصور وعياً وعذاباً للواعين أخص في بلاد شرقية لا تسمح بأية نوع من الحريات أخص منها حق إبداء الرأي والنشر وحتى الاستغاثة وحتى الهروب والفرار ، في هذا اليوم الذي تقاربت فيه وسائل السمع والبصر والنشر والدعاية والراديو والتلفزيون ، وسرعة الحركة في الأرض والماء والسماء وتطورت وسائل الدفاع والهجوم هذا اليوم قامت جبهات ثلاث على وجه الأرض الجبهة الغربية الجامعة للدول الرأسمالية الشرقية الجامعة للدول الشيوعية ، وجبهة ثالثة هي المحايدة عن الشرقية والغربية، والجميع يحسون بعد أن تمادت الجبهتان الأوليان في الحرب الباردة وتسابقوا في تهيئة أشد الأسلحة الذرية وغير الذرية المبيدة المفنية لا للمتخاصمين ان انبثقت شرارتها من أي صوب ، فهي لا تبقي ولا تذر حياً من الجبهتين ، بل القضاء المبرم على كل جسم حي من إنسان وحيوان ونبات ، هذا الخطر المحدق اليوم هو أهم الدواعي للتقارب ورفع الخصومة والوفاق وقطع دابر الحروب ، دابر العداء والنزاع وإقامة كل واقع وأسس السلام والوئام والتقارب ، بل لا يمكن ذلك حتى الانتهاء جميعاً إلى دولة عالمية واحدة ذات مصالح مشتركة متعاونة عادلة ذات حقوق فردية وجماعية متساوية تشملها جميعاً قوانين ثابتة طبيعية وفطرية منطقية وأخلاقية تقام على أسس العدالة الاجتماعية تحت إدارة سلطة من خيرة الخبراء في أي مجال من مجالات الحياة ذات هدف وسلوك متحد .

المقالة الخامسة عشرة

كيف يكون الانقلاب لتوحيد السلطة في العالم ؟

إنه الحل الوحيد لوقف الصراع وإقامة السلام في العالم ، بعد أن ثبت لكافة الأطراف أن الخصام نتيجته كما نرى، بذل الجهود دوماً لكشف أسلحة مدمرة لا ينجو من خطرها أي فرد من البشر فيكون منتصراً ، والخير كله الذي يحس به الأطراف وهو وقف هذا الصراع ، وما يبذل فيه من نفقات باهظة تكفي لإصلاح وإسعاد العالم والبشرية ، بل توجيه كل تلك الجهود للتعمير عوض التدمير والتخريب ، والتقارب عوض التباعد ، والمحبة والألفة عوض العداء والتشتت ، وإقامة أصول العدالة الاجتماعية والمساواة بين الأفراد والجماعات ، عوض هضم حقوقهم وإرغامهم على المسالك المشينة ، إن هذا الحس عام وشامل لكافة الجبهات وأخص منهم الخبراء والعلماء والأمراء ، فما هو الداعي للاستمرار في الغي والخصام ، وهل هو جهلٌ ورعونة ، وسوء ظن كل جبهة بالأخرى ، أم هناك أمور أخرى يلزم حلها وكيف السبيل القاطع لحل هذه المعضلة قبل فوات الأوان .

١) هل هناك إمكان حل اختياري يصممه الأطراف ، بأيدٍ مصلحة يحترمها الجانبان ويثقان بحكميتها؟ .

٢) أم لا حل إلاّ بالقوة وقيام جبهة ثالثة تتغلب علمياً واجتماعياً وسياسياً ، قوة متنفذة قهراً ، قوة خارقة مثل تلك التي تنبأ بها المرسلون السابقون المار ذكرهم ، وبشارتهم بقيام دولة الحق بقيادة مصلح يملأ

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وقد مرّ ذكرهم في مقالاتنا السابقة . .

أعود لشرح وتفصيل كل منها :

١) قيام الحكومة العالمية الواحدة بحل يتفق عليه الأطراف بعد الجنوح إلى الأمر الواقع الذي لا مناص منه ولا مفر إلاّ اللجوء إليه وهنا يقوم بعدة عوامل :

أ) قيام دول محترمة كبرى ينتمون إلى عالم محايد لها مقامها ووزنها المحتوم من الجبهتين الشرقية والغربية ، ومعروفة بالمنطق السليم والحكم الديمقراطي السليم مثل الدولة الصينية وإن كانت شيوعية بيد هي الوحيدة من الدول الشيوعية التي خدمت شعبها الممزق وجمعته تحت لواء واحد وخدمته خدمات اقتصادية وسياسية واجتماعية كبيرة ، وألفت بين أطرافه وكونت منه دولة محترمة ذات كيان : هذه الدولة امتازت بعدم تجاوزاتها الاستعمارية ، وبعدم بث الفتن والفساد والظلم والتعدي والتجاوز على غيرها لذا هي دولة محترمة غير متجاوزة ، خادمة خدمة صحيحة لشعبها الكبير وحافظة لحقوقه ولم تقم بما تستنفر منه الشعوب الأخرى من الدول الغربية الرأسمالية أو الشرقية الشيوعية . ويلي الصين الهند وهي الأخرى رغم تشتت شعبها وتفرقه إلى مذاهب وأديان ، ورغم ما أدت هذه العقائد المتشاكسة إلى تضعيف الكلمة وتضعيف السياسة والاقتصاد بيد تسودها حكومة أقرب للديمقراطية والسلوك العادل ، هذا السلوك الذي جعلها محل الاحترام بنظر العالم مضافاً إلى ما تضمه من العدد الهائل من النفوس والأرض وما تحويه من خبراء وعلماء والمزايا الأخرى مثل الصين لها وزنها واحترامها في العالم أجمع . وهناك دول أثبتت وزنها المنطقي والسياسي أمام العالم كله بالسلوك السياسي السوي وما لها ذات وزن سياسي وضبط في شعوبها مثل الدولة السويسرية الصغيرة والدولة السويدية وأمثالها . ونكتفي بذكر هذه وإن كانت هناك دول صغيرة ومتوسطة أخرى أعرض عن ذكرها لبعض نقط الضعف التي قد ينسب لها وتذبذبها قهراً سياسياً واقتصادياً لإحدى الجبهتين رغم سلوكها

الديمقراطي في الداخل والخارج أمثال استراليا وكندا والبرازيل والأرجنتين واضرابها . .

وحيث الكلام صفة المتكلم والعمل صفة العامل فربما تقدمت دول من الكتلة الرأسمالية لها مقامها العلمي والسياسي والاقتصادي الممتاز مثل انكلترا وهي الأم المكونة لدول الكمنولث وزعيمتها السياسية المحنكة والتي هي في أشد نقاط الخطر وكما قال ابنها البار راسل وتنبأ بتدميرها ومحوها من الوجود إذا قامت الحرب الثالثة . وفرنسا أو ألمانيا وأحزابها أو دول شرقية هي الأخرى ممتازة بتقدمها العلمي والصناعي والاجتماعي مثل جكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية ورومانيا ، ويجدُّ الكل للوساطة ولمحض الخدمة البشرية وطالما الأخرى معرضة لخطر المدمرات إن قامت حرب وجدت بالوساطة للوفاق وإقناع القطبين العملاقين أمريكا وروسيا على وضع أساسي يجمع ويوفق بينهما ويقر بهما لتشكيل دولة فدرالية موحدة ، وإن كان لهما عقائد مختلفة فيمكن تقريب هذه العقائد على الشكل الآتي . فالشيوعية مثلاً إنما تحارب خصمها خشية أن ينتصر هذا الخصم عليها ولكنها في الحرب المقبلة لا يوجد منتصر والخصمان يعودان مدمرين، مدحورين، ذليلين وهذا أقل ما يمكن أن ينتج عنها إن لم نقل إن كلاهما يمحيان من الوجود وإن بقي لهما أثر فالعود القهقري للجهل وحياة أرقى ، مما كان الإنسان في الدور الحجري المسلوب العاري الفاقد لوسائل الدفاع أمام عوارض الطبيعة ، والشيوعية قسمت حياتها إلى أدوار ، فهي اليوم تقدم للفرد على قدر إنتاجه وهي في الحقيقة لا تعطيه إلاّ القليل من الإنتاج وتستغل الأكثر للإنتاج الحربي في دفاع وهجوم والنفقات الباهظة في هذا السبيل فإذا اطمأنت من الخصم وسطوته سوف يكون الانفاق كله لسادة شعوبها، وسيكون الضمان الاجتماعي مضموناً عوض إعطاء كل فرد على قدر ناتجه إلى الضمان الاجتماعي والدور النهائي الصالح الذي تحكم به الشيوعية ولمّا تقرره وهو إعطاء كل فرد ما يحتاجه وتوزيع الناتج الفائض للرفاه العام والإصلاح العلمي والمراحل الصناعية والزراعية والصحية والتربوية وغيرها . وتعود

الحريات المسلوبة للافراد والمجتمعات وتعود العدالة الاجتماعية ظاهرة متجلية .

أما الدول الرأسمالية فهي الأخرى التي تزداد نفقاتها الدفاعية والهجومية سنة بعد سنة ، والقائمة على رقابتها الشيوعية في نطاق الأسلحة الدفاعية والهجومية وما تبذله في هذا السبيل في المجالات الحربية ، وقيام شركات الترست والأحزاب والعصابات المتآمرة للحصول على أعظم الأرباح من أي طرف اقتصادي وسياسي مهما حصل فيه حيف وهضم للحقوق الداخلية والخارجية ، ومن دونهم الانتهازيون والاستغلاليون . هذه الدول الرأسمالية الغنية فهي أحرى بها العود إلى بذل نفقات الهجوم والدفاع وما يبذل على التجنيد في جميع المراحل والمقاصد من تعريض هذه النفقات للرفاه العام ، وما يبذله كل خصم للوقيعة بخصمه من التدميرات الخلقية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، كلها ستبطل ويكون السير كله لهدف واحد وهو النفع الفردي والاجتماعي العام دون محاباة واجحاف ، بل على أصل تعاوني وخدمة تعاونية ، وبالنتيجة بلوغ السلام والسلامة والسعادة العامة والحب والخدمة والإلفة والوحدة ونشر الأخوة والصفاء .

أعود للقول إذا قامت الحرب بين الجبهتين الغربية والشرقية ، وحسب تنبؤ الخبراء العسكريين ، وقد مرّ ذكر ذلك وهو الخبير العسكري الأمريكي المار ذكره حين سئل قبل أكثر من عشرين سنة من هذا التاريخ ، والسؤال كان من رجال الكنكرس الأمريكي بهذه الصيغة : ما رأيك لو كانت هبوب الرياح شرقية وغافلنا روسيا بحرب الصاعقة الذرية ، كم يكون بنظرك القتلى من الجانبين؟ والإجابة كانت ذلك اليوم الذي لم تتطور فيها الأسلحة الذرية ، كما هي اليوم ، ولا بلغت أنواعها وكمياتها الهائلة على ما هي عليه اليوم ، وقد كان جوابه مدهشاً حقاً حيث لخّص قوله وأجاب مائتي مليون قتيل روسي و١٦٠ مليون قتيل من الولايات المتحدة وأوروبا بكاملها .

ترى أي خطر يهدد أوروبا ، أوروبا هذه أم الحضارة والثقافة والمدنية تمحى عن بكرة أبيها بما فيها من علماء ومثقفين وصناع ومكتشفين ، أوروبا

بكاملها الشاملة لانكلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا والنمسا وغيرها من الدول الغربية ومثلها الدول الأوروبية الشرقية ويدرس أثرها ويضيق وإذا كانت الريح شرقية فسوف تحمل البلاء لليابان والفيليبين وغيرها . .

أقول : والصين وكل دولة أخرى تحمل الرياح لها الذرات السمية القاتلة . .

فهلا يجدر بأوروبا ودولها العريقة العظمى حرصاً على بقائها ، أن تكون حاملة هذا المشعل الأول للسلام ، والطالبة لإقامة الدولة العالمية المثلى؟ وتكوّن كلها دولاً فدرالية ذات مصالح متعاونة ومشاركة فيها وبناء نظام جديد غير النظام الفعلي القائم بقوانينه وأسسه ومصالحه . نظام تربوي أخلاقي طبيعي يحفظ لجميع أفراد الأرض حقوقاً متساوية بالانخراط والدخول في موكبها وتعطي كل جهة حقها العادل من احتياجاتها المتكافئة لعملها وخبرتها وجدها ، كخدمة حجيرات وأجهزة البدن الواحد المتعاونة وكل منها تتلقى احتياجاتها في مقر عملها ، وكل منها تخدم الأخرى ويكون رعاية كل جهاز في هذا البدن الإنساني مناسباً لحكم وظيفته ومقامه ، فمثلاً حجيرات الجلد تختلف نوعاً وغذاءً وكفاءة عن حجيرات القلب وهذه عن حجيرات المخ ، وهكذا الأجهزة الأخرى تختلف كل منها أمداً للحياة فحجيرات الجلد قد تموت لأمد قصير بينما تطول أعمار حجيرات القلب والكبد ، وأما حجيرات المخ فهي الدائمة الباقية .ومتى ماتت حجيرات الجلد استعيضت بغيرها ، بيد حجيرات المخ دائمة وما تلف منها خسره الجسم ، وكل منها تأخذ غذاءها المناسب لها ، وإذا كان نوع الغذاء يختلف ونوع العناية لدرجة أهمية حجيرة العضو بيد كل حجيرة في البدن تأخذ حاجتها الضرورية لها ولا تجد حسداً أو عتاباً وازدراءً من هذه لتلك ، وهكذا يجب أن تكون العدالة والمساواة بين البشر بالنسبة لمقامهم وحاجاتهم ، دون أن تكدس جهة موارد الرزق والمنعة لها دون غيرها ، كما تفعله الأقليات الانتهازية والأمراء الغير العدول ، كلاً أصل المساواة وأصل

العدالة يجب رعايتها وما يدخر فهو للجميع على حد سواء ، وما يحمله الدم للبدن ماراً بالأجهزة والحجيرات ، فيأخذ كل حاجته الضرورية وما بقي زائداً يدّخر للجميع ، دون أن يحبى هذا ويحرم ذلك ، فالكل سواء في كل شيء كل حسب حاجته وما يناسبه في مقامه ، هكذا البشر . .

وعلى هذا الأساس تسير الأمور ، وربما كان الخبراء المستشارون والعلماء والحكماء لهم مقام الرأس ، والمهندسون مقام القلب، والكيماويون لهم مقام الكبد ، وهكذا تكون الحاجة والعناية والمساواة قائمة في التوزيع والعناية والحراسة .

وبعد إطلاق الحريات جمعاء من عمل وصناعة وتجارة ودراسة ونشر أفكار ونقل وانتقال وحريات المعاملة والأكل والشرب وغيرها ، سوى ما يعود بالضرر على النفس والنفيس فهي بحاجة لتحديد وشروط على قدر ضررها العام والخاص ومثلها حرية التمتع بالجنس وتحديد التوالد والرعاية الصحية البدنية والعقلية ومكافحة أمراضها ، وفرض حدود لتوزيع العمل والناتج والاستهلاك في مختلف أجزاء الكرة الأرضية بنسبة الحاجة ، وصلاحية المحل واليد العاملة والمناخ ، ومؤهلات الانتاج والتوزيع بشكل يسد حاجة الفرد والجماعة في المنطقة ، ويراعي مصالحه بصورة يكون العيش رغيداً والرفاه عاماً والتربية والتعليم وأصول الصحة متواجدة وعامة والمساواة على وجه البسيطة عادلة ، والوقاية والعلاج يشمل الجميع أينما كانوا ، وأجهزة السمع والبصر والنقل والانتقال شاملة ، وبعد حسن التوزيع لحاجات الأفراد ادخال الفائض للمصلحة العامة ، وبالتالي العمل الجاد لحراسة المجتمع الإنساني تحت رقابة قائمة دائمة صالحة في جميع ما يهم البشر ويوفر له السلام والسلامة والرفاه وحمايته من كل ما يسيء له ويضر به . . .

ولتكن هناك العقيدة والدين الصالح منهاجاً للسلوك السوي مع إعطاء حرية العقيدة والرأي لكل الطبقات شريطة أن لا تضر بالأخرى أو تسيء لها ، وأن تكون المناظرات تحت نظر ورعاية عالمة حكيمة مقبولة من الأطراف ، دون أن تثير كراهية أو عداءً . . .

وممّا لا شك فيه أن الوحدة البشرية القائمة تحت نفوذ حكومة عالمية مثلى ستكون موحدة في لغتها العامة مع إطلاق الحرية لأية لغة اخرى تريد جهة اتقانها وهذا التوحيد يسهل التعليم والتربية والطبع والنشر والاعلام في الصحف وأدوات الدعاية ، وهذا التوحيد في اللغة يسهل التقارب والتفاهم وأن تنتخب أسهل اللغات وأرقها وأشملها ، وأن تكون الميزانية عامة والرخاء يشمل الكل في الحالات الضرورية ، وأن ترفع المحاباة لطرف دون طرف إلاّ في حالة وقاية خاصة أو ترميم أو علاج ، أو ضرورة ومصلحة تهم الجميع ، حكمها حكم المصالح الخاصة والعامة كسيرة الأجهزة والحجيرات في البدن الإنساني ، ونحن في دولتنا العالمية علينا تجهيز هذه الدولة بأجهزة الدفاع تجاه الأعداء والخصوم الداخليين والخارجيين الذين قد يقفون بالمرصاد لمثل تلك الهجمات كالعوارض الغير المترقبة للبدن الإنساني في الداخل أو المكروبية من الخارج . إن ما ذكرته من وسائل للوقاية والعلاج يلزم أن تكون جاهزة في الدولة العالمية لمكافحة الشرور والآفات الداخلية أو مثيلاتها من الخارج .

وختاماً لبحثنا فإن الدولة الموحدة توكل كل عمل لجهة مختصة بذلك العمل ، وأن تكون لها لجان ومراكز اختصاص دوماً وبصورة دائمة تراقب هذا المجتمع الإنساني حفظاً لسلامته وسلامه ، ومن الحزم أن يقف الخبراء والحكماء في كل الدول أخص العربية وأخص منها التي في الجبهة الأولى للخطر ويشد كل من في الجبهتين أياديهم وقلوبهم للتقارب ولا يتركوا الأمور بيد الطائشين الغير المحنكين ولا تترك الفرص تفوتهم بعد أن وثقوا من الحقائق المصيرية وقبل فوات الفرص السانحة .

والنتيجة في آخر المطاف ، بلوغ الحريات والأهداف الماديّة والمعنوية ، والسلام والسلامة تحت لواء حكومة عادلة عالمة بصيرة حكيمة تضع كل شيء في موضعه وترمي لرعاية المساواة ورعاية الحقوق العامة والخاصة لكل فرد وخبرته ونتاجه وسد عوزه في احتياجاته ، ورفع الخصومة وإحلال الإلفة والمحبة والعفو والبر والإحسان ، واعتبار كل إنسان أخاً

للإنسان وخادماً متقابلاً لغيره معاونة اجتماعية ، كأصل من أصول الحياة السعيدة المتكاتفة ، ونبذ الخصال التي تعود على الفرد والمجتمع بالعداء والتباعد أمثال الحرص والجشع والأنانية والإفراط في الغرائز وإخراجها إلى الإفراط ، أو التقاعس عنها مثل الجبن والكسل والبخل والعداء وسوء الظن والحسد .

أليست الشيوعية تقصد في آخر المطاف قيام كل فرد بعمل يحسنه بهمة وجد وإخلاص ، وإدراك ناتجه إدراكاً عادلاً منصفاً ، وضمان كل فرد ضماناً لسد احتياجاته من أكل وشرب ومسكن ومتعة ـ ومنها الجنسية ـ ودراسة وصحة وحرياته في القول والعمل والنقل والانتقال وكل أنواع الحريات الأخرى النافعة له وللمجتمع والامتناع عن كل ما يضر به أو بغيره تحت شروط وقيود متناسبة يحفظ به حقه وحق الغير .

أليست الشيوعية متى استقر بها الحال وامنت من الخصومة التامة وساد السلام في العالم تنتقل إلى المرحلة أعلاه وبذل الجهود والنفقات لسعادة الفرد وحرياته وسد احتياجاته ، وتعميم المساواة والعدالة بين جميع الأفراد .

والرأسمالية نفسها هلاّ تقصد في آخر المطاف نفس الضمان الاجتماعي ، وإطلاق الحريات المفيدة وسد الاحتياجات الفردية على الشاكلة أعلاه، وتطبيق المساواة والعدالة بين الأفراد ، ونشر العلم والصناعة والثقافة وتأمين الصحة والسلام وبالتالي إدراك الغرائز ورغباتها بأصول عادلة بعيدة عن القلة والكثرة المشينة كما مرّ في المقالات السابقة والابتعاد عن كل ما يضر النفس والغير .

فالإنسان بمميزاته نفس الإنسان أينما كان وأينما حلّ ، وكل احتياجاته وأمنياته ورغباته وأفكاره وحياته ومماته كل يساوي الآخر ، وعلى كل درك ذلك وان شاء الحياة الرغيدة أن يطلب لأخيه الإنسان ما يطلبه لنفسه ويأبى له ما يأباه لنفسه ، وإن شاء العدالة والمساواة أن يترك الأنانيات والأخلاق التي يكرهها من غيره ويتمسك بما يرجوه من غيره ويحس الواحد بإحساس الآخر ، هذه الحياة التي يجب أن تسود الحكومة العالمية المثلى .

وليت شعري ليس هناك مانع خلقي ومنطقي يمنع ذلـك ولا يسلم بهذا النهج والسلوك ، فهيا نتصالح كاخوة ونهدم ما بناه الخصمان ، بل نبدل كـل مدمر بمعمر ، وكل سيئة بحسنة ، ونعتبر كل إنسان أخاً لنا نسدي لـه كل مـا نرجو أن يسديه لنا ونأبى وصمه أو إقحامه بما نأبى وصمه لنا أو إقحامنـا به ، وهذا حقاً ما يأمرنا بـه الله على لسان رسله الأزكيـاء الأوفياء ، وهـذا هو دين السلام والإسلام ، دين الرحمة والرأفة ، دين الحق ، والسـلام على من اتبع الهدى .



المقالة السادسة عشرة

ما لا يدرك كله لا يترك كله

تسود الكرة الأرضية دول رأسمالية غربية وشيوعية شرقية متنافسة متطاحنة قلقة في حرب باردة ، وهناك دول وشعوب العالم الثالث التي تسودها النكبات والرزايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لعلل داخلية وخارجية ، فكيف العمل لعلاج هذه الأمراض البشرية ونجاتها؟

أية طرق ومسالك يلزم اتباعها لانقاذ ما ينوء به الأفراد والشعوب وسوقها طوعاً أو كرهاً لاحضان الفضيلة وانتشالها من الرذائل التي هي علة مشكلة شقائها؟ فما هي أقرب وأسهل وأنجع الطرق لانقاذها وعلاجها؟ وقد مرّ وذكرنا أصل العلل . والعلاج الناجع وقلنا لها شروط مكانية وزمانية وذاتية ، ومتى تمت تمكّن ذلك القصد ، بيد واليوم ولما تتم الشروط ، بل وربما طال الزمن عليها ، وإذن ما هي خير السبل لحياة أقل قلقاً وأقل بلاءً بإمكاننا السعي لإدراكها وتخفيف هذه الويلات والحد من أخطارها ؟ بما أُوتينا من طاقة وسعي ، إذ ليس للإنسان إلّا ما سعىٰ ، وإن سعيه سوف يرى ، مع العلم أنّ ما لا يدرك كله لا يترك كلُّه .

وقد مرّ وقلنا أول العلاج جمع العالم في دولة واحدة ذات أهداف ومرامي واحدة متعاونة متكاتفة متضامنة تسودها العدالة الاجتماعية والمساواة ، وتسلك حد الاعتدال في جميع شؤونها المادية والمعنوية ، وهذا لا يعني أن نترك الحبل على الغارب حتى تتوفر الشروط مع العلم أن السعي والإرادة والجد والطلب من الصفات الضرورية لبلوغ الأهداف ، وان العلاج

إنما يحصل تدريجياً ، أخص في الأمراض المتأصلة القديمة والقائمة فعلاً ، وما علينا إلا بالتخفيف وإزالة العقبات وتهيئة الأجواء لحياة أفضل ، والقضاء تدريجياً على علة بعد علة والسير حثيثاً في مسالك أقل وعورة وأقرب إلى الهدف بأيدي أطباء مهرة ، إذ هناك أدواء شتىٰ داخلية مستعملة وخارجية مفتعلة لعلاج كل منها قواعد وأدواء ، فما هي علل الدول الرأسمالية وما هي سبل علاجها؟ وما هي أمراض الدول الشيوعية وكيف إصلاحها؟ وما هي أسقام دول العالم الثالث وكيف شفاؤها؟ .

أليس البحث عن أسباب العلل لكل منها أولاً ووضع أصول العلاج والإصلاح ثانياً ، وبيد خبراء مهرة ومريدين مجدين دائبين سهرة هي من أسس النجاح؟ .

ولنتقرب لوضع أسس الإصلاح ، أليس الأجد أن تتوحد الدول ذات الطابع المشترك؟ وهذا التوحيد يختلف قرباً وبعداً للهدف الذي ترمي إليه لنشر السلام والوئام ونضرب لهذا التوحيد أمثالاً ونميز بين الحسن والأحسن بل وأحسن الكل ، ومنها :

١) الأمم المتحدة المتشكلة من كافة دول العالم الكبيرة والصغيرة والقائم على رأسها سكرتير الأمم المتحدة .

٢) وحدة الشعوب الغربية الرأسمالية من الدول الأوروبية الغربية كإنكلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا وبجليكا وإيطاليا والدول الأوروبية الأخرى والولايات المتحدة وتكاد تكون الأخيرة هي المتزعمة القوية السائرة من الناحية السياسية ككتلة موحدة تجاه الكتلة الشيوعية .

٣) دول السوق المشتركة الغربية حول المصالح الاقتصادية .

٤) اليونسكو الجامعة لوحدة الدول من الناحية الثقافية .

٥) مجموعة دول الكمنولت وهي رابطة الشعوب البريطانية .

٦) الولايات المتحدة الأمريكية وهي القائمة على توحيد اثنتين وخمسين ولاية أمريكية توحيداً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً لغايات وأهداف

ومصالح عامة بينها ، رغم استقلال كل ولاية داخلياً ، بيد هي متعاونة مع بعضها كجسم واحد ترمي إلى رفاه وسعادة كل ولاية على حد سواء وتغار عليها داخلياً وخارجياً على حد سواء . ومثلها الولايات المتحدة لروسيا الشيوعية رغم اختلاف أنظمتها وقوانينها بالنسبة للدول الرأسمالية فهي ككتلة ذات مصالح خاصة لها ، وككتلة ذات مصالح عامة سياسية تربطها بدول شيوعية تسير لأهداف سياسية لبعضها تحت زعامة روسيا والمسيطرة على دول شيوعية مثل بولندا وجكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية والمجر ورومانيا وبلغاريا سيطرة سياسية . . .

كما أن هناك عالماً ثالثاً يضم دولاً مختلفة المسالك قد يكون لبعضها كيان مستقل قوي يخشى جانبه مثل الصين وأخرى شيوعية مستقلة قائمة بذاتها مثل يوغوسلافيا والبانيا وكوبا وكوريا الشمالية ، وأخرى ديمقراطية لها كيانها الخاص بها مثل سويسرا والسويد وفنلندا وأضرابها وأشدها خلقاً واضطراباً ومسرحاً لأغراض الغرب والشرق ، تلك الأغراض الاقتصادية والسياسية والاجتماعية هي دول الشرق الأوسط من عربية وغير عربية أشدها تعاسة وشقاءً لما تحويه من المصادر الاقتصادية ومنابع البترول تلك المنابع الغنية التي عوض أن تكون منابع خير لها أصبحت منابع وبالٍ وخلق فتن وحروب دامية بين الجيران والأشقاء وذوي العقائد والأديان الموحدة تلك التي خلقتها الكتل ، وأخص منها الرأسمالية بغية سلب ثرواتها ومثلها دويلات أمريكا الوسطى والجنوبية وأينما وجدت ثروة معدنية ونفطية أمثال أندونسيا وجنوب أفريقيا الحاوية على معادن الذهب والماس .

وهناك دول عظمى من حيث خيراتها وساحاتها الواسعة وكثرة نفوسها ، هي مسرحٌ للقلاقل والاضطرابات لما قام بها من اختلاف العقائد والأديان فكانت مسرحاً لفتن الاستعمار بقصد إضعافها واستغلالها كالهند ، لما فيها من موارد ومصالح تجارية واقتصادية .

٧) وقد وجدنا امبراطوريات في القديم تضم إلى وطنها الأصلي بالقهر والغلبة دولاً وشعوباً إظهاراً لقدرتها مستعبدة إيّاها استعباد السيد لمولاه بل أشد

رقاً وعبودية، وكما يقال العبد وما يملك لمولاه، وهيهات مهما بلغ الملك المستبد من حسن السيرة والظن والبر والرحمة أن يشمل مستعمراته من المنزلة والمساواة ما يشمل به موطنه الأصلي أو يشمل أبناء وطنه بما يفوق على حاشيته وخواصه من العناية والنعم .

وظل الاستعمار القديم جارياً إلى قبيل الحرب العالمية الأولى حيث تغيرت وجهة ذلك الاستعمار شكلياً من وضع ولاة من وطن الدولة المستعمِرة على رقاب الدول والمقاطعات المستعمَرة لإدارة أمورها كيفما ارتأى ، بغية مصالح لسيده من جباية أموال وفرض رسوم وأنظمة وكل ما هو في صالح الدكتاتور المطاع ، دون قيد أو شرط كما جرى في عهد القياصرة والأكاسرة وقبلهم وبعدهم ، أما بعد الحرب العالمية الأولى فقد تغيّرت وجهة نظر المستعمر وبعد وضع وتشكيل عصبة الأمم ووضع حقوق البشر ورعاية الأصول الإنسانية في الظاهر ومنذ قيام دولة عظمى على وجه الأرض هي الولايات المتحدة الغنية بثروتها واستلامها قيادة أهم الدول المثقفة ، فقد انتقل الاستعمار من ذلك المظهر المزري إلى مظهر مزركش باسم حرية الشعوب ، ونبذ الاستعمار إلى استعمار أدهى وأمر ، واتخاذ النفاق والرياء سلماً لنفس الغايات بل بصورة أزرى وأوحش فهي ، أي الدول القوية متى أحست ملمساً سياسياً أو موارد اقتصادية في دولة أخرى ، وبقصد استثمارها خلقت لها شتى الفتن الداخلية والحروب والقلاقل وأغوت أبناءها أو جاراتها للقيام ضدها ، وهيأت أبعد أبنائها من روح الإنسانية وأغواهم شراسة ونكاية بأبناء جلدته لمحض إرضاء شهواته وغرائزه في حب الظهور والمال وسلطته على رقاب ذلك الشعب وهيأت له الوسائل المادية والمعنوية لتكبيل شعبه وأمته وتقديم موارد بلاده لقمة سائغة لذلك المستعمر الغاشم لتتنعم به زمرة أقلية باسم أو أسماء ، وقد بدأتها انكلترا في الهند وحواليها باسم شركة الهند الشرقية حتى استعمرت بقدرتها السياسية أمماً تكبرها عشرات الأضعاف أرضاً وأفراداً وثروة ، وظلّت سيدة مطاعة هي ومن شاكلها في مثل ذلك الاستعمار مثل فرنسا وهولندا واسبانيا والبرتغال وغيرها .

أما اليوم فقد تبدلت أصول الاستعمار من استعمار مباشر إلى غير

مباشر ونزلت دول أعظم شوكة وقدرة ، وتقاسمت العالم وثرواته شركـات هي منبـع الظلم والأجحـاف على شعوبهـا بمـا تـزيف لهـا من الحقـائق البـاطلة وتمحق لهـا من الأباطيـل في الـداخـل والخـارج وهي المستـوليـة والقـاهـرة والسـالبة والـرافعة في الـظاهر علم الحـريـة والعـدالـة وحقـوق البشـر ونشـر الإصلاح .

٨ ـ وهنـاك حكومـات وأنـظمـة دعـا إليهـا الحكمـاء والفـلاسفـة مثـل جمهـورية أفـلاطون المتمثلة بـإسناد الحكم في البـلاد إلى زمـرة الفـلاسفـة والحكمـاء وقيام أنـظمة وأحكـام يسندهـا رجال الفكـر أقرب للعـدالـة ومنهـا المدينة الفاضلة التي قال بها أحد أساطين الحكمة وهو الفارابي ولمـا تتحقق أساليبها ، وخيرها مـا جاء بـه أولو العـزم من الرسـل من عهد نـوح وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ودعوتهم للإيمان بالله والدعوة للتعـاون البشري والبـر والإحسـان لـولا مـا تغلب على أصـول تلك الأديـان الملوك ومـا جـاءت بـه عصابات من الآراء وقيام مذاهب وطـوائف حرفتهـا عن الأصول المتينـة حتى قيام الإسلام في عهـد محمد خـاتم أولي العزم الثـابت بالقـرآن والداعي إلى جميع الأديان السماوية بقوله :

﴿تعالوا إلى كلمـة سواءٍ بيننـا وبينـكم ألاَّ نعبـد إلاَّ الله ولا نشـرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ . وقوله في القـرآن في الآية الثالثة عشر من سورة الحجرات : ﴿ يا أيُّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلنـاكم شعوبـاً وقبائـل لتعـارفـوا إن أكـرمكم عنـد الله أتقـاكم والله عليم خبير ﴾ وذلك الذي قال أيضاً في القرآن من سورة البقرة الآية (٢٥٦) : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبيّن الرُشـد من الغي . . . ﴾ الخ . والـذي جعل العقـل أصلاً من أصول الدين حينما قـال محمد في حـديثه : من لا عقـل له لا دين له .

ومـا أجمل عهـد علي أميـر المؤمنين لـواليـه على مصـر أخص منـه : « والناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » .

وكلمـة محمد (ص) في خـطبه حجـة الـوداع في وصايـاه لا فرق بين

عـربي وأعجمي إلاّ بالتقـوى ، والتقوى هي اتبـاع الفضائـل والاجتنـاب عن الرذائل ، هي مجموعة البر والإحسان وهي فوق العدالة المقرونة بعد العدالة بالعفو فالتقوى أسمى العواطف الإنسانية المميزة بالرحمـة والإيثار ورفـع كفة الإنسانية ومنبـع الجهاد الأكبـر « جهاد النفس » ، تلك التي دعـا إلى اتباعهـا سيـدنا عيسى عليـه السلام وخـاتم الأنبياء محمـد صلّىٰ الله عليه وآلـه وسلّم وجعلهـا أساس الخيـر والفضيلة ومنبعها . وقـامت دولته خيـر قيام في عهـده وحسب .

كل ما مرّ طرف من أنواع الوحـدة ولا تخفى على القارىء الكـريم أيها أقرب للحق والحقيقة ، وهناك حكومـات فطريـة طبيعية مـرّ ذكرهـا في كتابي الأول أمثـال حكـومـة النحـل والنمـل والأرضـة ومـا تمتـاز بـه كـل منهـا من النـواميس ، وكيف يجب أن تكون لنـا درساً وعبـرة ، وأرى أعـظم كـل تلك الأنظمة أنظمة ونواميس البدن الإنساني الذي يشكل بحد ذاته حكومة عالميـة مـوحدة ، وَحَـدَاتها الحجيـرات المختلفـة لأجهـزة البـدن وأصـول تعـاونهـا وتكـافلها وسيـرتها المنـظمـة وتضـامنهـا مـع بعضهـا وإحسـاسهـا وعـدالتهـا الاجتماعية وتعاطفها في الإحساس والشعور والأفراح والأتراح وتساويها مـادياً ومعنوياً ، وصدقها مـع تلك حكومـة الفطرة الإسـلامية والتي أكملهـا بمكارم الأخلاق حينما قال (ص) : إنما جئت لأتمم مكارم الأخلاق.

وقد مرّ وتكلمت عن خيـر الحكومـات العالميـة وشروط قيـامها الـزمنية والمكانية والذاتية بقيادة زعامة تجمع كافة الصفات الفطرية الطبيعية المنطقيـة والعدالة الاجتماعية تقوم على أسس مكارم الأخلاق ، وقد تقـاربت شروطهـا المكانية والزمانيـة ، وبانتـظار الشرط الـذاتي العالم المجـرب الملهم الزكي القـاضي على رذائـل الشـرق والغـرب والمـطبق أحكـام ونـواميس الفضيلة والفضـلاء ، والقامـع للرذيلة والأشقياء ، والنـاشر للسـلام والسعـادة والهـادم للقوض والغواية والغاوين والطغاة الأرجاس .

والآن وبعد هذا الموجز أيحق لنا ونرى ما نراه في الشرق والغرب ومـا فيه من طغاة متقلدين زمام الأمور ، يعبثون بما تسول لهم غرائـزهم ونهماتهم

الشيطانية من السلب والنهب وإقامة الفتن والمجازر والويلات والنكبات في شتى نواحي هذه المعمورة ، وما نراه من سَوق البشرية إلى الدمار والإنقراض وما يقاسيه هذا البشر المنكود على أيدي هؤلاء الطغاة الباغين ؟ .

أليس الجدير بنا إقامة وحدات وضم صفوف ونشر مبادىء تقلل من غلواء هذه المفاسد ، وتصلح وترمم بعض الخراب كوقاية من بعض العوارض والويلات وعلاجاً لعلل يمكن تقليل شدتها على كاهل هذا البشر التعيس ، وقد شرحنا أعلاه العلل والعلاج القاطع والمهدىء والمخفف؟ . .

أليس الركون إلى التأليف والعمل على خلاف فرِّق تسد ، وهو وحِّد صفوفك تقو وتتغلب ؟ فكيف تكون هذه الوحدة وليس من طاقتنا توحيد العالم للدولة العالمية المثلى ، فهلا بإمكاننا القيام بخدمات أقرب للسلامة وعلى حد القول المأثور : ما لا يدرك كل لا يترك كلّه .

وترى بأعيننا اليوم ، توجد دول عظمى يومىء إليها بالبنان، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي زعيمة الدول الرأسمالية الغربية ، وقد كسبت عظمتها بضم ٥٢ ولاية وكونت منها دولة عظمى موحدة ، وتليها في القوة روسيا زعيمة الدول الشيوعية ، وتليها الصين ، وأما دول العالم الثالث فهي عرضة لتلاعب وأهواء الدول الرأسمالية النهمة والشيوعية .

فما هو الأصلح إذا كان بإمكاننا الإنخراط كدولة أو دويلات إلى إحدىٰ هذه الدول العظمى انضماماً كجزء من كل وعندها يكون لنا ما لكل من دويلاتها من حقوق ومزايا؟ وعندها نتخلص من نهب الطغاة وسلبهم وغواياتهم وفتنهم ونكتسب شوكة وعظمة ، وحقوقاً جديدة؟ وعندها نتساءل : هل فكرت الدول العظمى بهذا الانضمام وهل ترضى به؟ .

كيف السبيل لإقناع الدول الكبرى أن تقبل منا لهذه الدعوة؟ وكيف السبيل لإعداد الدول الأخرى لقبول هذا التآلف؟ .

هل بالإمكان طرح هذا الأمر تخفيفاً للويلات القائمة على دويلات أمريكا الوسطى والجنوبية وكندا للإنخراط إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتكوين دولة أعظم وذات ولايات ربما بلغت المائة ، وذات هيبة وسيادة أكبر ، وانهاء الويلات والقلاقل القائمة من حروب ومخاصمات ونكبات قائمة طوراً في نيكاراغوا وأخرى في شيلي أو الأرجنتين وغيرها على أن تتمتع كل ولاية بقسط عادل مماثل لكل ولاية قديمة لهذه الدولة ، ولها نفس الامتيازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الامتيازات ؛ وتتجاوز حدود هذه الدولة المتحدة إلى أوروبا وآسيا وإفريقيا ، وتنخرط دويلاتها إلى الدولة العظمى للولايات المتحدة وتبدل اسمها من الولايات المتحدة الأمريكية إلى الولايات المتحدة العالمية . وهذه الدولة العالمية تحد من نفوذ الشركات العظمى الاقتصادية والسياسية وتعيد النظر في السلوك الاجتماعي فتحد من الحريات العامة والخاصة ، الضارة بالفرد والجماعة من مادية ومعنوية للحال والمآل ، تلك الحريات التي تعود بأضرارها على الفرد والمجتمع من جنسية كالتهاون من الاتصال الجنسي بين الشباب في المدارس والمعاهد ووضع أنظمة وحدود مرفهة ومقيدة من الاستهتار وشد أواصر العائلة والتربية والتعليم المدرسي والعائلي ، والحد من الحريات في المأكولات والمشروبات والتدخين المؤدية للاعتياد والاضرار لمحض متعة آنية ، وحد حرية التجارات الضارة والإعلانات المؤدية للضرر في جميع الأحوال الأدبية والاقتصادية، وتعميم بيوت الأدب والإرشاد والنفع العام والخاص على لسان الراديو والتلفزيون والصحف وباقي الدعايات ، ومنع كل ما يخل بالموازين الاجتماعية ويدعو للدعارة والفساد والاضرار في الحال والمآل ، وتعميم الإرشاد العائلي والمدرسي وفي النوادي والمجالس وتطوير المنتزهات والملاهي من الاستهتار وتفشي الفساد الأخلاقي إلى العكس وإقامة الملاهي والملاعب الرامية لسمو المعنى ، لقوة الجسم والفكر والرياضة والتجوال ونشر المعارف والعلوم المجدية وتنمية الأقسام الصالحة وحد المضرة كما هو في أمور الذرة والكيمياء والفيزياء والطب وغيرها . ولكي لا نبتعد عن أصل المطلب ـ نعود لنسأل :

كيف السبيل لإقناع الدويلات الكبرى لضم الصغرى والصغرى للانضمام؟ طالما نجد الأصلح والأقوى والأجدر بذلك؟..

أي الدول تكون جديرة أن تكون النواة الأولى لجمع شمل الأخرى وضمها إليها بحنان وتجله والاستعانة الواحدة بالأخرى كأم تحنو على أولادها، أهل هناك شروط لكل منها؟ وهناك من الدول ذات عقائد وأديان ومسالك تختلف عن الأخرى وعلى ذلك يلزم وضع حد لأية واحدة منها في المجتمع لحد لا يضر بالآخرين وأن يبلغ بذلك النفع العام لباقي الدويلات والخاص للمنحازة ، وغير المنحازة .

ربما وجد البعض أن الأجدر للالتفاف حول دولة تقام بها الأصول الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، وحريصة على حريات الفرد والمجتمع حرصاً لحد غير ضار به في الحال والمآل وغير ضار بمن يحيط به من قريب وبعيد سواءً في الماديات من أكل وشرب وتدخين أو تزريق أو سهر أو أتعاب تورثه صدمات تقعده عن سلوكه أو واجباته الضرورية والأدبية ، أو المعنويات حيث تثير فيه أفكاراً ونعرات وآراء وسلوكاً قد تؤدي إلى التقاعس عن واجباته الفردية والاجتماعية ، أو تخلق فيه روحاً مضطربة وأفكاراً سيئة تحرفه عن التربية الصحيحة والآداب الاجتماعية العامة والخاصة ، أو تؤدي به إلى إساءة الظن أو الإحساس بالغرور والكبرياء الشائن ، وكل ما يسبب فتوراً للرابطة النفسية والاجتماعية والوهن والضعف النفسي ، القائمة على قوة الإرادة والكلمة والحلم والإيثار والتقوى ومكارم الأخلاق ، وبالتالي لدولة أقرب لسيرة حجيرات البدن من التعاون والشعور الذاتي بالأفراح والأحزان لما يجري إلى أفراد مجتمعه من حسن وسيء ، ويقوم بواجباته الموكلة إليه ذاتاً وطوعاً لا قهراً ، بعيدةٌ عن الحرص والجشع والعسف والتجاوز على الغير فرداً أو جماعة بل غايتها النفع العام وهي عضو كأحدها لا كما تسير به الفئات والاجتماعات والأحزاب والشركات من بذل الجهود للمنافع الخاصة وإن ضر بالآخرين ، دولة تحرص على أفرادها على حد سواء وتسير صادقة وصريحة ونزيهة في جمع الأخبار ونشرها بقصد الصالح العام وربما أشرنا



فهرست الكتاب
المصلح المنتظر









